روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سرى جدا !!

107

لعنة الدم

د. نبيل فاروق

Looloo
www.dvd4arab.com

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقي بالفجالة - القاهرة

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل . د. نبيل فاروق

١ ـ صرخة ..

الفضاء ..

ذلك الصامت السرمدى المهيب ، الذى تسبح فيه الكواكب والنجوم والمجرات ..

ذلك المظلم دوماً ، الغامض أبداً ، الذى يخيِّل للناظر إليه أنه جامد ثابت ، لا يتغيَّر قط ، على الرغم من كل ما يخفيه فى أعماقه من حياة ، ونشاط ، وتوازن مذهل ، لا يقدر على تنظيمه وإبداعه سوى الخالق عزّ وجلّ ..

الفضاء الذى لا يمكننا ، مهما امتدّ بنا البصر ، إلا أن نرى وندرك شريحة محدودة للغاية منه ..

شريحة أشبه بنقطة فى محيط هائل ، بلا شواطئ أو حدود ..

وفى تلك النقطة ، راح جسد (نور) يسبح حرًا ، داخل زى فضائى حديث ، دون أجهزة بحث أو توجيه ..

وفى أعماقه ، كان يشعر بخوف عجيب مبهم ، لم يجد له أى تفسير ..

بل ولم يكن يدرى حتى من أين أتى ، ولا كيف وجد نفسه بغتة ، فى هذا الموقف العجيب ..

ترى هل دفعه شخص ما ، أو شىء ما .. إلى الفضاء ؟! ..

أم أنه هنا بإرادته ؟! ..

ولكن لماذا ؟! ..

وكيف ؟! ..

كيف لا يذكر شيئاً عن سبب وجوده ؟! ..

كيف يجهل ماذا أصابه ؟ ..

هل فقد ذاكرته لسبب ما ؟! ..

أم أنه ..

قبل أن يتمّ تساؤله الأخير ، لمح ذلك الشخص ، الذى يتجه نحوه ، فى زى فضائى مماثل ، لا يختلف عن زيه إلا فى أنه يحوى أجهزة توجيه ، تتيح له اختيار مساره بالتحديد ..

وفى مزيج من التوتر والترقّب ، راح (نور) يتابع ذلك الشخص ، وهو يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم فجأة ، أصبحت ملامحه واضحة ..

وانتفض جسد (نور) فى عنف ، وكاد يصرخ باسم ذلك الشخص ، الذى أشار له بيده ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة كبيرة ..

ولكن شيئاً لم يخرج من بين شفتى (نور) ..

صرخته احتبست فى حلقه ، ورفضت أن تتجاوز شفتيه ، وهو يحدّق فى ذلك الوجه ، الذى يطلّ عليه بابتسامته ، من خلف زجاج خوذة الزى الفضائى ..

وفى هدوء ، وبصوت بالغ العمق ، قال ذلك الشخص :

ـ لا تتوتّر أو تضطرب يا (نور) .. عيناك لم تخدعاك .. إنه أنا .

تمتم (نور) فى صعوبة :

ـ (محمود) ؟! .. ولكن هذا مستحيل ! .. لقد لقيت مصرعك أمام أعيننا جميعاً ، فى نهر الزمن(★) !

هزّ (محمود) رأسه نفياً فى بطء ، وهو يقول :

ـ خطأ يا (نور) .. لم ألق مصرعى كما تصوّرتم .. كل ما حدث هو أن الصدمة أصابتنى بفقدان عميق للوعى ،

(★) راجع قصة (الزمن - صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

وابتلعنى نهر الزمن ، وكدت أضيع فيه إلى الأبد ، لولا أن لحق بى (س ـ ١٨)(*) ، وأعادنى إلى زمننا .

كاد (نور) يصرخ من فرط السعادة ، إلا أنه ، وللمرة الثانية ، رفضت الصرخة أن تنطلق من بين شفتيه ، وشعر بها تختنق فى حلقه ، فسعل مرتين ، قبل أن يغمغم فى ضعف :

ـ إذن فقد فعلها (س ـ ١٨) .. يا له من مقاتل آلىّ فذّ !

اقترب منه (محمود) فى بطء ، وهو يقول :

ـ لم يكتف بإعادتى فحسب يا (نور) .. لقد أدّى عملاً عظيماً أيضاً .

لم ترق لهجته لـ (نور) هذه المرة ، فسأله فى حذر :

ـ أى عمل هذا ؟

تبدّل صوت (محمود) بغتة ، وتحوّل إلى خوار خشن غليظ مخيف ، وهو يجيب :

ـ قادنى إليك .

ومع آخر حروف كلماته ، اختفت ملامحه دفعة

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم (٤٧)

واحدة ، وحلّت محلّها ، ملامح أخرى ..

ملامح بشعة رهيبة ، غير آدمية ..

نفس ملامح ذلك المخلوق المخيف ، الذى دمّر المستعمرة المريخية ، وقضى على معظم من فيها(*) ..

وفى دهشة ، هتف (نور) :

ـ رباه ! .. إذن فهو أنت .

أجاب ذلك الكائن الرهيب بصوته المخيف :

ـ نعم .. هو أنا .

قالها ، ويده تنقضّ بغتة على خزان الأكسجين المضغوط المعلّق على ظهر (نور) والذى يمده بالهواء اللازم لحياته ، وتنتزعه من مكانه ..

واختنق (نور) ..

فقد مصدر الهواء ، وجحظت عيناه فى ألم ، وضاق صدره ، حتى كاد ينطبق بعضه على البعض ، وذلك الكائن يبتعد ، ويبتعد ، وهو يطلق ضحكات مجلجلة ، بلغت مسامع (نور) ، على الرغم من الفراغ المحيط به(* *) ..

(*) راجع قصة (بلا أثر) .. المغامرة رقم (١٠٦) .

(* *) الصوت لا ينتقل أبداً فى الفراغ ..

وراح (نور) يختنق ، ويختنق ..

والصرخة الحبيسة فى صدره تجاهد ، وتقاتل لتنطلق ، و ..

وفجأة ، تحرّرت صرخته ..

وانطلقت ..

ومع انطلاقها ، انتفض جسده فى عنف ، وهبّ جالساً على فراشه ، وهو يلهث فى شدة ، فهبّت زوجته (سلوى) من نومها بدورها ، وهتفت به منزعجة :

ـ ماذا حدث يا (نور) ؟

تطلّع إليها بشىء من الدهشة ، وهو يواصل لهاثه ، قبل أن يلوّح بيده ، ويهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ إنه ذلك الكابوس .. لقد عاودنى للمرة الثانية .

قالت فى قلق :

ـ حقًّا ؟! .. بنفس التفاصيل .

أومأ برأسه إيجاباً ، والتقط نفساً عميقاً ، ليسيطر على مشاعره ، قبل أن يقول :

ـ نعم .. الفضاء الممتدّ إلى مالا نهاية ، و(محمود) ، ثم ذلك الوحش .

مالت نحوه ، وأحاطته بذراعيها فى حنان ، وهى تغمغم :

ـ من الواضح أن مواجهتك لذلك الوحش ، على سطح المريخ ، قد تركت فى نفسك أثراً عنيفاً .

صمت لحظة ، قبل أن يغمغم :

ـ ربما ، ولكننى لست من النوع الذى تهاجمه الكوابيس فى المعتاد .

قالت مشفقة :

ـ أنت مجرّد بشر يا (نور) .

أومأ برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد ، ولكن لكل بشرى سماته ..

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ هذا أمر طبيعى ، ولكن الأمر لم يكن هيناً أبداً ، فذلك الكائن قضى على عدد من خيرة شبابنا ، وحطّم المستعمرة المريخية كلها ، بل وكاد يفتك بابنتنا (نشوى) أيضاً ، لولا وصولك فى الوقت المناسب(*) ، هل تعتقد أنه من السهل أن يتجاوز أى بشرى مثل هذا الموقف ؟!

أجاب فى حزم :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع قصة (بلا أثر) .. المغامرة رقم (١٠٦)

- لقد مررنا بمواقف أكثر صعوبة ، ولم يحدث لى هذا بعدها .

ابتسمت فى حنان ، قائلة :

- يمكننى أن أتقمّص شخصية (رمزى) ، وأمنحك تحليلاً نفسياً للموقف ، إننا لم ننته من الأمر تماماً بعد ، فمازلنا داخل مكوك الفضاء السياحى ، الذى ينطلق عائداً بنا إلى الأرض ، وهذا يمنحك شعوراً بالقلق وعدم الأمان ، ثم إننا نجتمع جميعاً للمرة الأولى ، منذ رحل (رمزى) و(نشوى) إلى المريخ ، وانفرط عقد الفريق ، وكوّنت أنت فريقاً جديداً مع (أكرم)(*) ، واجتماعنا هذا أعاد إليك ذكرى (محمود) المسكين ، واشتعلت فى عقلك الباطن رغبتك الدفينة ، وأملك فى أن يكون على قيد الحياة ، وفى أن ينجح (س - ١٨) فى إعادته إلينا ، وتجمّع كل هذا على هيئة كابوس .

صمت لحظة ، وكأنما يحاول استيعاب منطقها ، ثم سألها فى اهتمام :

- ولكن لماذا يتحوّل (محمود) فى الكابوس إلى ذلك الكائن البشع ؟!

(*) راجع قصة (الحرباء) .. المغامرة رقم (١٠١)

بدت عليها الدهشة ، وكأنما لم تتوقع السؤال ، وغمغمت حائرة :

- لست أدرى .. ربما ..

لم تكن قد عثرت على جواب منطقى بعد ، عندما انطلقت بغتة صرخة قوية ..

صرخة انتفض لها جسدا (نور) و(سلوى) فى عنف شديد ، عندما ميّزا فيها صوتاً انخلع له قلباهما ..

صوت ابنتهما الوحيدة ..

(نشوى) ..

* * *

« (نشوى) تلد .. » .

هتف (رمزى) بالعبارة فى توتر شديد ، وهو يعدو عبر ممرات المكوك الفضائى ، فلحق به (نور) فى توتر ، وسأله :

- أأنت واثق من هذا ؟

التفت إليه (رمزى) ، صائحاً فى عصبية :

- أنسيت أننى طبيب ؟

تضاعف توتر (نور) وهو يتلفت حوله فى انزعاج ، وسأل قبطان المكوك ، الذى لحق بهما :

- هل تعتقد أن طبيب المكوك مؤهَّل للقيام بعملية توليد ؟!

بدا التردُّد على وجه القبطان ، وهو يجيب :

- لست أدرى .. المفترض قانوناً ألا يتم السماح للحوامل بالقيام برحلات فضائية سياحية ، ووجود ابنتك هنا أمر استثنائى ، حتمته الطوارئ ، و ...

صاح به (نور) مقاطعًا :

- هل يمكنه القيام بهذا أم لا ؟

أتاه الجواب من خلفه رصيناً حاسماً ، يقول :

- اطمئن .. يمكنه هذا .

التفت (نور) فى سرعة إلى الطبيب ، وهمّ بقول شىء ما ، إلا أن الرجل أشار إليه فى صرامة أن يصمت ، والتفت الى ممرضته ، مكملاً فى حزم :

- أعدّى حجرة عمليات الطوارئ ، فيبدو أن مكوكنا سيشهد ذلك الحدث التاريخى ، ألا وهو مولد أوّل طفل بشرى ، خارج كوكب الأرض .

ثم استدار إلى (نور) ، ومنحه ابتسامة مشجِّعة ، مستطرداً .

- اطمئن .

وعلى الرغم من الثقة الواضحة ، التى تحدّث بها الطبيب ، والتى بدت أكثر وضوحاً فى أسلوب ممرضته فى طاعة أوامره دون مناقشة ، إلا أن (نور) لم يشعر بالاطمئنان أو الارتياح أبداً ..

شىء ما فى أعماقه ، كان يشعر أن المولود الذى ستنجبه ابنته ، لن يحمل معه الاطمئنان ..

لن يحمله أبداً ..

★ ★ ★

نصف الصرخات ، التى أطلقتها (نشوى) ، فى حجرة عمليات الطوارئ بالمكوك ، وهى تضع طفلها ، لم تكن ترتبط ، بأى حال من الأحوال ، بآلام الوضع الطبيعية .

بل كانت صرخات من نوع آخر ..

صرخات تحمل كل ما تموج به نفسها من خوف ورعب وفزع ..

ففى كل لحظة ، منذ هاجمتها آلام الوضع ، كان عقلها يستعيد ذلك المشهد الرهيب ، الذى جمع بينها وبين الكائن البشع ، فى المستَعمرة المريخية ..

وخُيِّل إليها أنها تحياه ثانية ..

الكائن المدرَّع يقترب منها ، ويلمس بطنها بقفازه ، الذى يضىء بلون فستقى باهت ، ثم يتراجع ، ويرفع يده نحوها ، لتنطلق من أصابعه أشعة برتقالية ، تحيط بجسدها كله ، ثم تنكمش ، وتتركَّز على منطقة حملها وحدها .

ودون أن تدرى ، وجدت جسدها يستعيد الارتجافة نفسها ، وهى تهتف :

- اترك طفلى .. اترك طفلى .

لم يدرك الطبيب أو ممرضته ما يحدث لها ، وتصوَّرا أنها نوبة من آلام الوضع التقليدية ، فقالت الممرضة فى تعاطف :

- إنه يخرج إلى العالم .. ساعديه قليلاً .

انحدرت الدموع الساخنة من عينى (نشوى) ، لتغرق وجهها كله ، وذهنها يسترجع مشهد تلك النقاط البيضاء والحمراء ، التى تسبح فى الأشعة البرتقالية ، وتغوص فى جسدها ، ليتشكَّل معها ظل واضح لجنينها ..

ثم انطلقت منها بغتة صرخة عنيفة ..

صرخة انخلع لها قلب (رمزى) ، خارج حجرة عمليات الطوارئ ، وهتفت معها (سلوى) فى ارتياع :

- ابنتى .. ماذا يفعلون بابنتى ؟

لم تكد تتم هتافها ، حتى صكَّت مسامعها صرخة أخرى متصلة ، حملت معها جواب السؤال ..

صرخة ذلك القادم الجديد ..

ابن (نشوى) و(رمزى) ..

وبكل الانفعال المختزن فى أعماقها ، انفجرت (سلوى) باكية ، وألقت نفسها بين ذراعى (نور) ، وراحت تسكب دموعها وانفعالاتها على صدره ، فربَّت عليها فى حنان ، وهو يقول مداعباً :

- أدموع الفرح هذه ، أم أنها دموع الأسى ، لأنك صرت أوَّل جدة ، لم تتجاوز الثلاثين من عمرها بعد ؟!(*)

هتف (رمزى) فى مرح ، يشفّ عن سعادته الغامرة :

- أو هى دموعهما معاً .

قالها ، وأطلق ضحكة عالية ، اختنقت نهايتها بغتة فى حلقه ، عندما وقع بصره على وجه الطبيب الممتقع ، وهو يغادر حجرة عمليات الطوارئ ، ويتطلَّع إليهم بعينين زائغتين ، فهتفت (سلوى) مذعورة :

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢) .

- هل أصاب ابنتى مكروه ؟

هزَّ الطبيب رأسه نفياً فى شحوب ، وهو يقول :

- ابنتكِ على خير ما يرام يا سيِّدتى ، ولكنها مرهقة فحسب ، بعد أن وضعت جنينها ، ولكن ..

هتف به (رمزى) فى عصبية :

- ولكن ماذا ؟

تردَّد الطبيب لحظة ، قبل أن يجيب :

- من الأفضل أن تروا بأنفسكم .

قال عبارته ، وأفسح لهم الطريق ، وكأنما يدعوهم لدخول حجرة عمليات الطوارئ ، فاندفعت (سلوى) إليها ، ولم تكد تدخلها ، حتى انطلقت من حلقها شهقة عنيفة ، جعلت (نور) يثب للحاق بها ..

وداخل الحجرة ، انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدِّق فى طفل (نشوى) ..

فقد كان ما يراه أمامه مذهلاً ..

ومخيفًا ..

★ ★ ★

٢ - الـدم ..

فتحت (نشوى) عينيها فى صعوبة ، من فرط التعب والإجهاد ، وتطلَّعت لحظة إلى حجرتها ، التى تم إعادتها إليها ، ثم غمغمت فى تهالك :

- أريد أن أشرب .. حلقى جاف للغاية .

انتزع (رمزى) وجهه من بين كفيه ، والتفت إليها فى لهفة ، ثم هبَّ من مقعده ، يلتقط قدح ماء ، وعاونها على النهوض قليلاً ، لتشرب الماء ، ثم أعادها إلى الفراش ، هامساً :

- حمداً لله على سلامتك ياحبيبتى .

ألقت نظرة على جانب فراشها ، قبل أن تسأله متوترة :

- أين طفلتى ؟

تردَّد لحظة ، ثم ربَّت عليها فى حنان ، وهو يجيب :

لا تقلقى بالك بشأن الطفل .. إنهم يحتفظون به فى جو نقى فحسب لبعض الوقت .

قالت مندهشة :

- الطفل ؟! .. المفترض أننى سأنجب طفلـة يا (رمزى) .. كل الفحوص الطبية السابقة أكّدت هذا !

حاول أن يبتسم ، وهو يقول :

- ما من فحص طبى ، مهما بلغت دقته ، يمكنه أن يمنحنا نتائج مؤكّدة ، مائة فى المائة ، والله (سبحان وتعالى) وحده ، يعلم ما فى الأرحام .

أقلقها أسلوبه ، وأزعجتها اللهجة التى تحدّث بها ، فاعتدلت فى صعوبة ، وتطلّعت إلى عينيه مباشرة ، وهى تسأله :

- ماذا حدث يا (رمزى) ؟ .. ما الذى تخفيه على بالضبط ؟

بذل قصارى جهده ، للسيطرة على ملامحه وصوته ، وهو يجيب :

- لا شىء يا حبيبتى .. لا شىء .

ولكن صوته لم يكد يتجاوز شفتيه ، حتى أدرك هو ، قبل أن تدرك هى ، أنه سيعجز حتمًا عن إقناع طفل صغير ساذج ..

لقد خرج الصوت مرتبكًا ، مضطربًا ، يحمل من الحزن والمرارة قدراً هائلاً ، لا يحتاج إلى استنبـاط أو

تفكير ، فهتفت مذعورة :

- هل .. هل مات ؟!

هتف بسرعة :

- كلاّ .. لم يمت .. أقسم لك .

سألته ، وقد تملّكها الفزع والخوف :

- ماذا أصابه إذن ؟ .. ماذا اصاب ابننا يا (رمزى) .

أطلق من أعماق صدره زفرة حارة ، وهو ينهض من مقعده ، ويشيح بوجهه عنها ، قبل أن يجيب فى حزن مرير :

- ابننا لم يولد طبيعيًا يا (نشوى) .

انطلقت من حلقها شهقة عنيفة ، وانقبض قلبها فى قوة ، واعتصرت قبضة باردة مشاعرها فى قسوة ، وهى تردّد :

- لم يولد طبيعيًا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

- إنه لا يعانى من أية عيوب خلقية مألوفة ، ولكن ..

قاطعته بصوت مرتجف ، وعقلها يستعيد ذكرياتها المخيفة :

- ولكنه وجهه .. أليس كذلك ؟ .. وجهه نسخة طبق الأصل من وجه ذلك الكائن الوحشى ، الذى واجهناه فى المريخ .

تطلّع إليها فى دهشة ، هاتفاً :

- وجهه ؟! .. من وضع هذه الفكرة العجيبة فى رأسك .. ولدنا له وجه عادى ، بل وهو يشبهك ، إلى حد ما .

سألته فى دهشة تفيض بالقلق :

- ما الأمر غير الطبيعى فيه إذن ؟

صمت لحظة ، وهو يتطلّع إليها مشفقاً متردّدًا ، ولكن يبدو أنه قد حسم أمره بغتة ، إذ اندفع يجيب بلا مقدمات :

- لونه .

وكان الجواب مباغتاً بحق ..

* * *

« أخضر ؟! .. » .

هتفت (مشيرة) بالكلمة فى دهشة بالغة ، وهى تحدّق فى وجه زوجها (أكرم) ، الذى هزّ رأسه فى بطء ، وتنهّد قبل أن يقول :

- نعم .. الطفل أخضر اللون تماماً ، كما لو أنه نبات بشرى .. أنا لم أره بنفسى ، فقد قرّر الطبيب عزله فور ولادته ، ولكن (نور) هو الذى وصف لى لونه .

تراجعت فى دهشة ، وهزّت رأسها ، قائلة :

- مسكينة (نشوى) .. إنها لم تعش حياة عادية قط ، منذ أصابها ذلك النمو المفاجئ(*) .

أجابها (أكرم) ، وهو يلتقط مسدسه التقليدى ، من سترته المعلّقة على مشجب قريب :

- الطبيب لا يجد تفسيرًا علميًا لهذا ، وهو يقول : إن بعض الأطفال يولدون بلون أصفر مائل للخضرة ، إذا ما أصابهم مرض الصفراء الجنينى(**) ، إلا أنه لم ير ذلك اللون الأخضر الداكن فى حياته من قبل قط ، ثم إن اللون لا يقتصر على الطفل فحسب ، ولكنه يمتدّ أيضًا إلى الحبل السرى والمشيمة ، ولقد نقلهما الطبيب إلى معمل المكوك ، فى محاولة لتحليلهما ، وفحص الدم الموجود داخلهما .

(*) راجع قصة (المحيط الملتهب) .. المغامرة رقم (٦٣) .

(**) حقيقة طبية .

سألته (مشيرة) فى اهتمام :

- وماذا عن (نور) ؟!.. ألم يتوصّل إلى تفسير ما ؟

أجاب فى سرعة :

- (نور) ليس طبيباً .

ثم صمت لحظة ، واستدرك فى حسم :

- ولكننى أراهن على أن نفس ما يقلقنى يدور فى رأسه .

سألته بلهفة وفضول :

- وما هو ؟

صمت لحظة أخرى ، وكأنما يستجمع أفكاره ، ثم أجاب فى حزم :

- ذلك الكائن المريخى .. دماؤه كانت خضراء فسفورية ، ولقد هاجم (نشوى) وحدها ، و ...

قاطعته فى عصبية :

- ما الذى تعنيه بهذا ؟

هزّ كتفيه ، قائلاً :

- ربما أثّر على تكوين جنينها بشكل ما .

قالت فى حدة :

- ولماذا لا يكون العيش على المريخ هو المسئول عن هذا ؟! .. لقد قضت معظم فترة حملها هناك .

انتزع الخزانة الفارغة من المسدس ، وراح يحشوها برصاصات تقليدية ، وهو يهزّ كتفيه ، قائلا :

- ربما .. أنت تعلمين أننى لا أميل إلى تلك الأمور العلمية .

انعقد حاجباها فى توتر ، وهى تراقب ما يفعله بالمسدس ، ثم سألته فىّ عصبية :

- لماذا تحشو مسدسك بالرصاصات ؟

أعاد الخزانة إلى موضعها، وجذب مشط المسدس ، وتركه يرتد فى قوة ، وهو يجيبها :

- إننى أفضّل وجوده فى متناول يدى ، ومستعدًا للعمل على الفور ، عندما تحيط بى أمور غير طبيعية .

ازداد انعقاد حاجبيها ، وهى تقول فى حدة :

- ياللسخافة ! .. أحيانًا أشعر بالندم ، لأننى تزوّجت همجيًا مثلك .

ابتسم ، قائلاً :

- هذا يحدث أحيانًا ، أما فى المعتاد ، فأنت تشعرين بأنك محظوظة بزواجك منى يا أميرتى .

لم تضحك لدعابته هذه المرة ، وإنما قالت فى حنق :

- من الواضح أن طبيعتك البرية ، وولعك الشديد بالأسلحة النارية ، أصاباك بشىء من الهوس ، فرحت تتصوّر أن حلول كل مشكلات الدنيا تكمن فى مسدسك .. إنه مجرّد طفل وليد ، يعانى من خلل ما فى أحد هرموناته ، فاصطبغ جسده بلون أخضر داكن .. بم يمكن أن يفيد مسدسك فى هذا ؟

دسّ المسدس فى حزامه ، وهو يهزّ كتفيه فى هدوء ، مجيبًا :

- من يدرى ؟

مطّت شفتيها فى غضب ، وأحنقها أنه لا يبالى باعتراضاتها ، ولكنها ، وعلى الرغم من هذا ، وجدت نفسها تردّد فى أعماقها التساؤل نفسه ..

نعم .. ولِمَ لا ؟! ..

★ ★ ★

مدّ طبيب المكوك الفضائى مشرطه الجراحى نحو المشيمة الخضراء فى حذر ، وقطع جزءًا منها بطرفه الحاد فى حرص ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلّع

إلى المادة الفسفورية الخضراء اللزجة ، التى سالت منها ، وهتفت ممرضته فى دهشة :

- رباه ! .. ما هذا الشىء ؟ .. أى شيطان أنجبته تلك المرأة ؟

هتف بها الطبيب فى صرامة :

- انتبهى لما تتفوّهين به ، وضعى كمامتك الواقية على أنفك وفمك ، مثلما أفعل أنا ، فنحن لا ندرى تأثير تلك المادة بعد ، ربما كانت نتاج فيروس مجهول(★) أصيبت به فى أثناء فترة الحمل ، على كوكب المريخ .

افزعها التفسير ، فأسرعت تضع الكمامة الواقية ، قبل أن تسأله فى حذر :

- أتعتقد أنها معدية ؟

أجابها فى صرامة ، وهو يحصل على قطرة من المادة الخضراء ، فوق شريحة زجاجية صغيرة :

(★) الفيروسات - مجموعة من الكائنات الحية المعدية ، والمسببة لكثير من الأمراض فى الإنسان والحيوان والنبات ، تتميز بصغر حجمها ، بحيث لا يمكن رؤيتها إلا بالميكروسكوب الإليكترونى ، كما أنها متطفلة ، ولا تتكاثر إلا داخل خلايا حية .

- إننا لم نفحصها بعد .

ودفع الشريحة فى المكان المخصَّص لها ، من مجهر بسيط ، وضبط عدساته فى حرص ، ليفحصها فى اهتمام ، قبل أن يهتف فى دهشة :

- رباه ! .. إنها أشبه بالخلايا الدموية الحمراء ، ولكنها ليست مقعرة الجانبين ، مثل الخلايا الدموية البشرية ، وإنما هى أقرب إلى الاستدارة ، مثل الخلايا الحمراء للجمال .. عجباً ! .. لم أر شيئاً كهذا فى حياتى قط .. إنها أكثر الخلايا التى رأيتها فى حياتى نشاطاً .. تتحرَّك طوال الوقت ، كما لو أنها ميكروبات حية .. وذلك السائل الأخضر ، الذى تسبح فيه ، إنه يتكوَّن فى معظمه من البروتين المركز ، وقليل من السكريات والنشويات وهناك فقاعات دهنية قليلة .

ثم تراجع والدهشة تفيض من ملامحه ، وهزَّ رأسه ، مغمغماً :

- عجباً ! .. كيف يحيا بشرى بهذا السائل ؟

أجابته الممرضة بصوت مرتجف :

- هذا لو أنه بشرى .

رمقها بنظرة صارمة ، قائلاً :

- لقد أنجبته تلك السيِّدة أمامنا ، ونحن عاوناها على هذا ، أم أنك قد نسيت .

زفرت قائلة :

- ومن ينسى واقعة كهذه ، لقد كدت أفقد وعيى ، عندما وقع بصرى عليه .. يالِلبشاعة ! .. لن يفارق المشهد ذهنى قط .

مطَّ شفتيه فى ضيق ، وعاد يفحص المادة تحت المجهر ، وهو يغمغم :

- من الواضح أنها خلايا عجيبة ، لا مثيل لها فى كل المراجع الطبية المعروفة ، وعددها يفوق بكثير عدد كرات الدم الحمراء فى السنتيمتر الواحد من الـ ...

قاطعته فجأة شهقة عنيفة ، أطلقتها الممرضة فى ذعر ، فرفع عينيه عن المجهر ، والتفت إليها فى دهشة متوترة ، وسمعها تهتف :

- تلك المادة الخضراء .. انظر إليها .

اتسعت عيناه فى انزعاج ، وهو يحدِّق فى المادة الخضراء ، التى تصاعدت منها أبخرة صفراء باهتة ، وهتف :

ـ ما الذى يحدث بالضبط ؟!

ومع هتافه ، تفجُر ذلك الجزء المتبخُر من المشيمة بغتة ، وتناثرت المادة الخضراء على وجه الممرضة وثيابها ، فراحت تطلق صرخات رعب هائلة ، وتراجع الطبيب كالمصعوق ، وجسده كله ينتفض فى رعب هائل ..

لقد كان ما يراه أمامه بشعًا ..

بشعًا إلى أقصى حدّ ..

★ ★ ★

لم تكد تلك الصرخات ، التى أطلقتها الممرضة ، تبلغ مسامع (أكرم) ، حتى قفز من فراشه ، وانتزع مسدسه من حزامه ، وصاح فى زوجته (مشيرة) ، وهو يندفع نحو باب حجرتها :

ـ ابقى هنا ، ولا تغادرى الحجرة قط ، حتى أعود إليك .

أرادت أن تعترض على هذا الأمر ، إلا أن شيئًا من الرعب المتولد فى أعماقها جعلها تلتزم الصمت ، وتنكمش فى موضعها ، فى حين انطلق هو يعدو، عبر ممرات المكوك ، والتقى فى طريقه بـ (نـور)

و(رمزى) ، فهتف فى هذا الأخير :

ـ ابق إلى جوار زوجتك ، وسنتبيِّن أنا و(نور) الأمر .

وانطلقا يعدوان جنبًا إلى جنب ، هو و(نور) ، وكل منهما يحمل مسدسه ، الذى يتناقض تمامًا مع مسدس الآخر ، حتى بلغا المعمل ، ووقع بصرهما على الطبيب ، وهو يندفع خارجه ، ويسعل فى شدة ، فى حين تتصاعد من المكان أبخرة صفراء ، فسأله (نور) :

ـ ماذا حدث ؟!

هتف الطبيب فى هلع :

ـ تلك المادة .. لن يمكنكما تصوّر ما تفعله .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يتطلّع إليه فى دهشة وتساؤل ، فى حين استدار (نور) فى سرعة ، ليلقى نظرة على المعمل ، و ...

وارتدّ فى عنف ..

فقد كان المشهد بشعًا بحق ..

الممرضة المسكينة ساقطة على ظهرها أرضًا ، وتتصاعد من وجهها أبخرة صفراء باهتة .

أو بمعنى أدقّ ، مما تبقّى من وجهها .

لقد التهمته المادة الخضراء تماماً ، حتى بدت عظام جمجمتها البيضاء على نحو مخفيف ، وسط بقايا من عضلات وجلد الوجه المحترق ، وعين سليمة ، بدت وكأنها تبرز من محجرها فى الجمجمة ، لتحدّق فى وجه (نور) ..

وبكل ما يعتمل فى نفسه من انفعالات، هتف (نور) :

ـ ماذا حدث بالله عليك ؟

أجابه الطبيب فى انهيار :

ـ تلك المادة الفسفورية الخضراء .. لقد تفجّرت فى وجهها ، والتهمته فى لحظات .. إنها ليست دمًا متحوّرًا كما تصوّرت ، وإنما هى نوع من الأحماض القوية غير المعروفة(*) أو القلويات العنيفة المجهولة(**) ..

(*) الأحماض - هى المركبات التى يطلق محلولها المائى أيونات الهيدروجين وهى موصلة للتيار الكهربى وتتحلل به ، وتغير لون عباد الشمس الأزرق إلى الأحمر ، كما أنها تتفاعل مع القواعد والقلويات ، لينكوّن ملح وماء .

(**) القلويات - أو القواعد - وهى مواد قوية ، تعادل الأحماض ، كاوية ، تذوب فى الماء ، وتستعمل فى صناعة الصابون والأنسجة والورق .

لقد التهمته المادة الخضراء تمامًا ، حتى بدت عظام جمجمتها البيضاء على نحو مخيف ..

ثم هزَّ رأسه فى عنف ، وكأنما يحاول أن يطرد عنه ذلك المشهد البشع ، قبل أن يستطرد فى ألم وامتعاض :

- يا للمسكينة ! .. لقد صدقت عندما وصفت ذلك الطفل بالشيطان .

صاح به (نور) فى غضب :

- إياك أن تقول هذا .

هتف به (أكرم) :

- رويدك يا (نور) .. الرجل مصاب بصدمة حقيقية .

اتسعت عينا الطبيب فى رعب ، ولوَّح بسبَّابته تجاه المعمل ، صارخًا :

- لابد أن نتخلَّص منها .. لابد أن ندمِّر تلك المادة اللعينة .

وصل القبطان مع اثنين من رجال الأمن ، فى تلك اللحظة ، وهتف :

- ماذا يحدث هنا يا سادة ؟!

روى له (نور) القصة فى اختصار ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وقال :

- رباه ! .. الطبيب على حق .. لابد أن نتخلَّص من تلك المادة على الفور .

أجاب (نور) فى توتر :

- لا يمكنك حرقها ، أو التخلُّص منها بالوسائل العادية ، مادمنا نجهل طبيعتها ، ومدى ما يمكن أن يحدثه التعامل معها من تفاعلات .

شدَّ القبطان قامته ، وهو يقول فى حزم :

- سنتخلَّص منها إذن كما نفعل بالنفايات .

كانت الأبخرة الصفراء قد تلاشت تقريبًا ، بعد أن شفطتها أجهزة تنقية الهواء ، فأشار القبطان إلى رجلى الأمن ، مستطردًا :

- ضعا كل جزء من هذه المادة فى وعاء معزول ، من الأوعية المستخدمة فى نقل المواد المشعة ، وانقلاها إلى قسم الطرد الفضائى على الفور ، وليتم التعامل معها بنفس الخطوات المتبعة فى التعامل مع النفايات الذرية الشديدة الخطورة .

انطلق الرجلان لتنفيذ الأمر ، فى حين التفت القبطان إلى (نور) ، قائلاً :

ـ أظن هذا يحسم الأمر يا سيد (نور) .

عقد (نور) حاجبيه ، دون أن يجيب ، فى حين أعاد (أكرم) مسدسه إلى غمده ، وهو يقول فى شىء من الصرامة :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

أجابه القبطان فى حزم :

ـ نعم .. أعتقد هذا .

ولم يمض ربع الساعة على قوله هذا ، حتى كان جميعهم يقفون أمام أحد أجهزة الرصد فى المكوك ، يتابعون مشهد الأوعية ، التى تحوى تلك المادة الخضراء ، وهى تنطلق إلى الفضاء الخارجى ، فى اتجاه أبعد النجوم عن الأرض ، وقال القبطان فى صرامة ، وهو يشير إلى شاشة الرصد :

ـ أرأيتم أيها السادة ؟! .. هكذا ينتهى الأمر تماماً .

ولم يجب أحدهم بحرف واحد ، وهم يتابعون المشهد بدورهم ، وإن تولد فى أعماق (نور) و(أكرم) بالتحديد شعور قوى ، بأن ما يشاهدانه ليس النهاية ..

إنه البداية ..

بداية رعب جديد .

* * *

٣ ـ البداية ..

انسكبت دموع (نشوى) فى حرارة ، وهى ترقد على فراشها ، وراحت تنتحب ، قائلة :

ـ كنت أعلم هذا .. كنت أعلم منذ البداية أن طفلى لن يأتى طبيعيًا أبدًا .. لقد ورث سوء الحظ ، الذى لازمنى طيلة عمرى .

احتضنتها أمها فى حنان محاولة تهدئتها ، وهى تقول :

ـ لا تكونى متشائمة هكذا يا (نشوى) .

هتفت (نشوى) فى مرارة :

ـ متشائمة ؟! .. ماذا أصابنى طيلة عمرى إذن ، مالم يكن سوء الحظ .. هل نسيت كيف نموت بغتة ، بسبب تجارب سادة الأعماق ، وفقدت أحلى سنوات عمرى دفعة واحدة(*) ؟ .. هل تذكرين ما أصابنى ، عندما حاولت التضحية بحياتى ، لإنقاذ كوكب الأرض(* *) ؟ هل نسيت العذاب الذى ذقته فى منطقة

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢) .

(* *) راجع قصة (حصن الأشرار) .. المغامرة رقم (٨٢) .

العدم(*) ، أو فى صراعكم مع ابن الشيطان(**) ؟ .. هل تظنين بعد كل هذا أننى لست سيئة الحظ ؟!

شاركتها (سلوى) دموع مرارتها ، وهى تضمّها إليها مشفقة ، فى حين قال (نور) فى خفوت رصين :

- الإنسان لا يحصل إلا على ما قدّره له الخالق (سبحانه وتعالى) يا (نشوى) ، وهو أعلم بما يمكن أن يحمله لنا ما يصيبنا من خير .

تنهّدت فى عمق ، وتركت دموعها تنهمر أكثر وأكثر ، وهى تغمغم :

- ونعم بالله .

ربّتت (مشيرة) على كفها مهدّئة ، وهى تقول محاولة الابتسام :

- من أدراك أن ما حدث ليس فى صالح طفلك ؟

هزّت (نشوى) رأسها مغمغمة :

- كنت أتمنى له أن ينمو طفلا عاديًا .. لم أكن أرغب

(*) راجع قصة (أرض العدم) .. المغامرة رقم (٨٣) .

(**) راجع قصة (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم (٧٢) .

أبدًا فى أن يتحوّل إلى كائن عجيب ، تسرى فى عروقه مادة مجهولة ، لها كل هذا التأثير البشع .

لم يعلّق أحدهم على عبارتها هذه المرة ، وإنما تبادلوا نظرة أسفة ، تشفّ عن أنهم جميعًا يشاركونها شعورها هذا ، ثم قال (أكرم) فى مرح مصطنع ، محاولًا إدارة دفة الحديث إلى اتجاه آخر :

- أخبرونى يا رفاق .. هل تنوون طردى ، وإعادة الفريق الى ما كان عليه ؛ عندما نصل إلى الأرض ؟

تبادل (رمزى) نظرة سريعة مع (نور) و(سلوى) و(نشوى) ، قبل أن يقول :

- لست أعتقد أننى مستعد للعودة إلى الفريق الآن ، ثم إننى أرى أن فريقك مع (نور) ناجح للغاية .

ابتسم (نور) ، قائلاً :

- ومتعارض للغاية .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول :

- هذا أمر طبيعى ، مادام السيّد (نور) مرهف الحس ، لا تطاوعه نفسه على قتل أى كائن حى ، مهما كانت الأسباب .

أجابه (نور) فى سرعة :

- وما المشكلة فى هذا ؟ .. أنت تعوّض النقص بقتل أى كائن حى ، دون الحاجة إلى أسباب .

قال (أكرم) فى حدة :

- وما الذى تريد منى أن أفعله ، عندما يهاجمنى وحش مفترس ، هل استمهله بعض الوقت ، حتى أتحرى الأسباب ، والمبررات ، ثم أعود لقتله ؟!

أجابه (نور) فى حزم .

- كلاً بالطبع ، ولكن الـ ...

« أريد أن أرى ابنى .. » .

قاطعتهما العبارة التى نطقتها (نشوى) فى حزم واضح ، فران على الحجرة صمت ثقيل ، والتفت إليها الجميع ، فكرّرت فى حزم أكثر :

- أريد رؤية ابنى .. هذا حقى .. أليس كذلك ؟

تبادلوا نظرة متوترة ، ثم ضمّها (رمزى) إلى صدره فى رفق ، قائلاً :

- بلى .. هذا أبسط حقوقك يا حبيبتى ، ولكننى كطبيب نفسى ، أعتقد أنه من الأفضل تأجيل هذا قليلاً ، حتى يـ ..

قاطعته فى عناد شديد :

- أريد رؤية ابنى يا (رمزى) .

ثم اغرورقت عيناها بالدموع بغتة ، وهى تستطرد :

- لو أنه مازال حيًا .

هتف (رمزى) :

- إنه كذلك .. أقسم لك إنه على قيد الحياة ، وإنه ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلقت أجهزة الإنذار بغتة ، فى المكان كله ، فانتزع (أكرم) مسدسه ، هاتفًا :

- كنت أعلم أن الأمور لن تنتهى بهذه البساطة .

قالها ، ووثب خارج الحجرة ، وعبر بابها مع (نور) فى اللحظة ذاتها ، وهتفت (مشيرة) خلفهما :

- أخبرانى بما تجدانه .

ثم أردفت فى لهفة ، و(رمزى) يلحق بهما :

- (غموض فى الفضاء) ... سيكون عنوانًا شديد الإثارة لتحقيق صحفى .. أليس كذلك ؟

لم يكد قولها يغادر شفتيها ، حتى ارتطمت عيناها بتلك النظرة الغاضبة ، التى رمقتها بها (سلوى) وبالدموع الملتمعة فى عينى (نشوى) ، فاحمرّ وجهها خجلاً ،

واتكمشت فى مقعدها ، متمتمة :

ـ إنها مجرّد فكرة .

فى نفس اللحظة التى نطقت فيها عبارتها الأخيرة ، كان (نور) يسأل القبطان ، الذى التقى به فى منتصف السفينة .

ـ ماذا حدث ؟ .. لماذا أطلقتم الإنذار ؟

بدا القبطان فى حالة واضحة من التوتر والاضطراب ، وهو يجيب :

ـ لقد عثرنا على أحد رجال الأمن صريعًا ، فى الممر المؤدى إلى العيادة ، ولقد اختفى الطبيب تمامًا ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وبدا عليه مزيد من التوتر والارتباك ، على نحو جعل (نور) يسأله فى عصبية :

ـ وماذا أيها القبطان ؟

بدا التردُّد على وجه القبطان لوهلة أخرى ، قبل أن يحسم أمره ، ويجيب :

ـ وكذلك حفيدك يا سيِّد (نور) .. لقد اختفى أيضًا ..

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، مضيفًا :

ـ وبلا أثر ..

★ ★ ★

لثوان ، هبط على الجميع صمت مهيب رهيب ، والعيون كلها تحدِّق فى وجه القبطان ، قبل أن يقول (نور) فى حدة :

ـ ما الذى تعنيه بأن حفيدى قد اختفى أيها القبطان ؟! .. هل اختطفه شخص ما ؟

تردَّد القبطان مرة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ صدقنى يا سيِّد (نور) ، لست أفهم كيف حدث هذا ، ولا كيف اختفى الطبيب مع حفيدك ، ولكن من الواضح أن أحدهم هاجم العيادة منذ أقل من ساعة ، وقتل حارسها ، ثم اختطف الطبيب وابنك لسبب ما ، وأخشى أن ...

بتر عبارته مرة أخرى ، فصاح (رمزى) فى حنق :

ـ لا داعى للتردُّد وانتقاء الكلمات يا رجل .. هات ما عندك على الفور .. الأمر لا يحتمل ذلك .

أجابه القبطان بسرعة :

ـ أخشى أن طاقم المكوك يعتبركم المسئولين عن هذا .

هتفوا فى دهشة :

ـ ماذا ؟

ثم قال (نور) فى غضب :

ـ قل لى بالله عليك : كيف يعتبروننا المسئولين عن هذا ، وحفيدى مختف أيضًا بسبب مجهول ؟

أجابه بسرعة :

ـ لست أقصد عملية اختفاء حفيدك والطبيب يا سيِّد (نور) ، وإنما يتصوَّر الرجال أنكم مسئولون عن كل الاضطرابات فى المكوك ، ففارق السن الضئيل ، بينك وبين ابنتك ، وبينها وبين أمها ، وكونكما أصبحتما جدين ، فى هذا العمر ، والطفل الذى أنجبته ابنتك ، ومصرع الممرضة ، كل هذا يثير خوفهم واضطرابهم ، ولست أستبعد أن يكونوا قد حاولوا التخلُّص من الصغير ، فقاومهم الطبيب ، وقتل الحارس ، قبل أن يتخلَّصوا منه ومن الطفل .

اتسعت عينا (رمزى) فى ارتياع ، وهو يهتف :

ـ ابنى .

أسرع القبطان يلوِّح بيده ، قائلاً :

ـ إنه مجرَّد افتراض يا دكتور (رمزى) .. مجرَّد افتراض .

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ إلى أى مدى يمكن أن يقترب هذا الافتراض من الحقيقة ؟

هزَّ القبطان رأسه ، وقال :

ـ هذا يتوقف على ما يمكن أن نخرج به ، من استجواب طاقم المكوك ورجال الأمن .

قال (نور) فى انفعال :

ـ وماذا تنتظر يا رجل ؟! .. هيا .. اجمع رجالك ، ودعنا نستجوبهم فورًا .

لم يمض ربع الساعة على قوله هذا ، حتى كان أربعة من رجال أمن السفينة وخمسة من أفراد الطاقم السبعة يقفون أمام (نور) ، فى حين بقى الاثنان الأخيران لقيادة المكوك ، وواجه القبطان الجميع ، قائلاً :

ـ أريد معرفة مكان تواجد كل منكم فى أثناء حدوث الجريمة .

ثم انتبه فجأة إلى أن أحد رجال الأمن غائب ، فسأل فى اهتمام :

ـ ولكن أين (عونى) ؟

أجاب رجل أمن آخر :

ـ لسنا ندرى يا سيِّدى القبطان .. لقد كان بصحبتنا ، عندما كشفنا الحادث ، ثم انصرف ليفحص قاع المكوك ، والمخزن ، والمفترض أنه قد سمع النداء مثلنا ، ولست أدرى لماذا لم يستجب له ، أو ...

لم تكن عبارته قد اكتملت بعد ، عندما أضئ مصباح صغير ، فى سقف المكان ، وانطلق منه أزيز خافت ، فسأل (أكرم) فى توتر :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ يعنى أن بعض الفضلات قد ألقيت إلى الفضاء ، عبر جهاز الدفع ، و ..

بتر عبارته فجأة ، وهو يحدِّق فى النافذة المستديرة ، التى تقع خلف (أكرم) تمامًا ، فالتفت إليها الجميع فى حركة غريزية ، واتسعت عيونهم فى ارتياع ..

فأمام أعينهم مباشرة ، وعبر الفضاء الشاسع ، كان يسبح جسد رجل الأمن (عونى) ..

ودون زى فضائى واق ..

★ ★ ★

« مستحيل ! .. » .

هتف القبطان بالكلمة ، وهو يحدِّق فى الجثة السابحة فى الفضاء ذاهلا، قبل أن يواصل فى اضطراب شديد :

ـ جهاز الدفع الفضائى لا يعمل أبدًا من تلقاء نفسه ، لقد أشعله أحدهم حتمًا ، في قاع السفينة ، والمفترض أن الجميع هنا ، باستثناء الرجلين ، اللذين يقودان المكوك ، فمن دفع هذا المسكين فى الفضاء ، ليلقى هذه الميتة البشعة ؟!

سأله (نور) فى توتر :

ـ ألا يمكن أن يتخلَّى أحد الرجلين عن موقعه ، فى حجرة القيادة ؟! .. أعنى أن يتم تشغيل طيَّار آلى مثلا ؟

أجابه القبطان فى اضطراب أكثر :

ـ مستحيل ! لست أعنى أننا لا نستطيع قيادة المكوك آليًا ، ولكن الانتقال من القيادة اليدوية إلى الطيَّار الآلى يحتاج إلى بعض الوقت ، وعندما يحدث هذا ، يتم الإعلان عنه فورًا ، فى كل مكان بالمكوك ، تمامًا مثلما حدث ، عندما اشتعل جهاز الدفع الفضائى .

بدا الحنق على وجه (أكرم) ، وهو يقول :

- ومن أشعله فى رأيك إذن ، ما دمنا جميعاً هنا ؟ .. الرجل الخفى ؟!

انعقد حاجباً (نور) فى شدة ، وهو يقول :

- جميعنا هنا ، فيما عدا الطبيب .

هتف أحد رجال الأمن مستنكراً :

- الطبيب ؟! .. أى قول هذا يا رجل .. الطبيب هو أكثر من عرفت فى حياتى كلها وقاراً واحتراماً ، ويعمل معنا منذ عام كامل ، دون أن نلحظ عليه بادرة شر واحدة ، ولا يمكننى أن أتخيَّل إقدامه على شىء كهذا .

اندفع (أكرم) يقول له فى حدة :

- لم يعد أمامنا إذن سوى الرجل الخفى .

قال (نور) بغتة :

أو ..

ثم بتر قوله ، قبل أن يتجاوز الحرفين ، فالتفت إليه الجميع فى دهشة وتساؤل ، ورمقته كل العيون فى لهفة ، فالتقط نفسًا عميقًا ، وهو يكمل :

- أو أن لدينا ضيفاً غير مرغوب فيه ، على سطح المكوك .

اتسعت عيونهم فى ارتياع ، وسأله (أكرم) فى توتر ،

وأصابعه تضغط ، على نحو غريزى ، مقبض مسدسه :

- (نور) .. اصدقنى القول .. هل تعتقد أن شيئًا ما قد تسلل إلى المكوك ، فى أثناء وجودنا على المريخ ؟!

لم يجب نور على الفور ، وإنما تردَّد بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم :

- ربَّما .. لم أحسم أمرى بالضبط ، بالنسبة للوسيلة التى وصل بها ذلك الشىء إلى هنا ، ولكن ما نراه حولنا يؤكِّد أننا لسنا وحدنا هنا أيها السادة .. لسنا وحدنا أبدًا .

هبطت عبارته عليهم كالصاعقة ، وسرت فى أجسادهم قشعريرة باردة قاسية ، وهم يتخيَّلون ما يمكن أن يحدث ، لو أن وحشًا جديدًا تسلَّل إلى المكوك وراح يقتلهم واحدًا بعد الآخر ..

وإلى أعماقهم ، تسلَّل خوف عجيب ..

خوف كاد يلتهم مشاعرهم فى قسوة ، قبل أن يقول (أكرم) فى صرامة :

- (نور) .. هل كنت جادًا ، عندما قلت : إن فريقنا مازال قائمًا .

أجابه (نور) فى سرعة وحزم :

- بالتأكيد .

وهنا ، انتزع (أكرم) مسدسه من حزامه ، وشدّ قامته فى اعتداد واثق حازم ، وهو يقول :

- عظيم .. فى هذه الحالة ، يسعدنى أن أبلغكم أيها السادة أن صلاحياتكم كمسئولين عن الأمن قد تراجعت ، وأننا سنتولى الأمر منذ هذه اللحظة ، باسم المخابرات العلمية المصرية .

تطلّع إليه (نور) فى دهشة ، ولكنه أكمل فى حزم أكثر :

- وسنبدأ بخطوة محدودة .

وانعقد حاجباه فى شدة ، قبل أن يضيف :

سنفتش القاع .. وفورًا .

وعلى الرغم من أنه كان من المفترض أن يأتى الأمر عن لسان (نور) باعتباره القائد الفعلى للفريق ، إلا أنه لم يعترض على ما قاله (أكرم) ..

لم يعترض مطلقًا ..

★ ★ ★

« هل ضايقك ما فعلته ؟! ... » .

ألقى (أكرم) السؤال على (نور) فى جدّية شديدة ، بدت متناقضة مع طبيعته الساخرة ، وهما يهبطان مع أثنين من رجال الأمن إلى قاع المكوك ، فأجابه (نور) فى هدوء :

- ولماذا يضايقنى ؟

أجابه فى اهتمام :

- لأننى تغاضيت عن فارق الرتب .

ابتسم (نور) وهو يقول :

- هل تعتقد أن هذه الأمور يمكن أن تصنع فارقًا ، فى موقفنا هذا ؟

تنهّد (أكرم) فى ارتياح ، وهو يغمغم :

- حمدًا لله .. خشيت لحظة أن ...

لم يكمل عبارته ، وكأنما لم يجد داعيًا لهذا ، خاصة وأن المصعد الداخلى قد وصل بهم ، فى اللحظة ذاتها إلى قاع المكوك ، فتسلّل التوتر إلى أربعتهم ، واستلّ (نور) مسدسه الليزرى ، وهو يقول لرجلى الأمن فى حزم :

- أعتقد أنكما تدركان جيدًا مدى دقة الموقف ، فأرجو ألا تزيدانه صعوبة ، وأن تتريثا بقدر الإمكان ، قبل أن

تطلقا النار على أى هدف متحرِّك .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، وكأنما لم يرق له القول ، فى حين سأل أحد الرجلين (نور) فى توتر :

ـ وماذا لو هاجمنا ذلك الهدف المتحرِّك ؟

أجابه (نور) على الفور :

ـ دافع عن نفسكِ بالطبع ، ولكن تأكد أوَّلاً من أنه يهاجمك بالفعل .

ثم أشار بيده ، مستطردًا :

ـ والآن اتجها إلى المقدمة ، وسأتولى وزميلى مهمة تفتيش المؤخرة .

انفصلا إلى مجموعتين ، وتحرَّك (نور) و(أكرم) نحو المؤخرة فى حذر ، وهذا الأخير يقول فى سخرية عصبية :

ـ وكيف سيتأكد الواحد منهما من أن أى شىء يهاجمه ؟ .. هل سيسأله عن هدفه ، أم سيراجع وجهه على أرشيف الكمبيوتر ، قبل أن يطلق عليه النار ؟!

أجابه (نور) فى صراحة :

ـ نحن لا ندرى ما الذى نواجهه بعد ، والطبيب مازال

مفقودًا ، ولست أحب له أن يلقى مصرعه ، لأن حارسنا متوترًا تصوَّر أنه وحش كاسر ، وأطلق عليه النار ، قبل أن يتحقق من شخصيته .

قال (أكرم) بنفس السخرية العصبية :

ـ وماذا لو أن الطبيب نفسه هو الذى اختطف حفيدك ، وقتل الحارس ، ثم دفع الثانى فى الفضاء ؟

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يسأله ، فى أثناء سيرهما فى حذر ، عبر ممرات القاع المتشابكة :

ـ ولماذا يفعل هذا ؟

هزَّ (أكرم) كتفيه ، قائلاً :

ـ ربما لأنه تصوَّر أنه المسئول عن السلامة الصحية لكل ركاب المكوك ، وأن هذا يقتضى القضاء على الصغير ، كمصدر رئيسى للخطر .

سأله (نور) :

ـ ولماذا قتل الحارسين ؟

أجاب بسرعة :

ـ لأنهما حاولا منعه من قتل الصغير .

هزَّ (نور) رأسه ، قبل أن يقول :

- عجباً ! .. ألا يبدو لك التناقض واضحاً فى منطقك يا رجل .. كيف يخاطر الطبيب بمكانته ومستقبله ، فى سبيل الحفاظ على أمن وسلامة رُكاب المكوك ، ثم يزهق أرواحهم بهذه السرعة والبساطة ؟!

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يجيب :

- الرجل شاهد معرضته تحترق ، ورأى وجهها يذوب ، بفعل تلك المادة الخضراء المخيفة ، وربما أصابه هذا باضطراب نفسى ، أفقده منطقه وسلامة تفكيره .

ابتسم (نور) فى شىء من الخبث ، وهو يقول :

- ما دمنا نتحدَّث عن الافتقار إلى المنطق وسلامة التفكير ، فدعنى أذكرك بأنك ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق فجأة فى المكان صوت أحد حارسى الأمن ، يصرخ فى رعب هائل :

- رباه !.. مستحيل !.. هذا غير ممكن !!

ثم امتدَّت صرخته رهيبة مجلجلة ، تحمل كل رعب وفزع وألم الدنيا ، إلى جانب رائحة مخيفة ، تنبعث من كل نبرة من نبراته ..

رائحة الموت ..

★ ★ ★

قبل أن يتم عبارته ، انطلق فجأة فى المكان صوت أحد حارسى الأمن ، يصرخ فى رعب هائل : - رباه !.. مستحيل !..

٤ - رعب فى القاع ..

ارتسم توتر شديد على وجه (نشوى) ، فضاعف من شحوبها وامتقاعها ، وهى تقول لزوجها (رمزى) فى شىء من العصبية :

- خطأ يا (رمزى) .. خطأ .. لم يكن ينبغى أبدا أن تترك أبى و(أكرم) يهبطان وحدهما إلى القاع .. كان من الضرورى أن ترافقهما ، حتى ولو أصرًا على العكس .

أجابها (رمزى) فى صبر :

(نور) مازال قائد الفريق يا (نشوى) ، وليس لأحد منا مخالفة أوامره قط ، وإلا لفسد العمل كله .. هذا ما تعلمناه فى فترة عملنا فى المخابرات العلمية ، وهو يرى أنه من الأفضل ألا نهبط جميعًا إلى قاع المكوك ، مادمنا نجهل طبيعة الخطر ، الذى يمكن أن يواجهنا هناك ، ثم إنه أكد لى أنه سيشعر بالارتياح أكثر ، لو أننى بقيت إلى جوارك ، أنت و(سلوى) و(مشيرة) ، لحمايتكم ورعايتكم .. ثم إنه ليس وحده مع (أكرم) ، فبصحبتهما

اثنان من أفضل رجال الأمن هنا ، بالإضافة إلى أن القبطان يراقب تحركات الأربعة ، على شاشات الرصد ، عبر آلات التصوير ، المنتشرة فى ممرات القاع .

تفجَّرت الدموع من عينى (نشوى) ، وهى تهتف :

- ولكنه ابننا يا (رمزى) .. ابننا ذلك الذى اختفى .. ألا يساورك القلق عليه على الأقل .

أجابها فى مرارة :

- القلق ؟! .. بل قولى : إننى أشعر بالرعب .. إننا نجهل حتى من أخذه ، ولماذا ؟! .. وأخشى ما أخشاه أن يكون الفاعل قد تخلَّص منه ، أو ..

صرخت (نشوى) تقاطعه :

- لا .. لا تقل هذا .. لا .

ثم انفجرت باكية فى انفعال عنيف ، جعل (سلوى) تهرع إليها ، وتضمّها إلى صدرها فى عطف وحنان ، هاتفة :

- اهدئى يا ابنتى .. اهدئى .. كل شىء سينتهى على ما يرام بإذن الله .. (نور) سيعثر على ابنك ، ويعيده إليك سالمًا .

انسكبت دموع (نشوى) على صدر أمها ، التى ضمتها إليها أكثر ، وراحت تربت على ظهرها فى رفق حنون ، فى حين هزت (مشيرة) رأسها ، مغمغمة :

ـ المهم أن يعود سليمًا معافى ، كأى طفل عادى ، وليس على تلك الصورة ، التى وُلِدَ عليها .

التفتت إليها (نشوى) ، قائلة فى غضب :

ـ أية صورة ؟!

ارتبكت (مشيرة) وهى تقول :

ـ يبدو أننى أخطأت اختيار اللفظ ، ولكننى كنت أعنى لونه الأخضر ، و ..

قاطعتها (نشوى) فى غضب عصبى :

ـ إنه ابنى .. أيًا كان لونه ، فهو ابنى .

أسرع إليها (رمزى) ، قائلاً :

ـ بالتأكيد يا حبيبتى .. بالتأكيد .. إنه ابننا ، وسنمنحه كل حبنا وحناننا ورعايتنا ، عندما يعود إلينا سالمًا بإذن الله ، بغضّ النظر عن لونه .

قالت (سلوى) لـ (رمزى) فى ضراعة :

ـ (رمزى) .. ألا يمكنك حقنها بأى عقار مهدئ ؟..

ستصاب بانهيار عصبى حتمًا ، لو استمرت على هذا النحو .

أجابها (رمزى) فى شىء من التوتر ، وهو ينهض من مكانه :

ـ سأجد شيئًا حتمًا فى العيادة الطبية ..

كان يتجه نحو باب الحجرة فى خطوات سريعة ، عندما ظهر القبطان على عتبتها بغتة ، شاحب الوجه ممتقعه ، وهو يتطلع إليهم ، على نحو جعل (سلوى) تهتف فى ارتياع :

ـ ماذا هناك أيها القبطان ؟! .. هل أصيب زوجى بمكروه ؟!

هتف القبطان بسرعة :

ـ مطلقًا .

ثم استدرك بعد لحظة من التوتر :

ـ حتى آخر لحظة رأيته فيها على الأقل .

تبادل الجميع نظرة بالغة التوتر ، قبل أن تهتف (نشوى) :

ـ قل لنا ماذا حدث بالله عليك ؟!

تردَّد القبطان لحظة ، ثم حسم أمره ، واندفع قائلاً :

ـ انقطع الاتصال بيننا وبين قاع المكوك .

اتسعت عيونهم جميعًا فى ذعر ، وهتفت (سلوى) :

ـ ماذا تعنى بانقطاع الاتصال ؟

أجابها فى توتر ملحوظ :

ـ كنا نراقب كل ما يحدث فى القاع ، عبر شبكة الرصد الداخلية ، ثم فجأة ، انقطع الإرسال ، وتوقَّف عمل ذلك الجزء من الشبكة ، ولم يعد هناك أى اتصال بيننا وبين قاع المكوك .

سأله (رمزى) فى قلق حذر :

ـ ولماذا لم ترسل أحد الفنيين لفحص دوائر التشغيل ، وتحديد سبب العطل ؟

تردَّد القبطان مرة أخرى ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ أخشى أن هذا أيضًا لم يعد ممكنًا ، فكل الدوائر فى قاع المكوك ، ومع انقطاع الاتصال ، فوجئنا أيضًا بأن المدخل الرئيسى والوحيد ، الذى يصل المكوك بالقاع ، قد تم إغلاقه تماماً .

انتفض جسد (سلوى) فى عنف ، واتسعت عينا (نشوى) فى ارتياع ، وهتفت (نشوى) فى رعب :

ـ رباه ! .. أبى !!

أما (رمزى) ، فقال فى توتر عنيف :

ـ هل تعنى أن (نور) و(أكرم) ....

قاطعه القبطان فى سرعة وانفعال :

ـ نعم للأسف .. لقد أصبحا ، مع رجلى الأمن ، معزولين ومسجونين فى قاع المكوك .

هبط قوله عليهم كالصاعقة ، وفجَّر فى أعماقهم رعبًا هائلاً ..

وجديدًا ..

★ ★ ★

لم تكد صرخة رجل الأمن تتردَّد فى القاع ، حتى انطلق (نور) و(أكرم) يعدوان نحو المقدِّمة ، وكل منهما يحمل مسدسه ، وهتف الأخير فى عصبية :

ـ هذا ما كنت أخشاه .

صاح به (نور) ، وهو يعدو بأقصى سرعته :

ـ إياك أن تطلق النار ، دون أن ..

قاطعه (أكرم) فى عصبية :

- قبل أن التقط عشر صور للخصم .. أليس كذلك ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى ضيق ، إلا أنه لم يحاول الدخول فى مناقشة عنيفة مع (أكرم) ، فى مثل هذا الموقف ، خاصة وأن صوت رجل الأمن الآخر ارتفع أيضًا ، وهو يصرخ :

- اللعنة !.. ما الذى يحدث هنا ؟

وصل إليه (نور) و(أكرم) ، وهو يفرغ ما فى جوفه ، على مسافة متر واحد من زميله ، الذى سقط على ظهره ، واتسعت عيناه فى رعب هائل ، يشفّ عما واجهه ، قبل أن يلقى مصرعه ، وقد احترقت أجزاء متناثرة من وجهه وصدره وذراعيه ، والتصقت بها تلك المادة الخضراء ، التى تتصاعد منها أبخرة صفراء باهتة ..

وفى مزيج من الذهول والاشمئزاز ، هتف (أكرم) :

- ماذا حدث ؟!

أجابه رجل الأمن فى انفعال شديد :

- لست أدرى .. لقد وصلنا إلى المقدّمة معًا ، واتفقنا

على أن نفترق ، فيذهب أحدنا لتفتيش الميمنة ، والآخر لفحص الميسرة ، ولم أكد أبتعد قليلًا ، حتى سمعت صرخته ، فهرعت إليه على الفور ، ورأيته على هذه الصورة .

ثم التفت إلى واحدة من آلات التصوير ، مستطردًا فى غضب :

- أين أنتم أيها المراقبون ؟! .. لماذا لا تفصحون عما رأيتموه ؟! .. ماذا أصاب هذا المسكين ؟!

تلفّت (أكرم) حوله ، وهو يقول فى عصبية :

أيًا كان من فعل هذا ، فهو لم يبتعد كثيرًا .. إنه هنا فى مكان ما .

أما (نور) ، فقد انعقد حاجباه ، وهو يتطلّع إلى أجهزة المراقبة ، قبل أن يقول فى توتر :

- ولكنه يجيد عمله إلى حد ما ، فقد أفسد أجهزة المراقبة ، قبل أن يرتكب فعلته الشنعاء .

هتف (أكرم) ، وقد تضاعفت عصبيته وتزايد توتره :

- أفسدها ؟! .. ما الذى يدبره لنا بالضبط ؟

انتزع رجل الأمن مسدسه ، وهو يصرخ :

- لن يجد الوقت ليدبّر لنا شيئًا .. سأقتله .. أقسم أن أفعل .

صاح به (نور) فى صرامة :

- تمالك نفسك يا رجل .. أنت رجل أمن ، وليس من المفترض أن تفقد السيطرة على أعصابك على هذا النحو .

هتف رجل الأمن فى غضب :

- لقد قتل زميلى .

أجابه (نور) فى حدة :

- لسنا ندرى بعد ما الذى قتل زميلك ، وحتى نتوصّل إلى هذا ، لست أريدك هنا .. هيّا .. عُدْ إلى المكوك فورًا .

قال الرجل فى عصبية :

- ولكننى ..

قاطعه (نور) فى غضب صارم :

لا تناقشنى .. إنه أمر .

انعقد حاجبا الرجل فى شدة ، وهو يقول :

- فليكن .

وابتعد عنهما فى خطوات عصبية سريعة ، فغمغم (أكرم) فى توتر :

- هل سمعت ما صرخ به الحارس القتيل ، قبل أن يلقى مصرعه ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- نعم .. سمعته .. كان مذعورًا ذاهلا ، وكأنما رأى شيئًا غير مألوف ، أو شيئًا غير طبيعى على الإطلاق .

سأله (أكرم) :

- مثل ماذا ؟!

التقى حاجبا (نور) وهو يغمغم :

- لست أدرى .. هناك احتمال قائم فىّ ذهنى ، ولكنه مخيف .. مخيف للغاية .

سأله (أكرم) فى لهفة وفضول :

- أى احتمال هذا ؟!

انفرجت شفتا (نور) ، وهمّ بقول شىء ما ، ثم لم يلبث أن أطبقهما فى حزم ، وهو يهزّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ ليس بعد يا (أكرم) .. ليس بعد .

بدا التوتر والغضب على وجه (أكرم) ، وقال محتدًا :

ـ هل ستخفى عنى ما توصلت إليه كالمعتاد ؟

أجابه (نور) فى حزم :

ـ لم أتوصل إلى شىء بعد يا (أكرم) .. كل ما لدىّ مجرّد مخاوف .. مخاوف بلا أى دليل .

وعلى الرغم من الحزم ، الذى نطق به عبارته ، كان (نور) يشعر فى أعماقه بتوتر لم يشعر بمثله ، فى حياته كلها ..

هذا ، لأن الفكرة التى تدور فى عقله كانت مخيفة بالفعل ..

مخيفة إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

قطع رجل الأمن ذلك الممر الطويل ، الذى يقود من مقدّمة قاع المكوك ، إلى المدخل الرئيسى لمستواه الأساسى ، فى خطوات واسعة سريعة ، وهو يقول فى حنق غاضب :

ـ اللعنة ! .. اللعنة ! .. زميلى يلقى مصرعه على

نحو بشع رهيب ، ثم يأتى رجل المخابرات العلمية السخيف هذا ، ويطلب منى العودة إلى أعلى ، دون أن يمنحنى فرصة الثأر له .

وصل إلى المدخل ، ودماؤه تغلى فى عروقه ، وأحنقه أكثر أن يجده مغلقًا ، فضغط زر رتاجه الإليكترونى ، وهو يستطرد محتدًا :

ـ أى سخف هذا ؟! .. لماذا أغلقوا المدخل ، فى هذا الوقت بالذات .

راح يضغط الزر مرة ، ومرة ، ومرة ، إلا أن الباب لم يستجب لضغطاته مطلقاً ، مما أورثه توتراً عنيفاً ، جعله يهتف ، وهو يواجه إحدى آلات المراقبة الداخلية ، متصوّراً أنها مازالت تعمل بكفاءة :

ـ افتحوا هذا المدخل .. هيًا .. لا داعى لهذه التصرفات الحمقاء .. هيًا .

قالها ، وأنتظر لحظات ، دون أية استجابة ، مما ضاعف من توتره ، فضرب الباب المعدنى بقبضته فى قوة ، صائحًا :

ـ ماذا أصابكم ؟! .. هل أصبحتم صمًا بكمًا ؟! .. لماذا لا تفتحون هذا المدخل ؟!

واصل دقاته على المدخل بضع لحظات ، ثم لم يلبث الرعب أن تسلّل إلى نفسه ، عندما لم يحصل على أية استجابة ، فتحوّلت صرخاته من الغضب إلى الضراعة :

- افتحوا .. أرجوكم .. لم أعد أحتمل البقاء هنا .. هذا المكان بـ ...

بتر عبارته بغتة ، عندما لمح جسمًا يتحرّك ، من طرف عينه ، والتفت ناحيته فى سرعة وذعر ، ولكنه لم يجد شيئًا أمامه ، فازدرد لعابه فى توتر بالغ ، وقال بصوت مختنق مبحوح :

- من هنا ؟!

جاوبه صمت مطبق ، جعله يشهر مسدسه فى عصبية ، وعرق بارد يغمر جبينه ، وهو يتقدّم نحو تلك البقعة التى لمح فيها ذلك الجسم المتحرّك ، ويقول فى توتر بلا حدود :

- من أنت ؟ .. ما الذى تحاول فعله ؟!

ودار حول الجدار المواجه ، و ...

وانتفض جسده فى رعب هائل ، وهو يحدّق فى ذلك الماثل أمامه ..

وبكل الذعر فى أعماقه ، صرخ :

- مستحيل ! .. هذا مستحيل !

ولم يكد يطلق صرخته ، حتى أعقبها صوت أشبه بالفحيح ، وتناثرت تلك المادة الخضراء على وجهه وصدره وذراعيه ، فضغط زناد مسدسه الليزرى بحركة آلية ، وهو يصرخ فى رعب وألم ..

وانطلقت خيوط أشعة الليزر القاتلة فى كل مكان ، وصرخات المسكين ترجّ قاع المكوك كله ، قبل أن يسقط جثة هامدة ، وتتصاعد منه تلك الأبخرة ..

الأبخرة الصفراء الرهيبة ..

★ ★ ★

مع انطلاق تلك الصرخة الثانية ، انتفض جسد (أكرم) فى عنف ، وهتف :

- اللعنة !.. كنت أعلم هذا .

وصاح به (نور) ، وهو يعدو نحو مصدرها :

- احترس .. من الواضح أننا نواجه خصمًا رهيبًا .

هتف (أكرم) فى عصبية :

- عظيم .. هذا تطوُّر مدهش فى نظرتك للأمور ..

والآن .. هل يمكننا إطلاق النار على الخصم الرهيب ؟

أجابه (نور) ، وهو ينتزع مسدسه بدوره :

ـ ولكن دون قتله .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يهتف فى حدة :

ـ لا يمكننى أن أعدك بتنفيذ هذا الأمر ، ولا بـ ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يتوقف على نحو مفاجئ ، كاد يسقطه على وجهه ، بفعل القصور الذاتى(*) ، ويحدق فى جثة رجل الأمن الثانى ، الذى التهمت تلك المادة الخضراء المخيفة أجزاء من وجهه ، وتركته فى صورة شديدة البشاعة ، على نحو أصاب (نور) بتوتر شديد ، وجعله يتلفت حوله فى عصبية ، قائلاً :

ـ من الواضح أن الأمور لن تمضى فى يسر .

أجابه (أكرم) ، وهو يضغط زر فتح المدخل :

ـ هذا صحيح ، ولو أردت نصيحتى ، فالأفضل أن يرتدى كل منا زيًا واقيًا ، قبل أن نواجه ذلك الشىء ،

(*) القصور الذاتى ـ الخمول ـ هو مقاومة الجسم الساكن للحركة ، أو مقاومة الجسم المتحرك لتزويده بعجلة ثابتة ، أو تغيير اتجاهه ، ولقد عبر عنه (نيوتن) فى قانونه الأول للحركة ، والمعروف باسم (قانون القصور الذاتى) .

الذى يطلق تلك المادة الخضراء ، وإلا فلن يختلف مصيرنا كثيرًا عن مصير رجلى الأمن هذين .

قالها ، وهو يضغط زر الباب مرة ، ومرة .. ومرة ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ اللعنة ! .. هذا الباب يرفض الاستجابة .

التفت إليه (نور) قائلاً فى قلق :

ـ ماذا تعنى ؟

لوح (أكرم) بيده فى حدة ، قبل أن يجيب :

ـ الزر لم يعد يعمل ، وفتح المدخل لم يعد ممكنًا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وضغط الزر بدوره مرتين ، قبل أن تحيط أصابعه بمقبض مسدسه فى قوة ، ويتلفت حوله ثانية ، قائلاً :

ـ لقد أفسد أحدهم عمل الباب .

هتف (أكرم) فى غضب :

ـ أحدهم ؟! .. ماذا تعنى بكلمة أحدهم هذه ؟! .. ذلك القاتل ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ ليس هذا هو المهم الآن .. فليكن خصمنا

ما يكون .. المهم أن نتأهب لمواجهته والتصدى له ، إذا ما لزم الأمر .

وبحركة آلية ، ألصق كل منهما ظهره بظهر زميله ، وراحا يدوران حول بعضهما فى حذر ، وهما يتوقعان هجومًا مباغتا ، و(نور) يقول ، موجهًا حديثه إلى آلة المراقبة :

- هل تسمعوننا بأعلى ؟! .. لو أن ما يدور فى رأسى صحيحاً ، فلن يمكنكم رؤيتنا أو سماع أصواتنا ، أو معرفة ما يحدث هنا .. أما لو كنت مخطئًا ، فأريد منكم أن تفعلوا أى شىء ، يدل على أنكم تتابعون الموقف هنا ، حتى ولو كان هذا الشىء هو الدق على المدخل بقبضاتكم .

قال (أكرم) فى عصبية :

- هل تعنى أن القاتل أفسد عمل أجهزة الاتصال الداخلى أيضًا ؟

أجابه نور فى حزم :

- لو أنك فى موضعه ، لكان هذا أول ما تفعله .

هتف (أكرم) فى عصبية :

- عظيم .. إذن فأنت تعنى أننا صرنا مسجونين هنا ، فى قاع المكوك ، والاتصال بيننا وبين الآخرين منعدم تمامًا .. يا له من موقف رائع !

أجابه (نور) ، فى توتر مماثل :

- نسيت أن تضيف أننا لسنا وحدنا ، ولكننا مسجونان هنا مع قاتل .. قاتل مخيف .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول :

- ربما كان هذا من سوء حظه ، فلو أن بصرى وقع عليه للحظة واحدة ، سيعنى هذا أن ألف رصاصة ستخترق رأسه .. لو أن له رأسًا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطفأت أنوار القاع كلها دفعة واحدة ..

وساد ظلام مخيف ..

مخيف حتى الموت .

* * *

٥ ـ الظــلام ..

تحرّكت أصابع القبطان فى توتر ملحوظ ، فوق أزرار الكمبيوتر الرئيسى ، فى حجرة الفحص الإليكترونى ، التى استوعبت الجميع ، (رمزى) ، و(سلوى) ، و(نشوى) ، و(مشيرة) ، وقالت (سلوى) فى قلق عارم ، وهى تتابع شاشة المعلومات :

ـ ولكن هذا خطأ بشع فى تصميمات المكوك ! .. كيف تضعون كل أجهزة التحكّم فى قاع المكوك ، فى وجود باب يفصل بينكم وبينه ؟! .. ماذا لو تعطّل هذا الباب ، كما حدث الآن ؟

أجابها القبطان فى عصبية :

ـ تعطّل الباب هذا أمر غير طبيعى يا سيّدتى ، والدراسات الأساسية تؤكّد أن احتمال حدوثه لا يتجاوز الواحد فى كل مائة مليون .

هتفت فى حنق :

ـ ولكنه حدث بالفعل .

أجابها محتدًا :

ـ ليس كعطل طبيعى .. لقد أغلق أحدهم الباب عمدًا ، وفصل أجهزة التحكم ، حتى لا يمكننا إعادته للعمل .

صاحت به :

ـ كل هذا لا يهمنى .. الشىء الوحيد الذى يعنينى الآن هو أن زوجى مسجون بأسفل ، مع خصم مخيف ، لا ندرى طبيعته بالضبط ، وحفيدى مختف ، منذ أكثر من ساعة ، دون أن نعلم شيئًا عن مصيره .

قال القبطان فى حدة ، وهو يضغط الزر الأخير :

ـ إنها ليست مشكلتك وحدك يا سيّدتى .. إنها مشكلتنا جميعًا .

اندفعت (نشوى) قائلة فى غضب :

ـ ولكنك لن تعانى منها مثلما نعانى نحن .

احتقن وجه القبطان فى شدة ، وهو يهتف :

ـ كيف تقولين هذا يا سيّدتى ؟! .. إننى ..

قاطعه (رمزى) بسرعة ، محاولًا تهدئة الموقف :

ـ رويدك أيها القبطان .. مهلًا يا (سلوى) ، وأنت يا (نشوى) .. الطفل المختفى ابنى أيضًا ، و(نور) و(أكرم) من أعزّ أصدقائى ، ولكننى لا أرجو أبدًا أن

تتعقد الأمور إلى هذا الحد ، أو يصل بنا توتر أعصابنا إلى التشاجر والتناحر بمنتهى العنف ، دون أن نوجه اهتمامنا الرئيسى للموقف ذاته ، خاصة وأنه يحتاج بالفعل إلى كل اهتمامنا وتفكيرنا وجهدنا .

قالت (مشيرة) فى حماس :

ـ هذا صحيح .. زوجى أيضاً مسجون مع (نور) ورجلى الأمن فى القاع ، ولكننى أعتقد جديًا ، أن أفضل ما نفعله من أجل الجميع ، هو أن نوقف مشاحناتنا ، ونتوقف عن توجيه الاتهامات لبعضنا ، ونركز جهودنا فى البحث عن الحل .

ران الصمت لحظة على المكان كله ، ثم التفتت (نشوى) إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

ـ ما الذى وجدته أيها القبطان ؟

كانت دعوة غير مباشرة لنبذ الخلافات ، والتركيز على البحث عن حل للمشكلة ، ولقد استقبل القبطان الموقف مباشرة ، وقال مشيراً إلى الشاشة :

ـ خطوط الاتصال الرئيسية تمتد من قاع المكوك ، عبر فجوات خاصة فى جدرانه ، إلى كل أجزائه العلوية ،

ولا توجد وسيلة واحدة لإعادة الاتصال ، بين القمة والقاع ، أما بالنسبة للمدخل ، فربما كانت هناك وسيلة لإعادة تشغيله ، ولكن ...

سألته (مشيرة) فى لهفة ، عندما توقف بغتة :

ـ ولكن ماذا ؟

هزّ رأسه فى شىء من التوتر ، دون أن يجيب ، فى حين قالت (نشوى) فى انفعال ، مشيرة إلى الشاشة :

ـ ولكن هذا يحتم خروج شخص ما إلى خارج المكوك .

سأل (رمزى) فى دهشة :

ـ ولماذا ؟!

ضغطت (نشوى) زرًا آخر من أزرار الكمبيوتر ؛ فارتسمت على شاشته صورة ثلاثية الأبعاد للمكوك ، ثم تألقت على سطحه عدة خيوط مختلفة الألوان ، وبدا وكأن آلة تصوير خفية تتتبع أحد هذه الأسلاك ، عبر مناظير مجسّمة للمكوك ، و(نشوى) تجيب :

ـ خط التحكم فى فتح وإغلاق المدخل ، يتصل بغرفة الاتصالات ، عبر خط خاص مؤمّن ، يمر عبر جدران

المكوك إلى قرب سطحه ، وفى حالتنا هذه ، عندما ينقطع الاتصال الرئيسى ، يمكننا أن نعترض مسار الخطّ ، من نقطة خاصة ، على السطح الخارجى للمكوك ، ونوصله بجهاز تحكم إضافى .

قالت (مشيرة) بشىء من العصبية :

ـ ولماذا لا ننسف الباب مباشرة ، بدلاً من هذه التعقيدات ؟

أجابها القبطان هذه المرة ، قائلاً :

ـ الباب مدعّم بألواح من الصلب ، بسمك سنتيمترين ، ونسفه يحتاج إلى مدفع ليزر ، أو ثلاثة كيلو جرامات من المتفجرات البلاستيكية(*) ، وانفجار كهذا كفيل بالإطاحة بالمكوك كله .

انعقد حاجبا (رمزى) ، وهو يقول :

ـ فى هذه الحالة ، وبصفتى والد الطفل المختطف ، وصديقاً لـ (نور) و(أكرم) ، أعتقد أننى الشخص

(*) المتفجرات البلاستيكية ـ اسم يطلق على نوع من لدائن الـ (T.N.T) المتفجرة ، التى يمكن تشكيلها ، بحيث توضع فى أى حيز محدود ، وهى عبارة عن خليط من مواد سريعة الاشتعال ، تنطلق منها طاقة هائلة ، فى أثناء انحلالها السريع ، وهى تحتاج حتماً إلى مفجّر لإشعالها .

المسئول عن الخروج ، ومحاولة الـ ...

قاطعه القبطان فى صرامة :

ـ مستحيل !..

قال (رمزى) فى حزم :

ـ إننى أصرّ .

أجابه القبطان فى صرامة أكثر :

ـ ليس من حقك أن تفعل .. مازلت أحتفظ بمنصب القيادة ، على هذا المكوك ، وطبقًا للقانون، لا أحد يجرؤ على عصيان أوامرى ، ومن غير المسموح للركاب بالتدخُّل فى الأمور الرسمية .

قالت (مشيرة) فى عصبية :

ـ ولكن (نور) و(أكرم) فعلا .

أجابها فى سرعة وحزم :

طبقًا لما لدى من معلومات ، فهما وحدهما ينتميان إلى المخابرات العلمية المصرية ، فى الوقت الحالى ، والقانون يمنحهما الحق فى التدخُّل على الفور ، تبعًا لمقتضيات الموقف ، أما فى غيابهما ، فلدى كل السلطات المطلقة ، ولدى أيضًا رجال متخصصون ، يمكننى أن أعهد إليهم بالمهمة .

قالها ، والتقط جهاز الاتصال الداخلى ، قائلاً فى حزم :

- (نادر) .. (حميد) .. استعدا للقيام بمهمة طارئة خارج المكوك .. ارتديا الزى الفضائى ، وسألتقى بكما عند حجرة معادلة الضغط ؛ لأبلغكما تفاصيل المهمة .

وأنهى الاتصال فى حزم ، وهو يدير عينيه فى وجوه الجميع ، مستطردًا :

- أعتقد أن هذا يحسم الأمر أيها السادة .

لم يجبه أحدهم بحرف واحد ، ولكن عيونهم جميعًا حملت تساؤلاً محدودًا ..

هل يحسم هذا الأمر حقًا ؟!

هل ؟! ..

★ ★ ★

سرت قشعريرة باردة فى جسد (أكرم) ، مع ذلك الانقطاع المباغت للأضواء فى القاع ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فى عصبية :

- ما الذى يفعله بنا ذلك الشىء ؟

لم يجب (نور) مباشرة ، وإنما ازدرد لعابه ، وانتقى

كلماته أوّلاً ، قبل أن يقول فى خفوت ، وهو يتلفّت حوله ، وكأنما يحاول اختراق حجب الظلام ببصره :

- إنه يعزلنا عمن حولنا ، ويسلبنا أسلحتنا واحدًا بعد الآخر .. فى البداية قطع الاتصالات ، وأغلق القاع ، ثم قتل رجلى الأمن ، والآن يقطع الأضواء ..

سأله (أكرم) فى عصبية :

- وماذا عن المرحلة القادمة ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم أجاب فى حسم :

- سيقطع أعناقنا .

ازداد ، انعقاد حاجبى (أكرم) ، وهو يقول :

- لست أعتقد أنه يفكّر بهذه الرقة والحساسية يا صديقى ، ونظرة واحدة إلى ما أصاب ضحاياه تكفى ، لتفهم ما أعنيه بالضبط .

استعاد ذهن (نور) تلك المشاهد البشعة ، قبل أن يغمغم :

- من الواضح أن هذه وسيلته الوحيدة للقتل .

سأله (أكرم) فى توتر :

- ولكن من أين حصل على تلك المادة ؟

أصاب السؤال جزءًا عميقًا فى نفس (نور) ، فجفّ حلقه ، والتقى حاجباه فى عنف ، وهو يغمغم :

ـ لست أدرى يا (أكرم) .. ربما ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق فجأة ذلك الصوت ..

صوت أشبه بالفحيح ، ينبعث من مسافة لا تزيد على الأمتار الثلاثة ، وإن كان يصعب تقدير اتجاهه بالتحديد ..

ومع انطلاقه ، توتّرت أعصاب الرجلين فى شدة ، وغمغم (أكرم) فى عصبية :

ـ الوغد هنا .

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ اصمت .

كان يرهف سمعه بقدر الإمكان ، ومحاوِلًا تحديد موقع خصمه ، إلا أن الصمت أطبق تمامًا على المكان ، كما لو أن صاحب الفحيح قد أطلق فحيحه ، ثم تحوّل بغتة إلى تمثال من الحجر ..

ثم فجأة ، التقطت أذنا (نور) حركة ما ..

حركة أشبه بحركة جسد يزحف أرضًا فى بطء ، على نحو يثير الرهبة والفزع فى النفوس ، كما لو أنه ثعبان

هائل ، يستعد للانقضاض على فريسته ..

وكان من الواضح أن (أكرم) قد التقط الصوت نفسه ، فقد تمتم فى توتر :

ـ ما هذا بالضبط ؟

قال (نور) مرة أخرى فى حسم :

ـ اصمت .

أدرك (أكرم) ما يستهدفه (نور) ، فلاذ بالصمت بدوره ، وراح يشحذ سمعه بكل ما فى استطاعته ، لتحديد موضع خصمه ، و ..

وانطلق ذلك الفحيح مرة ثانية ..

وفى هذه المرة ، كان أكثر قوة ..

وأكثر قربًا ..

ومع انطلاقه ، شعر (أكرم) بقطع من النار تتناثر على ذراعه وكتفه ، فصرخ فى غضب وألم :

ـ لقد أصابنى الوغد .

قالها ، وهو يطلق رصاصات مسدسه فى ثورة ، ودويّها يتردّد فى عنف فى المكان ، فهتف (نور) فى انزعاج شديد :

- حذار يا (أكرم) .

صرخ (أكرم) فى غضب ، وهو يواصل إطلاق رصاصاته ، نحو المكان الذى يفترض وجود خصمه فيه :

- حذار ماذا ؟! .. هل أنتظر حتى يقضى علىّ تمامًا .

صاح به (نور) :

- إنه يستفزك ، ويدفعك لإفراغ رصاصاتك كلها .

لم يكد (نور) ينطق قوله هذا ، حتى توقف (أكرم) عن إطلاق النار بغتة ، وقال فى عصبية :

- حقًا ؟!

أجابه (نور) فى توتر شديد :

- بالتأكيد .. لا تسمح له بإثارتك أو استفزازك .

هتف (أكرم) محتدًا :

- وماذا عن الألم الذى أشعر به ؟! .. ذراعى تحترق بتلك المادة اللعينة ، ورائحة تلك الأبخرة الخانقة تزكم أنفى .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

- الأبخرة الصفراء ؟!

ثم هتف فى انفعال :

- اخلع سترتك بسرعة يا (أكرم) .. هيا يا رجل .

لم يفهم (أكرم) ما يعنيه (نور) ، ولكن خلع سترته بأقصى سرعة ، دون أن يعارضه أو يناقشه ، فتابع (نور) :

- ألقها أرضًا بطول ذراعك الأيسر .

أطاعه (أكرم) هذه المرة أيضًا ، وهو يسأل :

- ما الذى ..؟

قبل أن يتمّ تساؤله ، التفت (نور) نحو البقعة ، التى افترض وجود سترة (أكرم) فيها ، وأطلق نحوها أشعة مسدسه الليزرى ..

وكان تقديره سليمًا ..

لقد أصابت الأشعة سترة (أكرم) وأشعلت فيها النيران .

وعلى الضوء المنبعث من ألسنة اللهب الصغيرة ، لمح (نور) و(أكرم) ظلاً ينسحب ، على أرضية المكان ، ثم يختفى عبر أحد الممرات المتصلة به ..

وفى انفعال ، اندفع (أكرم) خلف ذلك الظلّ ، هاتفًا :

- ها هو ذا .

وفى انفعال ، اندفع (أكرم) خلف ذلك الظلّ ، هاتفًا : ـ ها هوذا ..

صاح به (نور) :

احترس يا رجل .. لا تندفع خلفه .

بلغت الصيحة مسامع (أكرم) ، وهو يقفز بالفعل إلى الممر ، الذى انسحب إليه ذلك الظلّ الغامض ، ولم يكد يستقرّ على أرضيته ، حتى ارتطمت عيناه بالظلمة الدامسة فى أعماقه ، واستقبله ذلك الفحيح المخيف ، فى نفس اللحظة التى تناثرت فيها تلك المادة الخضراء على صدره وذراعه الأخرى ..

وأطلق (أكرم) صيحة ألم عنيفة ، وهو يتراجع بحركة حادة ، ويطلق رصاصات مسدسه داخل الممر ، صارخًا :

ـ أيها الوغد .. أيها الوغد ..

التقط (نور) السترة المشتعلة ، وأسرع بها إليه ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلّع إلى الحروق العنيفة ، التى أصابته فى صدره وذراعيه ، هاتفًا :

ـ رباه ! .. أنت تحتاج إلى إسعاف عاجل .

صرخ (أكرم) فى ألم رهيب :

- تلك المادة اللعينة تلتهمنى التهامًا .. اللعنة ! .. اللعنة !

تلفت (نور) حوله ، فى توتر شديد ، ثم اندفع نحو إحدى المعدات المنتشرة فى قاع المكوك ، وهو يقول فى توتر :

- ليس أمامى سوى محاولة واحدة .

وانتزع أسلاك المعدّة فى قوة ، ثم حطّم بابها بكعبه ، مستطردًا :

فتلك المادة إما حمض قوى ، أو مادة قلوية فتّاكة .

وانحنى يلتقط جسمًا ثقيلًا ، وينتزعه من الآلة فى عنف ، ثم يندفع به نحو (أكرم) ، مضيفًا :

- وفى الحالة الأولى سنحتاج إلى مادة قلوية قوية ، أما فى الحالة الثانية ، فمن الضرورى أن نستخدم حمضًا مركزًا ، ليتعادل مع تلك المادة الخضراء(*) .

وألقى الجسم الثقيل إلى جوار (أكرم) ، وانتزع غطاءه ، مكملًا :

(*) لتخفيف تأثير المادة الحمضية أو القلوية ، يتم تزويدها بالماء ، أما فى حالة الرغبة فى فقد تأثيرها ، يتم مزجها بالمادة المضادة ، إذ إن القاعدة الكيميائية تقول إن مزج الحمض بالقلوى ينتج تفاعلًا محدودًا نواتجه الملح والماء .

- أما لو فعلنا العكس ، فستكون النتائج رهيبة ، فالحامض سيضاعف قوة الحامض ، والمادة القلوية ستجعل قرينتها أكثر فتكًا وتدميرًا .

ثم تنهّد ، وهو يسكب بضع قطرات من محتويات الجسم ، فوق المادة الخضراء ، التى تلتهم جسد (أكرم) وقال :

- وللأسف .. ليس لدى خيار .

هتف به (أكرم) فى انزعاج شديد .

- ماذا ستفعل بى ؟

قبل أن يتمّ عبارته ، تساقطت القطرات على المادة الخضراء ، وتفاعلت معها بصوت واضح ، وبدا المزيج وكأنه يغلى فى عنف ، قبل أن يتحوّل لون المادة إلى الأبيض ، وتتصاعد منها أبخرة بيضاء باهتة ، فهتف (نور) :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

هتف به (أكرم) :

- ماذا فعلت بالله عليك ؟ .. لقد تلاشت الآلام من هذه البقعة تمامًا .

أجابه (نور) ، وهو يسكب بضع قطرات أخرى ، على كل موضع أصابته المادة الخضراء ، من جسد (أكرم) .

- من حسن الحظ أن بعض معدات المكوك مازالت تستخدم التقنية التقليدية ، التى تعتمد على التفاعلات الكيميائية ، وهذا الشيء يحوى حمض النيتريك(*) ، الذى استخدمته كمحاولة لمعادلة تأثير المادة الخضراء بافتراض أنها ذات صفات قلوية حادة ، وحمدًا لله على أنها كانت كذلك ، وإلا ..

لم يتمّ عبارته ، ولكن (أكرم) سأله :

- وماذا كان سيحدث ، لو أن المادة الخضراء كانت حمضية التأثير .

صمت (نور) لحظة ، وارتسم على وجهه شبح ابتسامة ، بدت باهتة للغاية ، على الضوء الخافت ،

(*) حمض النيتريك - سائل لا لون له ، يتأين بسهولة ، وهو عامل مؤكسد قوى ، يتفاعل مع الفلزات والأكاسيد والهيدروكسيدات ، ليكوّن النترات ، ويستعمل فى صنع المتفجرات والأصباغ ، وبعض المركبات العضوية .

المنبعث من النيران المحتضرة ، فى سترة (أكرم) ، وهو يقول فى تأثر :

- لست أحب التفكير فى هذا الأمر .

ثم استطرد فى اهتمام ، وهو يضع الجسم الثقيل جانباً :

- ولنحمد الله (سبحانه وتعالى) على نجاتك ، ولكن هذا لا يعنى أن الأمر قد انتهى ، فمازلت تحتاج إلى الإسعاف ، وإلى تضميد هذه الحروق البشعة .

قال (أكرم) فى صرامة :

- ومازلنا لم ننسف ذلك الوغد بعد .

انعقد حاجبا (نور) وهو يغمغم :

- هذا يحيرنى فى الواقع يا (أكرم) ، فبعد كل ما فعله لعزلنا ، يحاول جديًا القضاء علينا .

هتف (أكرم) مستنكراً :

- لم يحاول ماذا ؟! .. كيف تبدو لك هذه الحروق إذن ؟! .. أليست محاولة قتل .

هزّ (نور) رأسه نفياً ، وهو يجيب :

- ولماذا لم يصب وجهك مباشرة ، وبكمية تكفى لقتلك ، كما فعل مع رجلى الأمن ؟!

قال (أكرم) فى حدة :

- ربما لم يجد الوقت ليفعل .

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

- ربما .. أو أنه ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلقت من حلق (أكرم) شهقة قوية ، وهو يحدّق فى نقطة ما خلف ظهر (نور) ، الذى التفت إلى البقعة التى يحدّق فيها (أكرم) بسرعة ، ثم ارتدّ فى عنف كالمصعوق ..

فأمام عيونهما مباشرة ، وعلى آخر ضوء للسترة المحترقة ، بدا مشهد بشع ..

ورهيب .

* * *

٦ - المصيدة ..

« من (م - ١) و(م - ٢) إلى القيادة .. تمت معادلة الضغط ، ونستعد للخروج من المكوك .. » .

تلقى قبطان المكوك هذه الرسالة ، عبر جهاز الاتصال الداخلى ، وراقب ملاحيه (نادر) و(حميد) على الشاشة ، وهما يفتحان الباب الخارجى لحجرة معادلة الضغط ، وبدا التوتر واضحاً فى صوته ، وهو يقول :

- استخدما أنابيب الاتصال ، فكل المعدات الأخرى حبيسة فى القاع .

أجابه (نادر) :

- سنفعل أيها القبطان .. اطمئن .

رآهما الجميع على شاشات المراقبة ، وهما يسبحان فى الفضاء خارج المكوك ، ويمتد من زيهما الفضائيين خرطومان رفيعان ، ينتهيان داخل حجرة معادلة الضغط ، فأشارت إليهما (نشوى) ، متسائلة :

- ما هذا بالضبط ؟!

تنهّد القبطان فى أسف واضح ، قبل أن يجيب :

- إنها وسيلة عتيقة لمعادلة الضغط ، داخل الزى الفضائى ، عن طريق مضخة خاصة داخل المكوك .

ارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تقول :

- وسيلة عتيقة ؟! .. بل قل وسيلة منقرضة يارجل .. لقد درسنا هذا الأسلوب فى كتب التاريخ العلمى فحسب ، ولم أتصوَّر قط أنها مازالت مستخدمة ، حتى هذه اللحظة.!!

تنهَّد القبطان مرة أخرى ، وأجاب :

- هذا صحيح تماماً يا سيِّدتى ، فكل أزياء الفضاء الحديثة تحوى أجهزة مدمجة وفعَّالة ، للحفاظ على مستوى الضغط والحرارة ، ولتمدّ رجل الفضاء بالهواء اللازم ، وبالنسب الصحيحة والصحية تماماً ، ولكن كل سفن الفضاء تحمل معها الأجهزة القديمة ، على سبيل الاحتياط ، وفى حالة حدوث أية أعطال ، أو انفجارات شمسية(*) ، وفى حالتنا هذه ، كنا - للأسف - نحتفظ

(*) الانفجارات الشمسية - تفاعلات نووية ، تحدث على سطح الشمس ، نتيجة لاندماج الذرات بعضها ببعض ، بفعل الحرارة الشديدة ، وتنطلق منها موجات قادرة على إفساد وتعطيل كل إشارات البث اللاسلكية .

بأجهزة التعادل المدمجة فى قاع المكوك ، لذا فلسنا نمتلك ، فى الوقت الحالى ، سوى هذه الأجهزة البدائية .

تدخل (رمزى) قائلاً :

- ليس نوع الأجهزة هو المهم الآن ، فكل ما ننشده هو قطع مسار خط التحكُم فى مدخل القاع ، وتزويده بجهاز تحكُم آخر .

تابع الجميع مشهد الملاحين ، وهما يسبحان فى الفضاء ، فى اتجاه النقطة المنشودة ، وغمغمت (سلوى) بصوت مرتجف :

- ساعدهما يا إلهى ، من أجل (نور) .

أضافت (مشيرة) فى عصبية :

- ومن أجل (أكرم) أيضًا .

فانعقد حاجبا القبطان ، وهو يقول فى صرامة :

- بل من أجل الجميع .

قالها لحسم الموقف ، وعاد الجميع إلى صمتهم ، وهم يتابعون حركة الملاحين ، اللذين يسبحان فى الفضاء ، بمحاذاة الجسم الخارجى للمكوك ، والتقطت أجهزة الاتصال صوت (نادر) وهو يقول :

- طبقًا للخريطة التى نحملها ، فقد وصلنا إلى الموضع المنشود بالتحديد .

أجابه القبطان فى اهتمام .

- عظيم .. تعاون مع (حميد) لقطع جزء ضئيل من سطح المكوك ، للوصول إلى مسار أسلاك التحكم ، وانقل إلينا المشهد كله ، عبر جهاز التصوير المثبت فى زيّك الفضائى .

أتاه صوت الملاح ، قائلاً :

- سأفعل .

ومع آخر حروف كلمته ، حملت الشاشة صورة ذلك الجزء من سطح المكوك ، وأشعة الليزر التى أطلقها (حميد) ، لشقّ المعدن الخارجى .

واحتبست أنفاس الجميع ، وهم يتابعون هذا العمل الدقيق ..

خطوة خاطئة واحدة ، يمكن أن تؤدى إلى ثقب سقف المكوك ، وتدمير وحدة العزل الحرارى كلها ..

ولو حدث هذا ستنخفض الحرارة على نحو رهيب ،

حتى أنها قد تبلغ ثلاثمائة درجة تحت الصفر(*) ..

وهذا يعنى أن الأمر لن يقتصر على فشل مهمة الإنقاذ فحسب ..

بل وسيلقى كل من فى المكوك مصرعهم أيضًا ..

وخلال فترة قصيرة للغاية ..

ثم إنه من المحتمل أيضًا أن تنقطع أسلاك الاتصال الداخلية كلها ، و ..

ولم تكن الفكرة قد اكتملت بعد فى الأذهان ، عندما انطلق فجأة ذلك الأزيز المخيف ..

أزيز حادّ متصل ، مع مصباح أحمر ، راح يضىء وينطفئ فى تعاقب مستفز ، جعل القبطان يقفز من مقعده ، هاتفًا :

- رباه ! .. أحدهم يغلق الباب الخارجى لحجرة معادلة الضغط .

قالها ، وهو يضغط عددًا من الأزرار ، فى اضطراب شديد ، فهتفت (سلوى) تسأله :

(*) حقيقة علمية

ـ هل تعنى أن شخصًا ما ، أو شيئًا ما ، يحاول منع الملاحين من العودة إلى المكوك .

صاح فى عصبية شديدة :

ـ ليت الأمر يقتصر على هذا يا سيِّدتى .. إننا نستخدم أسلوب معادلة الضغط والهواء التقليدى ، ولو أغلق الباب ، سيقطع الخراطيم الصغيرة ، التى تمدّ (نادر) و(حميد) بأسباب الحياة ، وهذا يعنى أنهما سيفقدان الهواء ، وستنخفض حرارة جسديهما إلى أقصى حد ، و ..

قاطعته (نشوى) بشهقة قوية :

ـ ويلقيان مصرعهما .. يا إلهى !! .. لابد من وجود وسيلة لمنع هذا العمل البشع .

بدا القبطان أقرب إلى الانهيار ، وهو يهتف :

ـ إننى أبذل قصارى جهدى يا سيِّدتى ، ولكن الباب يرفض الاستجابة لى تمامًا .. من الواضح أن شخصًا ما يتحكَّم فيه فى القاع .

هتفت (مشيرة) فى مرارة :

ـ القاع مرة أخرى .. أى عذاب هذا ؟!

وشهقت (سلوى) هاتفة :

ـ ماذا يحدث هنا ؟ .. ماذا يحدث ؟!

تجاهل القبطان كل هذا ، وهو يختطف جهاز الاتصال الداخلى ، ويهتف عبره فى انفعال عنيف :

ـ (نادر) .. (حميد) .. عودا إلى المكوك فورًا .. اتركا كل شىء تفعلانه ، وعودا فورًا .

قال (حميد) فى دهشة :

ـ ولكننا على وشك الـ ...

قاطعه القبطان فى غضب :

ـ لا تجادلنى يا رجل .. عودا فورًا وبلا مناقشة .. هذا أمر .

قال (رمزى) فى هذه اللحظة ، وهو يراقب الشاشات :

ـ رباه ! .. لم يعد بإمكانهما هذا .. لقد تم إغلاق الباب تقريبًا .

تراجع القبطان فى ارتياع ، وردَّد بعينين مذعورتين هلعتين :

ـ يا إلهى ! .. يا إلهى !

وفى نفس اللحظة تقريبًا ، هتف (نادر) ، عبر جهاز الاتصال :

ـ رباه !! .. ماذا يحدث يا سيدى القبطان .. إننا نتنفس بصعوبة ، و ..

لم يستطع المسكين إتمام عبارته ، مع ذلك الاحتقان العنيف فى وجهه ، وخرج من بين شفتيه صوت متحشرج مبحوح ، يموج بالألم والذعر ، فى حين صرخ (حميد) :

ـ ماذا يحدث لنا ؟! .. ما هذه البرودة العنيفة .. رباه ! .. النجدة يا قبطان ! .. النجدة !

دفن القبطان وجهه فى راحتيه ، وهو يقول فى مرارة :

ـ اللعنة ! .. اللعنة ! ..

أما الباقون ، فقد اتسعت عيونهم فى ارتياع ، وهم يراقبون شاشة الرصد ، التى نقلت مشهد الباب الخارجى لحجرة معادلة الضغط ، وهو يُغلق عن آخره ، ويقطع الخرطومين الرفيعين ، فى نفس اللحظة التى حملت فيها أجهزة الاتصال شهقتين قويتين مختنقتين ، أعقبهما صمت

رهيب ، وجثتا الملاحين تبتعدان على شاشة الرصد ، وتغوصان فى غياهب الفضاء المظلم ، حاملتين معهما الأمل فى إنقاذ (نور) و(أكرم) ..

آخر أمل ..

* * *

اتسعت عيون (نور) و(أكرم) فى شدة ، أمام ذلك المشهد البشع المخيف ، الذى طالعهما ، على الضوء المتراقص لآخر ألسنة النار ، فى السترة المحترقة ..

وفى ذهول ، هتف (أكرم) .

ـ رباه ! .. يا للبشاعة ؟

فأمام عيونهما تماماً ، كان يقف طبيب المكوك ..

أو بمعنى أدق ، ذلك الذى كان طبيباً للمكوك ..

فعلى الرغم من أن ذلك الكائن ، الواقف أمامهما ، يشبه الطبيب فى هيئته ، ويماثله فى قامته وقوامه ، إلا أنه بدا أشبه بوحش مفترس ، منه بطبيب هادئ قور رصين ، كما وصفه العاملون فى المكوك ..

كان جاحظ العينين ، مهلهل الثياب ، تبعثرت خصلات شعره الأشيب فى شدة ، وحملت نظراته جنوناً مخيفاً .

ولكن الأدهى هو تلك المادة الخضراء ، التى تسيل من طرف فمه ، وتتساقط على صدره وثيابه ، وتحرقهما على نحو بشع ، دون أن يبدو عليه أى أثر للألم أو الاهتمام ..

وقبل أن يستوعب (نور) و(أكرم) المشهد جيدًا ، انطفأت آخر شعلة فى السترة المحترقة ، وعاد الظلام يغرق المكان كله .

وفى عصبية ، هتف (أكرم) :

- هأنتذا قد رأيت خصمك يا (نور) .. دعنى أقتله إذن .

هتف به (نور) :

- انتظر .. الرجل لم يهاجمنا بعد .

صاح (أكرم) ، وهو يجذب إبرة مسدسه :

- وهل سأنتظر حتى يفعل ؟

« اقتله .. » .

انطلقت الكلمة فى المكان بغتة ، بصوت متحشرج عجيب ، لا يشبه ، بأى حال من الأحوال ، صوت (نور) أو (أكرم) ، فتجمّد الاثنان فى مكانهما ، وغمغم (نور) فى دهشة :

- رباه ! .. إنه الطبيب .

ارتفع صوت الطبيب ثانية ، وهو يقول بنفس الصوت العجيب :

- اقتل الصغير .. اقتله الآن .. إنه ليس طفلا .. إنه شيطان .. شيطان .

انتزع (نور) سترته بسرعة ، وألقاها أرضًا ، وهو يطلق أشعة مسدسه الليزرى عليها ، فاشتعلت فيها النيران ..

وتجمدت الدماء فى عروقه ..

فعلى الضوء المنبعث من السترة المحترقة ، رأى الطبيب بهيئته البشعة ، أمامه مباشرة ..

بل يكاد يكون ملتصقًا به ، ووجهه على مسافة سنتيمترات قليلة منه ، وهو يتطلّع إليه بعينيه الجاحظتين ، اللتين اصطبغتا بلون مائل للخضرة ، ويقول بلسانه ، الذى تسيل منه تلك المادة الخضراء المخيفة :

- لا تتردّد .. اقتله .. اقتله قبل أن تفوت الفرصة ، ولا يعود بإمكانك أن تفعل .. اقتله .

حدّق (نور) فى وجهه بدهشة ، واتسعت عيناه فى شىء من الارتياع ، فى حين قفز (أكرم) جانباً ، وهو يهتف مصوّباً مسدسه :

- احم وجهك يا (نور) .

التفت الطبيب إلى (أكرم) فى بطء ، فى حين هتف (نور) :

- لا يا (أكرم) .. لا تفعل .

ولكن (أكرم) جذب إبرة مسدسه فى حزم ، وهو يقول فى صرامة :

- معذرة يا (نور) .. لن أطيع أوامرك هذه المرة .

اندفع (نور) نحوه هاتفًا :

- إنك لا تفهم شيئًا .. هذا الرجل ..

قاطعه صوت كالفحيح انطلق فى المكان كله ، والطبيب يتقدم نحو (أكرم) الذى دفع (نور) جانبًا وهو يصرخ :

- أنت الذى لا يفهم شيئاً .

سقط (نور) أرضاً ، فى نفس اللحظة التى هتف فيها الطبيب :

اقتله .. اقتله الآن .

وضغط (أكرم) زناد مسدسه فى صرامة ..

وانطلقت الرصاصات ..

وأمام عينى (نور) المرتاعتين ، اخترقت الرصاصات رأس الطبيب وصدره وعنقه ، وتناثرت تلك المادة الخضراء فى كل مكان ، و ...

وسقط الرجل جثة هامدة ، عند قدومى (نور) ، الذى حدّق فيه لحظة ، قبل أن يهتف فى غضب :

- ماذا فعلت أيها التعس ؟ .. لقد قتلته .

أعاد (أكرم) مسدسه إلى غمده ، وهو يقول فى صرامة :

- تقبّل أسفى لهذا .. سأحاول التظاهر بالحزن لدقيقة أو (دقيقتين) ولكننى لن أستطيع الاستمرار لأكثر من هذا .

ثم استطرد صائحًا فى غضب :

- ماذا أصابك يا (نور) ؟! .. ماذا دهاك ؟! .. هذا الوغد قتل رجلى أمن بالفعل ، وكاد يفتك بى أيضًا ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ما الذى كان من الممكن أن يفعله بك أيضًا .. ألا يستحق القتل ، بعد كل هذا ؟!

هتف (نور) :

- منطقك يبدو سليمًا وأنيقًا للغاية ، لولا نقطة ضعف واحدة ، يمكنها أن تهدمه كله من أساسه .. هى أن الطبيب ليس هو القاتل ، الذى نسعى خلفه .

صاح (أكرم) :

ـ ليس ماذا ؟! .. هل أصابك خلل ما يا رجل ؟! .. هل نسيت أن الجميع هناك ، ولم يكن ينقصنا ، بعد الذين لقوا مصرعهم ، سوى الطبيب وحده ؟! .. ألم تسمع ذلك الفحيح المخيف بنفسك ، قبل أن أطلق عليه النار ؟! .. سل نفسك سؤالًا واحدًا يحسم الأمر يا (نور) .. لو أن الطبيب ليس هدفنا ، فمن يكون الهدف ؟!

هزَّ (نور) رأسه فى ألم ، وهو يقول :

ـ إنه ليس القاتل يا (أكرم) .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، وأعاد مسدسه إلى حزامه ، والنيران تخبو رويدًا رويدًا ، وهو يقول :

ـ أنت وشأنك يا (نور) .. قل ما يحلو لك ، ولكننى واثق من أن الطبيب هو الخصم الذى نبحث عنه ، وأن موته يضع نهاية حاسمة للمشكلة كلها .

لم يكد ينطق كلمته الأخيرة ، حتى خبت النيران تمامًا ، وعاد الظلام الدامس يطبق على المكان ، ومع عودته ، انتشر فى المكان صوت يأتى من بعيد ..

صوت فحيح ..

فحيح قاتل مجهول ..

★ ★ ★

لم يشعر (أكرم) فى حياته كلها بالتوتر ، مثلما شعر به فى تلك اللحظة ، وهو يقف سجينًا فى الظلام الدامس ، وفحيح القاتل يتردَّد حوله ، ودخان مسدسه لم يتلاش بعد من حوله ، وجثة الطبيب عند قدميه ، فقال فى عصبية :

ـ الآن فقط أدركت شعور الفأر ، عندما يقع فى المصيدة .

لم يعلِّق (نور) على عبارته ، على الرغم من أنه يشعر بأضعاف توتره ، وراح يتلفت حوله فى شىء من القلق والعصبية ، محاولًا تحديد الموضع ، الذى ينطلق منه الفحيح ، ولكن الصمت أطبق عليهما من كل جانب ، كما لو أن الدنيا قد تحوَّلت بغتة إلى قطعة من العدم ، مما ضاعف من قلقهما وتوترهما ، فغمغم (أكرم) :

ـ إنه يعبث بنا

قال (نور) فى سرعة :

ـ لماذا ؟!

كاد (أكرم) يخترق حجب الظلام ببصره ، ليحدِّق فيه ، قائلًا فى دهشة :

ـ لماذا ماذا ؟!

أجابه (نور) فى توتر شديد :

ـ لماذا يكتفى بالعبث معنا ، دون أن يسعى لقتلنا مباشرة ؟

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ هل سمعت من قبل عن لعبة القط والفأر ؟ .. ذلك الوغد يعبث بنا ، ويلهو بإخافتنا وبث الذعر فى نفوسنا ، حتى يدمر أعصابنا ، قبل أن يسحقنا دفعة واحدة ، أو يغرقنا بتلك المادة اللعينة !

انتقل توتر (نور) إلى صوته ، وهو يقول :

ـ ألا يمكنك أن تنطق عبارة واحدة ، دون أن تضيف إليها الشتائم واللعنات ؟

سأله (أكرم) فى غضب :

ـ وهل يصنع هذا فارقاً ، فى ظروفنا هذه ؟

صاح به (نور) :

ـ وهل من الضرورى أن تفعله ؟!

همَّ (أكرم) بالصياح مرة أخرى ، لولا أنه انبعث الفحيح فجأة ، على قيد بضعة أمتار إلى يساره ، فالتفت إلى مصدره فى حركة حادة ، وهتف :

ـ إنه هنا .

انعقد حاجبا (نور) وهو يقول :

ـ احترس .. ربما كان ..

ولكن (أكرم) لم ينتظر ليسمع عبارته ، وإنما انطلق فجأة نحو مصدر الصوت ، وهو يقول فى حماس :

ـ لقد حدَّدت موضعه .

هتف (نور) :

ـ رباه ! .. لا تفعل يا رجل .. إياك أن تتبع الفحيح .

ولكن (أكرم) كان يموج بالانفعال ، حتى أنه تجاهل تحذير (نور) تماماً ، وهو يندفع خلف الفحيح ، الذى انطلق للمرة الثانية ، ووثب لمترين كاملين ، محاولاً بلوغ مصدره ، وهو يشهر مسدسه ، و ...

وفجأة ، سطعت الأضواء كلها فى المكان ..

ومع الضوء الساطع المباغت ، أخفى (أكرم) عينيه المبهورتين ، وهو يهتف :

ـ اللعنة ! .. ما الذى ..

قبل أن يتم عبارته ، انتبه فجأة إلى صوت خافت من خلفه ، فاستدار إلى مصدره بسرعة ، ورأى (نور) يعدو نحوه ، صائحًا فى ارتياع :

- رباه ! .. كنت أخشى هذا .. كنت أخشاه .

ومع صيحة (نور) ، اتسعت عينا (أكرم) فى شىء من الذعر والتوتر ، وهما تحدقان فى ذلك الباب ، الذى يتحرَّك فى سرعة ، ليحول بينه وبين (نور) ..

وفى اللحظة التالية مباشرة ، ومع انغلاق الباب تمامًا ، أدرك (أكرم) طبيعة الفخ ، الذى قاده إليه القاتل المجهول ..

ولكن إدراكه هذا جاء بعد فوات الأوان ..

ففى نفس اللحظة ، التى حدَّد فيها موقفه ، بدأ الباب المقابل ينفتح فى بطء ، ومن خلفه ، بدا الفضاء الخارجى واضحًا ، بظلامه ذى النجوم المتناثرة ..

وتعلَّقت عينا (أكرم) بعبارة بارزة على الجدار ، تقول : « حجرة الدفع الخارجى » .

وفى الحجرة المحدودة ، انطلقت فرقعة مخيفة ..

فرقعة تعنى أن الضغط ينخفض بشدة ..

وأن كل ما فى الحجرة سيتم دفعه بمنتهى القسوة إلى الفضاء الخارجى ، بلا أدنى استثناء .. أو رحمة .

★ ★ ★

وفى الحجرة المحدودة ، انطلقت فرقعة مخيفة ..

٧ - بلا رحمة ..

« لابد من وجود حل .. » .

رددت (نشوى) العبارة فى توتر بلا حدود ، وهى تدور فى الحجرة كالمجنونة ، فى حين تركت (سلوى) دموعها تنساب على وجنتيها ، وهى تجلس فى الركن ، محاولة اعتصار ذهنها ، للتوصُّل إلى حل للمشكلة ، وانفجرت (مشيرة) باكية فى الركن الآخر ، وراح (رمزى) يقول فى عصبية :

- مهما كان ما يحدث هنا ، فلا ينبغى له أن يوقفنا عن التفكير قط .. لقد اعتدنا مع (نور) على ألا نستسلم لليأس قط ، مهما كانت الظروف والمحبطات من حولنا ، وأنه هناك حتمًا حل لكل مشكلة ، مهما بدت شديدة التعقيد ، ثم إنه سبق لنا أن نجونا من مآزق أكثر صعوبة ودقة .

قال القبطان فى سخط يائس :

- حسن .. ها هوذا الموقف أمامكم .. أعفونا من سماع بطولاتكم السابقة ، وأخبرونا ما الذى يمكن عمله ، لفتح ذلك المدخل .

أجابته (سلوى) فجأة فى حزم :

- الكثير .

ثم التفتت إلى ابنتها (نشوى) ، وقالت فى حماس مفاجئ :

- (نشوى) ، هل يمكنك دخول البرنامج الأساسى للمكوك ؟

أجابتها (نشوى) بنفس الحماس ، وكأنما انتقلت عدواه إليها بغتة :

- بالطبع .. أنسيت أنى خبيرة كمبيوتر من الطراز الأوَّل ؟

ثم نهضت إلى الكمبيوتر ، فقال القبطان بشىء من التوتر :

- الدخول إلى البرنامج الأساسى للمكوك محظور ، ومستحيل تمامًا ، فهو يحوى كل المعلومات الأساسية لتشغيله ، وهذا يعدّ أحد الأسرار العلمية .

أجابته (نشوى) ، وأصابعها تتحرَّك على الأزرار فى سرعة :

ـ لا تقلق نفسك بهذا الشأن ، واترك لى المهمة .

راقبها الجميع فى قلق ، وهى تواصل مهمتها ، وتملأ الشاشة بالمعلومات ، حتى انبعث الصوت الإليكترونى للكمبيوتر ، قائلاً :

ـ حدّد كلمة السر للدخول إلى البرنامج الأساسى .. تحذير .. محاولة الدخول غير مسموح بها إلا لأفراد وحدة الأمن الخاصة .

وهنا ، قال القبطان فى عصبية :

ـ لابد من إعطائه كلمة السر الأساسية ، وإلا فهو يقوم بمحو برنامجه كله ، تطبيقًا لتعليمات الأمن .

أجابته (نشوى) ، وهى تواصل عملها فى حماس :

ـ اطمئن .. لن يفعل هذا .

قال فى حدة :

ـ وما الذى يجعلك واثقة هكذا ؟

أجابته بسرعة :

ـ لأننى واحدة من مبرمجى هذه البرامج الأمنية الخاصة ، وأعلم جيدًا أننا نضع خطوة احتياطية ضرورية ، لمنع التسرّع بمحو المعلومات الأساسية ، عند

حدوث خطأ عفوى ، فالبرنامج يمنحك فرصة أو فرصتين للخطأ غير المقصود ، ثم ينتقل إلى برنامج التدمير الذاتى ، إذا ما تواصل الإصرار على الخطأ .

سألها فى مزيج من الدهشة والعصبية :

ـ وهل يمكنك التوصُّل إلى كلمة سر من ثمانية رموز ، بعد محاولتين فحسب ؟

أجابته فى حسم :

ـ كلاً بالطبع ، إننى أحتاج إلى عشرة أخطاء على الأقل ، قبل أن أتوصّل إلى الشفرة ، باستخدام برنامج خاص ، يندرج تحت قائمة السرية المطلقة ، وكل ما أفعله الآن هو أننى أضيف برنامجًا أمنيًا جديدًا ، يضاعف فرصة الخطأ سبع مرات ، أى أن الكمبيوتر سيمنحنى الحق فى أربعة عشر خطأ ، قبل أن ينتقل إلى مرحلة التدمير الذاتى .

فغر القبطان فاه ، قائلاً :

ـ بهذه البساطة !

أجابته (سلوى) فى شىء من الفخر :

ـ الأمر ليس سهلا على الإطلاق .. إنه بالغ الصعوبة

والتعقيد ، إلى درجة لا يمكن تصورها ، ولكن ابنتى خبيرة فى مجالها .

حدق القبطان فى (نشوى) فى دهشة ، وهى تواصل عملها لثلاث دقائق أخرى ، قبل أن تعتدل ، قائلة فى حسم :

- نحن داخل البرنامج الرئيسى الآن .

قفز القبطان من مقعده ، هاتفًا :

- مستحيل !

قال (رمزى) فى حزم :

- ألم أقل لك أيها القبطان ؟! .. فريقنا لا يؤمن بالمستحيل !

وانتقلت (سلوى) بسرعة إلى جوار (نشوى) ، قائلة :

- والآن ابحثى فى البرنامج الأساسى عن ذبذبة التوصيلات ، فى الكابلات الرئيسية ، وبالذات حول ذلك المدخل .

ضربت (نشوى) الأزرار بأصابعها ، وهى تقول :

- ليست هناك أية مشكلة .. إنها معلومات أساسية .

تراصت الأرقام على الشاشة فى سرعة ، وراحت (سلوى) تراجعها فى اهتمام ، قبل أن تشير إليها ، قائلة .

- لا بأس .. هنا ينتهى دورك ، ويحين دورى أنا .

أفسحت لها (نشوى) المجال على الفور ، فجلست (سلوى) أمام الشاشة ، وراحت تضرب على الأزرار ، والقبطان يراقبها فى دهشة ، قبل أن يسأل :

ما هذا بالضبط ؟! .. ما الذى تفعلينه يا سيدتى ؟! .. إنك توصلين بعض الأجهزة ببعضها ، دون رابط محدود .. ما شأن جهاز تنقية الهواء (بالميكروويف) فى المطبخ ؟ وما علاقتهما معًا بشفاط التنظيف ؟

تجاهلت (سلوى) سؤاله تمامًا ، فى حين قال (رمزى) فى حزم :

- اتركها تعمل أيها القبطان .. إنه مجال تخصصها .

سأله القبطان فى حدة :

- أى تخصص هذا ؟ .. خلط الأمور بعضها بالبعض .

أجابه فى صرامة :

بل الاتصالات والذبذبة .. إنها تسعى لتوليد ذبذبة

خاصة ، يمكنها من خلالها استعادة السيطرة على المدخل من هنا .

هتف القبطان مستنكرًا :

- عن طريق شفاط و(ميكروويف) وجهاز تنقية هواء ؟

أجابه (رمزى) :

- بالتأكيد .. هذا هو الفارق بين الهواة والخبراء .

هتف القبطان معترضًا :

- ولكن هذا ..

قبل أن يتمّ عبارته ، أضىء فجأة مصباح صغير فى سقف المكان ، فاتسعت عيون الجميع فى ارتياع ، وهتف (رمزى) :

- رباه ! .. غرفة الدفع .

وعلى الرغم من أنه لم يكن بإمكانها قط أن ترى ما يحدث هناك فى حجرة الدفع الفضائى ، إلا أن شيئًا ما فى أعماقها جعل (مشيرة) تنتفض فى عنف شديد ، وتهبّ من مقعدها مذعورة ، وصورة (أكرم) تملأ كيانها كله ..

ثم انطلقت من حلقها صرخة ..

صرخة كانت تعنى الكثير ..

والكثير جدًا ...

★ ★ ★

لم تكد تلك الفرقعة المخيفة تنطلق ، حتى وثب (أكرم) بحركة دفعته إليها تلك الغريزة الكامنة فى أعماق كل كائن حى ، والمعروفة باسم عزيزة البقاء وتشبّث بقائم معدنى فى جدار حجرة الدفع الفضائى ، التى انفتح بابها فى بطء ، وراح الضغط والهواء ينخفضان داخلها فى سرعة ، وقوة هائلة تجذب (أكرم) فى عنف ، محاولة دفعه خارج المكوك ، إلى الفضاء الخارجى المخيف ..

ولا ريب فى أن (أكرم) قد بذل جهداً هائلاً بحق .. جهداً يفوق - بلا شك - طاقة أى بشرى عادى ، وهو يتشبّث بالقائم المعدنى بكل قوته ، وصدره يكاد ينفجر ، فى انخفاض الهواء ، ووجهه يحتقن بشدة ، مع التدنى السريع والشديد فى الضغط والحرارة ..

ولكنه كان ، وعلى الرغم من كل هذا ، جهداً يائساً ..

جهد رجل يدرك جيدًا أنه يقاتل فى معركة يائسة ..

معركة لا ينتصر فيها عادة إلا ظافر واحد ، لم يخسر قتالًا أو حربًا منذ الأزل ..

الموت ..

فما هى إلا لحظات معدودة ، وينفجر صدره ووجهه مع انخفاض الضغط ، أو تتجمَّد أطرافه حتى تتهشَّم(*) ، أو تنطبق رئتاه من نقص الهواء ..

المهم ، ومهما كانت الأسباب ، أنه سيلقى مصرعه فى النهاية ..

وهذه النهاية ستأتى بعد لحظات معدودة ..

ومحدودة ..

أما (نور) فقد أصابه ارتياع عنيف بالخارج ..

لقد رأى زميله داخل حجرة الدفع الفضائى ، التى أغلقت عليه تمامًا ، وأعلن مصباحها أن بابها الخارجى يتم فتحه ، استعدادًا للفظ كل ما تحويه إلى الظلام الدامس البارد اللا نهائى .

ولم تكن هناك وسيلة واحدة لتفادى هذا ..

(*) البرودة الشديدة تجعل الأجسام قابلة للكسر ، مهما بلغت صلابتها .

لقد ضغط (نور) زر الإيقاف أكثر من مرة ..

ولكنه لم يستجب قط ..

كان من الواضح أن شخصًا ما ، أو شيئًا ما قد سيطر على عمليات التحكُّم تمامًا ، من نقطة مجهولة ، فى مكان ما من قاع المكوك ..

وأن ذلك الشخص ، أو ذلك الشىء ، قد قرَّر الوصول إلى هدف واحد ..

القضاء على الجميع ..

وبلا رحمة ..

ولأوَّل مرة فى حياته كلها ، انهارت مشاعر (نور) ..

لقد كان الموقف يفوق احتماله بالفعل ، خاصة وهو يشعر بكل هذا العجز ، وصديقه يلقى مصرعه على قيد خطوات معدودة منه ، وذلك الفحيح المخيف يتردَّد حوله ، وكأنما ينبعث فى كل الدنيا ..

وبكل الإحباط والقهر والمرارة والسخط فى أعماقه ، صرخ :

ـ كفى .. كفاك ما تفعل بنا .. كفى .

حملت صرخته كل ما تموج به نفسه من مشاعر وأحاسيس وانفعالات ، وردّدتها جدران المكان كله ، وامتزجت بالفحيح الرهيب ، و ...

وفجأة ، حدثت المعجزة ..

وأضيء مصباح أخضر فوق الباب الداخلى لحجرة الدفع الفضائى ..

وكان هذا يعنى حدوث تغيير جوهرى ..

وحاسم ..

ومن المؤكَّد أن أكثر شخص شعر بهذا التغيير هو (أكرم) نفسه ..

لقد انهارت مقاومته أو كادت ، وتجمَّدت أطرافه ، وشارف صدره على الانفجار ، حتى أنه هتف فى أعماقه :

ـ وداعًا أيتها الحياة .. وداعًا يا (مشيرة) .. سامحينى يا حبيبتى .. كنت أتمنى أن أحيا إلى جوارك لفترة أطول ، ولكن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، بدأ ذلك التغيير بغتة ..

لقد انطلق أزيز متصل عنيف ، امتزج بصرير مخيف ، و ..

وانهارت مقاومة (أكرم) تمامًا ..

ومع انهيارها ، أفلتت يده ذلك القائم المعدنى، الذى تشبَّث به طويلًا ..

وسقط جسده ..

جذبته قوة التخلخل الرهيبة نحو المدخل الخارجى لحجرة التفريغ الفضائى ، فطار جسده عبرها ، واتجه نحو الفراغ المميت ..

ثم حدث الارتطام ..

ارتطم بغتة بالباب فى عنف ، وأطلق شهقة قوية ، كاد يلفظ معها أنفاسه الأخيرة ، قبل أن يبدأ عمل أجهزة التكيُف ، ويرتفع الضغط ودرجة الحرارة ، ويسقط جسده أرضًا ، وهو يلهث بشدة ، مع عودة الهواء إلى المكان ..

وعندئذ ..

عندئذ فقط انتبه إلى أن الباب الخارجى لحجرة الدفع الفضائى قد عاد إلى موضعه ..

وأن بابها الداخلى انفتح على التو ..

وفى تهالك ، رأى (نور) يندفع نحوه ، هاتفًا :

ـ (أكرم) !.. يا إلهى !.. حمدًا لله .. أنت حى .. حى .

كان يريد أن يتحدَّث ..

أن ينطق شيئا ..

أى شىء ..

ولكن عجز عن هذا تمامًا ..

وفى توتر شديد ، راح (نور) يدلك أطرافه فى سرعة ، قائلا :

ـ رباه ! .. أطرافك باردة كالثلج .. أنت تحتاج إلى إسعاف عاجل .

كاد يهتف ساخرًا :

ـ ألم تملّ ترديد تلك العبارة يا (نور) ؟

ولكن هتافه هذا ظلّ فى أعماقه ، دون أن يتجاوزها ، وإن حملت شفتاه ابتسامة باهتة متهالكة ، لم تكد تولد ، حتى وأدتها آلامه ، التى تجاوزت كل الحدود التى عايشها من قبل ، فى حياته كلها ..

لم يكن يفهم ما الذى حدث بالضبط ؟! ..

لماذا تم إغلاق الباب الخارجى ، فى اللحظة الأخيرة ؟!..

وكيف ؟! ..

ولم يكن يعنيه أن يفهم ؟! ..

المهم أنه نجا من ذلك المصير البشع ..

مؤقتًا على الأقل ..

وفى قوة ، راح (نور) يجذبه إلى خارج الحجرة ، وهو يهتف فى توتر بالغ :

ـ هل تسمعوننى بالخارج ؟! .. هل يمكنكم سماعنا أم لا ؟

كان يلقى عبارته ، دون أدنى أمل فى جواب شاف ، إلا أنه فوجئ بصوت (سلوى) ، يتردَّد فى المكان كله ، وهى تقول فى انفعال :

ـ يا إلهى ! .. (نور) و(أكرم) .. إنكما على قيد الحياة .. حمدًا لله ! .. حمدًا لله .

خفق قلبه فى قوة ، وهو يهتف فى لهفة :

ـ (سلوى) .. هل تسمعيننى ؟ .. هل ترينا ؟!

أتاه صوت ابنته (نشوى) ، عبر أجهزة الاتصال الداخلية ، وهى تهتف فى حماس :

ـ نعم يا أبى .. إننا نراك .. كل شىء تم إصلاحه .. لقد تصرَّفت أمى بعبقرية فذَّة ، واستعادت التحكم فى كل شىء .. كل شىء .

لم تكن عبارتها قد انتهت بعد ، عندما انفتح المدخل ، واندفع ثلاثة من رجال أمن المكوك عبره ، وهم يحملون مدافعهم الليزرية ، وانتشروا فى المكان بسرعة ، وخلفهم القبطان يقول بلهجته الآمرة الصارمة :

ـ فتشوا المكان كله .. لا تتركوا شبرًا واحدًا دون أن تمنحونى تقريرًا وافيًا عن كل ما فيه .

ثم اندفع نحو (نور) و(أكرم) ، مستطردًا فى لهفة :

أأنتما بخير ؟! .. أين رجلا الأمن ؟ وأين الـ ..

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى وقع بصره على جثة أحد رجلى الأمن ، فاتسعت عيناه فى ارتياع ، وهتف :

ـ رباه ! .. ماذا حدث هنا ؟!

هتف به (نور) فى توتر بالغ :

ـ سنشرح لك كل شىء فيما بعد ، أما الآن ، فأرسل فى طلب من يعاوننى على إسعاف زميلى .. لقد تعرّض لتجربة رهيبة ، كادت تودى بحياته ، ونجا منها بما يشبه المعجزة .

بدا الهلع على وجه القبطان ، وهمّ بالاتصال ببعض رجال طاقمه ، عندما ارتفع صوت يقول فى حزم :

ـ اترك لى هذه المهمة يا (نور) .

أدار (أكرم) عينيه إلى (رمزى) فى تهالك ، فى حين سأله (نور) فى توتر :

ـ أتعتقد أنه بإمكانك القيام بهذا ؟

انحنى (رمزى) يفحص (أكرم) ، قائلا :

ـ أنسيت أننى طبيب ؟!

ثم انعقد حاجباه ، وهو يستطرد :

ـ ربّاه ! .. حالته سيئة بحق .. لابد أن نعيد الدفء إلى جسده بأقصى سرعة ، وإلا أدى القصور فى دورته الدموية الطرفية إلى مضاعفات بالغة الخطورة .

سأله القبطان فى لهفة :

ـ وما الذى يمكننا فعله فى هذا الشأن ؟

أشار إليه (رمزى) قائلا :

ـ مُرْ رجالك بإعداد حوض من الماء الدافئ ، وبأقصى سرعة .

ألقى القبطان الأمر إلى رجال طاقمه على الفور ، ثم سأل (نور) :

- هل عثرتما على الطبيب والطفل ؟

أشاح (نور) بوجهه فى مرارة ، وهو يقول :

- الطبيب لقى مصرعه ، وستجد جثته بالقرب من هنا ، ولكننا لم نعثر على الطفل بعد ، وهناك شىء ما هنا ، هو المسئول عن كل ما حدث .

سأله القبطان فى توتر منفعل :

- شىء مثل ماذا ؟

هزّ (نور) رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يغمغم :

- لست أدرى .. لا يمكننى الجزم بأى شىء .

انعقد حاجبا القبطان ، وهو يقول فى عصبية :

- ينبغى أن نعرف ما الذى يتوقّع الرجال العثور عليه هنا ؟

انفرجت شفتا (نور) وهمّ بقول شىء ما ، عندما اندفع أحد رجال الأمن إلى المكان ، قائلًا :

- سيّدى .. لقد عثرنا عليه .

هتف القبطان فى لهفة :

- ذلك الشىء ؟!

هزّ رجل الأمن رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- كلاً يا سيّدى .. كنت أقصد الطفل .. الطفل المختطف .

قالها وصوته يحمل انفعالا عجيبًا ..

انفعالاً يجمع ما بين التوتر والضيق .. والخوف .. كثير من الخوف ..

★ ★ ★

اتسعت عينا (نشوى) ، وسرت فى عروقها قشعريرة باردة كالثلج ، وانتفض قلبها فى عنف ، وهى تحدّق فى ابنها للمرة الأولى ..

كان (رمزى) قد شرح لها ما ستراه بالضبط ، فى محاولة للتخفيف من أثر الصدمة ، إلا أن الاستماع إلى التفاصيل شىء ، ورؤية الطفل رأى العين شىء آخر ..

لقد كانت تعلم أنه يمتلك بشرة خضراء ، ولكن عقلها حاول أن يخدعها ، وأن يقنعها بأن الآخرين يبالغون فى وصف ابنها ، وفى إضفاء سمات غير طبيعية عليه ..

ولكنها الآن تراه ..

وتعلم أنهم لم يبالغوا أبدًا ..

لقد وصفوا فقط ما رأوه ..

وبكل دقة ..

ولكن المثير أنها ، وعلى الرغم من دهشتها وانزعاجها ، لم تشعر بذرة واحدة من الخوف ، وهى تتطلّع إليه ..

بل على العكس ، لقد فاضت مشاعرها نحوه ، وغمر العطف والحنان قلبها ، وهى تتطلّع إليه ، شأن أى أم ترى وليدها الأوّل ..

وبكل ما يغمر أعماقها من مشاعر وانفعالات ، همست :

ـ قرّ عينًا يا حبيبى .. لقد عدت إلى والديك ، وستبقى معهما إلى الأبد بإذن الله (العلى القدير) .

قالتها ، وهى تمدّ يدها لتتحسّسه فى رفق ، إلا أن (رمزى) قبض على معصمها فى قوة ، ليمنعها من لمسه ، وهو يقول :

ـ معذرة يا حبيبتى ، ولكن لا يمكننى أبدًا أن أسمح لك بهذا .

هتفت فى حدة :

ـ ولكنه ابنى .

أجابها فى رفق ، محاولًا تهدئتها :

ـ لا أحد ينكر هذا ، أو يمكن أن ينكره ، ولكننا أمام حالة عجيبة ، تحتاج منا إلى كل الحذر والعناية والدقة ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، كيف يمكن أن تكون عواقب أية خطوة عشوائية غير مدروسة .

قالت فى غضب :

ـ وما الذى يمكن أن يحدث ، إذا ما لمست الأم ابنها ؟

قال ، وهو يحتضنها فى تعاطف وتفهُم :

ـ ليتنا نعلم ما يمكن أن يحدث .. لو أننا عرفنا لما كانت هناك مشكلة .. المشكلة الحقيقية هى أننا نجهل كل شىء تقريبًا عن ابننا وما أصابه ، ثم إن لدينا حالة غامضة ، أصيب خلالها الطبيب (رحمه الله) بما يشبه العدوى ، وتحوّل بدوره إلى شىء مخيف .. لقد حاولت تحليل دمه ، ولكننى لم أجد فى عروقه سوى تلك المادة الخضراء .

بدأ القلق يتسلّل إلى نفسها ، وهى تقول :

- ربما أصابته العدوى من المشيمة ، التى انفجرت فى وجه ممرضته .

أومأ برأسه موافقًا ، قبل أن يقول :

- حتى لو افترضنا أن هذا ما أصابه ، وأن العدوى لم تنتقل إليه عندما حمل الطفل من مهده ، وهبط به إلى قاع المكوك ، فالنتائج واحدة فى الحالتين ، وهى أنه أصيب بالعدوى بسبب تلك المادة الخضراء الغامضة ، التى تجرى فى عروق ابننا مجرى الدم .. أليس كذلك ؟

حدّقت فى وجهه لحظة ، ثم لم تلبث أن ألقت نفسها بين ذراعيه ، وانفجرت باكية فى حرارة ، وهى تهتف :

- لماذا يحدث لنا هذا يا (رمزى) ؟! .. لماذا ابننا دون أطفال الأرض جميعًا ؟

أجابها فى حنان ، وهو يضمّها إليه فى رفق :

- لأن ابننا يختلف عنهم جميعًا يا (نشوى) .. لقد أنجبته أم ذات سمات خاصة ، نمت بأسلوب صناعى مجهول(*) ، وحملته فى رحمها على كوكب آخر ،

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢)

وتعرّضت قبيل مولده إلى تجربة رهيبة ، أثّرت حتمًا فى تكوينها أو تكوينه(*) ، فما الذى تتوقعينه من كل هذا ؟!

بكت أكثر ، هاتفة :

- لم أعد أحتمل يا (رمزى) .. لقد قاسيت الكثير والكثير .. لماذا أنا دائمًا ؟! .. لماذا ابنى ؟! .. لماذا ؟

تنهّد ، قائلًا :

- إنه قدرك يا (نشوى) .. قدركَ وقدرى يا حبيبتى ، والإنسان لا يمكنه ، ولا يستطيع اختيار قدره ، أو حتى الاعتراض عليه .. نحن لا نملك هذا .. كل ما نملكه هو أن نردّد دعاءً واحدًا .. اللهم إنى لا أسألك رد القضاء ، ولكنى أسألك اللطف فيه .

قالها ، وهو يقودها فى رفق إلى خارج الحجرة الطبية ، التى يرقد فيها الصغير ، فسألته منزعجة :

- هل سنتركه وحده ؟

ربّت عليها فى حنان ، مجيبًا :

- اطمئنى يا حبيبتى .. اطمئنى تمامًا .. إنه داخل

(*) راجع قصة (بلا أثر) .. المغامرة رقم (١٠٦) .

حضّانة خاصة ، تمنحه الماء والغذاء على نحو علمى منتظم ، وتقوم بفحص دمه كل ساعة .. أعنى تلك المادة الخضراء ، التى تسرى فى عروقه ، وتسجّل كل النتائج على أسطوانات مدمجة أوّلاً فأوّلا، ولسنا نملك مانفعله له.

سألته متوترة :

ـ وماذا عن أمنه ؟

أجاب على الفور :

ـ هناك اثنان من رجال أمن المكوك ، يقومان على حراسة المكان طوال الوقت ، وما هى إلا أيام ثلاثة ، ونصل إلى الأرض ، حيث يقوم العلماء المتخصصون بفحصه والتعامل مع حالته .

غمرت الدموع وجهها ، وهى تخرج مع (رمزى) من الحجرة ، وألقت نظرة أخيرة على الطفل ، قبل أن تُغلق الباب خلفها فى حرص ، وكأنها تخشى أن تزعجه ..

ولثانية أو ثانيتين ، ران صمت مطبق على الحجرة ، بعد انصرافها مع زوجها ..

ثم فجأة ، انبعث صوت مخيف .

صوت فحيح متصل .

★ ★ ★

وألقت نظرة أخيرة على الطفل ، قبل أن تُغلق الباب خلفها فى حرص ، وكأنها تخشى أن تزعجه ..

٨ - إلى الأرض ..

انعقد حاجبا (نور) فى توتر عنيف ، وهو يقول لقائد فريق الأمن فى حدة :

- ماذا تعنى بأنكم لم تعثروا على أى شىء فى القاع ؟! .. هناك شىء ما حتمًا ، وإلا فكيف تفسِّر كل ما حدث ؟!

أجابه الرجل فى صرامة :

- التفسير مهمتك أنت ، وليس مهمتى أنا يا رجل المخابرات العلمية .. لقد طلب منا القبطان تفتيش القاع ، فقمنا بعملنا خير قيام ، وعلى أكمل وجه ، ولم نعثر على أى شىء ، وهذا كل ما لدينا .. خذه ، وادرسه ، وفسره ، أو ألقه خلف ظهرك ، ولكنك لن تجد لدينا سواه .

تطلَّع إليه (نور) لحظة فى صمت ، قبل أن يميل نحوه ، ويقول فى لهجة شديدة الحزم والصرامة :

- أرهف سمعك ، وأنصت إلىَّ جيدًا يا رجل .. بمقتضى كل القوانين والأعراف ، التى تحكم السفر عبر الفضاء ، فإننى أمتلك السلطة الكافية للإمساك بزمام

الأمور هنا ، من الناحية الأمنية بالتحديد ، وهذا يعنى أنك ، ومهما بلغت رتبتك ، مضطر لطاعة أوامرى تمامًا ، ودون أية مناقشات أو اعتراضات ، حتى يصل المكوك إلى الأرض ، وبعدها تتولى المخابرات العلمية الأمر كله ، فتخضع أنت وأنا لسلطتها ، حتى يتم كشف الغموض المحيط بالموقف .. ولو أردت توضيحًا أكثر ، فأنت ، وبكل بساطة ، لا تملك مجرَّد الحق فى مناقشتى ، ولو بحرف واحد ، وإنما عليك تنفيذ كل أوامرى ، وفورًا ، وإلا جرَّدتك من رتبتك ، وحاكمتك بتهمة الخيانة العظمى ، خلال فترة طوارئ قصوى ، وكلانا يعلم أن عقوبة مثل هذه التهمة يمكن أن تصل إلى الإعدام .. هل يبدو حديثى واضحًا ، أم أنه يحتاج إلى مزيد من التفسير ؟!

احتقن وجه الرجل ، وظلَّ يتطلَّع إليه صامتًا ، فكرَّر (نور) فى صرامة عنيفة :

- ما جوابك يا رجل ؟

أجابه الرجل فى عصبية واضحة :

- أنا أدرك القانون جيدًا ، ورجالى كذلك يدركونه ،

ولكنهم أدوا عملهم على خير وجه ، ولا أحد يمكنه ادعاء العكس .. لقد فتشوا بالفعل كل شبر من قاع المكوك ، وفحصوا الأرضيات والجدران ، حتى لقد كادوا يفحصون الثقوب الصغيرة والشقوق الرفيعة بين الجدران والمعدات هناك ، فما الذى تنتظر منهم فعله أكثر من هذا ؟

كانت الحيرة تملأ (نور) عن آخره ، وهو يستمع إلى هذا القول ، ولكنها لم تلبث أن امتزجت بتوتر شديد ، واضطراب عنيف ، كاد يعصف بنفسه من الداخل ، على الرغم من محافظته على هيئته الصارمة ، ومظهره المتماسك ، وانطلقت نفس التساؤلات المخيفة تعربد فى أعماقه ؟!

ما طبيعة عدوهم بالضبط ؟!

من أين يأتى ؟! ..

وكيف ؟!

ترى أهو ....؟!

لم يستطع إتمام تساؤله الأخير ، عندما ارتجّ المكوك بغتة فى عنف ، وعادت صفارات الإنذار تنطلق داخله فى

تتابع مثير للأعصاب ، فهتف رجل الأمن فى عصبية شديدة :

ـ رباه ! .. ما الذى حدث هذه المرة ؟

استلّ (نور) مسدسه ، وهو يهتف :

ـ دعنا نر بأنفسنا يا رجل .

انطلقا يعدوان معًا ، عبر ممرات المكوك ، وقابلهما القبطان فى منتصف المسافة ، وهو يخرج من حجرته الخاصة ، قائلًا :

ـ إنها غرفة القيادة .. أسرع يا (نور) .. أسرعوا جميعًا بالله عليكم .

اندفع الكل بأقصى سرعتهم نحو حجرة القيادة ، ودفع القبطان بابها ، وهو يهتف بالملاحين اللذين يتوليان إدارتها :

ـ ماذا حدث عندكما ؟! .. هل ...

وبتر عبارته بغتة ، وهو يهتف فى شحوب شديد :

ـ رباه ! .. يا إلهى ! .. يا إلهى !

هتف به (نور) :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟

حاول الرجل أن يدفع الباب مرة ثانية ، وهو يقول فى انزعاج :

- الباب مغلق فى إحكام ، ورتاجه يرفض الاستجابة تمامًا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

- لا .. ليس ثانية .

وتعاون مع قائد فريق الأمن ، واثنين من رجاله ، فى محاولة لفتح باب حجرة القيادة ، أو التعامل مع رتاجه ، دون جدوى ، فتراجع (نور) ، قائلًا فى حزم :

- ابتعدوا .

قالها ، وهو يصوِّب مسدسه إلى الرتاج ، فتراجع الجميع فى سرعة وتخبُّط ، قبل أن تنطلق من مسدسه خيوط الأشعة ، وتتفجَّر عند الرتاج ، وتنسفه نسفًا ..

وقبل حتى أن يتلاشى الدخان ، دفع (نور) باب حجرة القيادة فى قوة ، ووثب داخلها ، وهو يشهر مسدسه ، و ...

« يا للبشاعة !! .. » ..

انطلقت الكلمة من بين شفتى رئيس فريق الأمن ، وهو

يتراجع بحركة حادة ، فى حين اتسعت عينا القبطان فى ارتياع ، وانعقد حاجبا (نور) ، وغمغم فى عصبية :

- رباه ! .. ألن ينتهى هذا الكابوس أبداً ؟!

فأمامهم جميعاً ، وفى منتصف حجرة القيادة بالضبط ، سقط الملاحان المسئولان عن قيادة المكوك ، وقد التهمت تلك المادة الخضراء أجزاء كبيرة من وجهيهما وصدريهما ، وراحت تتصاعد منهما أبخرة صفراء باهتة ..

ولثوان ، لم ينبس (نور) أو القبطان ، أو رجال الأمن بحرف واحد ، وهم يحدقون فى ذلك المشهد البشع ، حتى اندفع (رمزى) إلى الحجرة ، وهو يهتف :

- ماذا حدث ؟!

ثم وقع بصره على جثتى الرجلين ، فاستطرد :

- رباه ! .. يا للوحشية !

انتزعت عبارته الجميع من جمودهم ، فالتفت إليه (نور) ، وقال فى صرامة :

- لا تبق هنا يا (رمزى) .. عد بسرعة إلى زوجتك وزوجتى وزوجة (أكرم) ، واعمل على حمايتهن بكل طاقتك وقوتك .

ثم التفت إلى رئيس فريق الأمن ، مضيفًا فى حزم :

- وأنت أرسل أحد رجالك ، لحراسة حجرة (أكرم) ، حتى ينتهى مفعول العقار المسكن المهدئ ، الذى حقنه به (رمزى) ، ويستعيد وعيه ، ومُره ببذل قصارى جهده أيضًا لحمايته ، ومر الرجلين اللذين يحرسان حجرة الصغير أيضًا بهذا .

سأله مسئول الأمن فى توتر :

- ومن أى شىء ينبغى أن يعملوا على حمايتهم جميعًا .

ازداد انعقاد حاجبى (نور) وهو يقول فى صرامة :

- لست أدرى يا رجل .. لا أحد يدرى بعد .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت القبطان ، وهو يقول فى اضطراب شديد :

يبدو أن مشكلتنا لم تعد تقتصر على حماية الآخرين ، والبحث عن ذلك العدو الغامض فحسب يا سيِّد (نور) .

التفت إليه الجميع بنظرة متوترة متسائلة ، فأضاف بصوت يحمل توتر الدنيا كله :

- لقد دمَّر أحدهم كل الخرائط الملاحية الإليكترونية ،

وكل أجهزة التوجيه الفضائى ، وهذا يعنى أنه لم يعد بإمكاننا تحديد وجهتنا .

وبدا صوته أقرب إلى الانهيار ، وهو يستطرد فى مرارة :

- لم يعد بإمكاننا هذا قط .

وكان للخبر وقع رهيب على نفوس الجميع ..

وقع أشبه بصاعقة ..

صاعقة فضائية ساحقة ..

★ ★ ★

أفكار لا حصر لها ، انطلقت فى عقل (أكرم) ، وهو يرقد فى حجرة العناية بالمكوك ..

لم يكن قد استعاد وعيه كاملًا بعد ، أو استوعب الموقف كله فى وضوح ، إلا أن أعماقه كلها كانت تموج بالقلق والتوتر ، والتساؤلات تنطلق فى ذهنه فى تتابع متصل بلا نهاية ..

ما الذى يحدث بالضبط ؟! ..

أى خطر هذا ، الذى يواجهه المكوك ؟! ..

ومن العدو الذى يقاتلونه ؟! ..

بل ما هو ؟! ..

حار عقله طويلًا وطويلًا فى البحث عن جواب شاف ، وفتح عينيه قليلًا ، فانطلقت زفرة ملتهبة إلى جواره ، وأعقبها صوت زوجته (مشيرة) تهتف :

حمدًا لله .. خشيت أن أفقدك .

استدار إليها فى بطء ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة متهالكة ، وهو يغمغم :

ـ ليس بهذه السهولة .

ضمّته إليها فى حنان ، وهى تهمس فى أذنه :

ـ لقد قاسيت الكثير .

أجابها فى خفوف :

ـ يبدو أنها أصبحت عادة ، لا يمكننى التخلص منها .

ابتسمت فى ارتياح ، لروحه المعنوية المرتفعة ، وتلفت هو حوله فى اهتمام ، وهو يستعيد نشاطه رويدًا رويدًا ، قبل أن يسألها :

ـ ما التطورات الجديدة فى الموقف ؟! .. هل عثروا على الوغد ؟!

هزّت رأسها نفيًا ، قائلة :

ـ ليس بعد .. لقد فتشوا القاع كله ، بعد أن أخرجوكما منه ، ولكنهم لم يعثروا على أدنى أثر له .

انعقد حاجباه ، وهو يغمغم :

ـ أين ذهب إذن ؟

لم يكن لديها ما تجيبه به ، فلاذت بالصمت التام ، واكتفت بالتطلّع إليه بعينين حائرتين ، فتنهّد بدوره ، قائلًا :

ـ ربما يعثرون عليه ، عندما نصل إلى الأرض .. هذا لو بلغناها أحياء .

غمغمت فى شىء من الاضطراب :

ـ الأرض ؟!

أقلقته تلك النبرة المتوترة فى صوتها ، فسألها فى قلق :

ـ ماذا حدث ؟!

فكّرت لحظة فى التهرُّب من الجواب ، أو فى البحث عن تبرير ما لتوترها ، إلا أن هذه الفكرة لم تلتهم سوى لحظة واحدة من ذهنها ، قبل أن تحسم أمرها بسرعة ، وتجيب على نحو مباشر :

ـ المكوك لم يعد يتجه إلى الأرض .

انتفض جسده كله فى عنف ، وهو يقول :

ـ لم يعد ماذا ؟!

التقطت نفسًا عميقًا ، فى محاولة للسيطرة على أعصابها ، قبل أن تجيب :

ـ ذلك الشىء الذى نواجهه ، أفسد عمل أجهزة الملاحة ، ودمَّر كل الخرائط وأسطوانات الكمبيوتر ، ولا أحد يدرى إلى أين يتجه المكوك الآن .

اتسعت عيناه فى ارتياع وهبَّ جالسًا على طرف فراشه ، وهو يهتف :

ـ رباه ! .. إنها كارثة .

أشارت بيدها ، قائلة :

ـ (نور) و(سلوى) و(نشوى) مع القبطان ، فى حجرة التوجيه الإليكترونى ، يحاولون البحث عن حل لهذه المشكلة .

انعقد حاجباه فى حزم ، وهو يقول :

ـ لماذا أبقى هنا إذن ؟!

قالها ونهض واقفًا ، والتقط قميصه ، فهتفت به فى هلع :

ـ ماذا تفعل ؟! .. هل جننت ؟! .. (رمزى) قال : إنه من الضرورى أن تظلَّ فى راحة تامة لمدة يوم كامل .

أجابها فى عصبية :

ـ راحة تامة ؟ .. أية راحة تلك التى تتحدثين عنها ، فى ظل هذه الظروف الجديدة ، وما فائدة الحفاظ على صحتى ، ونحن نواجه خطر الضياع فى الفضاء الخارجى ؟!

قالت فى حدة :

ـ وما الذى يمكنك أن تفعله ؟

أجاب فى حزم أكثر :

ـ ربما أمكننى أن أفعل الكثير .

ثم تلفَّت حوله ، مستطردًا:

ـ أين مسدسى ؟!

قالت متضرِّعة :

ـ (أكرم) .. أرجوك ..

كرَّر سؤاله فى حدة عصبية :

ـ أين مسدسى ورصاصاتى ؟

كانت تدرك عدم جدوى مناقشته ، فى مثل هذه

الظروف ، فأطلقت فى أعماقها زفرة حارة ، قبل أن تشير إلى الدرج المجاور ، مجيبة فى يأس :

ـ هنا .

فتح الدرج فى حركة عنيفة ، والتقط مسدسه منه ، وجذب خزانته ، وراح يحشوها بالرصاصات ، قبل أن يعيدها إلى موضعها ، وهو يجذب مشط المسدس ، فسألته فى توتر :

ـ وما الذى يمكن أن يفعله مسدسك ، فى مثل هذه الظروف ؟! .. هل يعيدنا إلى الأرض ؟!

أجابها فى صرامة ، وهو يدسّ المسدس فى حزامه :

ـ من يدرى ؟

قالها ، واندفع مغادرًا الحجرة فى خطوات سريعة نشطة ، وكأنه لم يكن راقدًا فاقد الوعى ، منذ دقائق مضت ، فلحقت به هاتفة :

ـ انتظرنى .

تحرّكا معًا عبر أحد ممرات المكوك ، واقتربا من الحجرة الخاصة ، التى تضمّ طفل (نشوى) ، فسألت (مشيرة) :

ـ هل تعتقد أن للصغير علاقة بما يحدث ؟

أجابها فى حزم :

ـ بالتأكيد ، فكل الأحداث لم تبدأ إلا بعد مولده ، وكلها ترتبط بتلك المادة الخضراء العجيبة ، التى تسرى فى عروقه بدلًا من الدم ، وربما كان لها تأثير .

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدّق فى أسفل باب حجرة الصغير ، فتوقفت (مشيرة) بحركة حادة ، وسألته فى قلق :

ـ ماذا هناك ؟

أدهشها أن أبعدها عنه فى خشونة ، قائلا ، وهو يستلّ مسدسه :

ـ ابتعدى .

فى تلك اللحظة فقط ، لمحت ذلك الخيط من المادة الخضراء ، الذى يسيل عبر الفراغ الضئيل أسفل الباب ، فرفعت يديها إلى فمها ، وهى تطلق شهقة ذعر ، هاتفة :

ـ رباه ! .. الصغير .

أجابها (أكرم) فى حدة أكثر :

ـ قلت : ابتعدى .

ورفع مسدسه ، وهو يتقدم نحو باب الحجرة فى حذر شديد ، قبل أن يثب بغتة ، ويضرب بابها بقدمه ، ثم يقفز داخلها شاهرًا مسدسه ، و ...

« اللعنة ! .. » ..

انطلقت الكلمة من حلقه كالقذيفة ، فور قفزه إلى الحجرة ، على نحو انتفض له جسد (مشيرة) ، وتفجَّر معه فضولها ، حتى أنه هزم كل ما تشعر به فى أعماقها من خوف وتوتر ، وجعلها تندفع نحو الحجرة ، هاتفة :

ـ ماذا حدث ؟! .. هل أصاب الصغير مكروه ، أم ... ؟

ولم تتم سؤالها ، عندما وقع بصرها على الحجرة من الداخل ، بل سرت فى جسدها أعنف انتفاضة شعرت بها ، فى حياتها كلها ، وتراجعت وكأنما أصابتها صاعقة ، وهى تطلق صرخة قوية ..

صرخة رعب ..

★ ★ ★

التقى حاجبا (نور) فى توتر شديد ، وهو يراقب شاشات الكمبيوتر والتوجيه ، فى حجرة التحكم ، قبل

أن يقول فى شىء من العصبية :

ـ من الصعب علىَّ جدًا أن أقتنع بأنه لا يوجد حل أيها القبطان .. طبيعتى الشخصية ترفض هذا تمامًا .. إننى أرفض الاستسلام لليأس والهزيمة ، مهما كانت الأسباب .

أشار القبطان إلى الشاشات ، قائلاً :

ـ أخبرنى باقتراحاتك إذن .. لقد فقدنا كل الخرائط الملاحية ، وفقدنا التحكم فى أجهزة التوجيه ، وحتى الطيَّار الآلى عجز عن العمل .. كيف بالله عليك نجد وسيلة للعودة إلى الأرض ؟!

أجاب (نور) فى حزم :

ـ السؤال الحقيقى هو : هل فسدت أجهزة التوجيه ، أم أننا فقدنا التحكم فيها فحسب ؟!

قال القبطان فى عصبية :

ـ وما الفارق ؟! ..

أجابته (سلوى) هذه المرة :

ـ الفارق ضخم للغاية يا سيِّدى القبطان ، فلو أن أجهزة التوجيه قد تلفت لسبب ما ، فلن يعود بإمكاننا السيطرة عليها قط ، أما لو كنا قد فقدنا التحكم فيها فقط ،

فمن الممكن أن نبذل محاولة للدوران حول منطقة السيطرة ، كما فعلنا مع مدخل القاع .

أومأ القبطان برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح .. ربما ..

ثم استغرق فى التفكير لبضع ثوان ، قبل أن يهز رأسه فى توتر ، قائلاً :

ـ وحتى لو استعدنا سيطرتنا على أجهزة التوجيه ، كيف يمكننا تحديد مسارنا إلى الأرض ، بدون الخرائط الملاحية ؟!

سألته (نشوى) :

ـ ألا توجد نسخة منها فى مكان ما من البرنامج الأساسى للمكوك ، يمكن الوصول إليها عبر الكمبيوتر ؟!

هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ لست أدرى .. إنهم لا يفصحون لنا عن الأسرار بهذه البساطة .

انعقد حاجباها ، وهى تقول :

ـ يمكننا أن نبذل محاولة إذن .

قالتها ، وهى تجلس أمام الكمبيوتر ، وتستعد للتعامل مع البرنامج الأساسى ، كما فعلت من قبل ، و ..

وعندئذ ، انطلقت صرخة (مشيرة) .

كانت بعيدة عن موضعهم إلى حد ما ، إلا أنها انتزعتهم جميعًا من مواضعهم ، وجعلتهم يعدون بأقصى سرعتهم نحو مصدرها ، وما إن بلغوا حجرة الطفل ، ورأوا تلك المادة الخضراء ، التى تسيل خارجها ، حتى هتفت (نشوى) فى ارتياع :

ـ رباه ! .. ابنى .

اندفع (أكرم) خارج الحجرة ، فى اللحظة نفسها ، وهو يقول :

ـ لا تدخلى يا (نشوى) .. لا تفعلى .

صاحت به ، وهى تنقض على الحجرة :

ـ لماذا ؟! .. ماذا أصاب ابنى ؟!

حاول أن يحتجزها ، إلا أنها راوغته فى حركة سريعة ، واندفعت إلى الحجرة ، ثم تسمّرت داخلها ، والرعب يملأ كيانها كله ..

لقد كان أحد رجلى الأمن ملقى وسطها بالضبط ، وقد التهمت تلك المادة المخيفة وجهه بكامله ، وصبغت أجزاء من جمجمته بذلك اللون الأخضر الرهيب .

أما الصغير ، فلم يعد له أثر فى الحجرة .. أدنى أثر !

* * *

حاول أن يحتجزها ، إلا أنها راوغته فى حركة سريعة ، واندفعت إلى الحجرة ، ثم تسمَّرت داخلها ..

٩ - ثانيـــة !!

هزَّ (نور) رأسه فى قوة وعنف ، وهو يراجع خريطة المكوك ، قائلاً فى حدة :

- لا .. لا يمكن أن يحدث هذا ثانية .. لماذا يصرّ بعضهم على اختطاف الصغير فى كل مرة ؟! .. وأين اختفى رجل الأمن الآخر ؟!

أجابه القبطان فى توتر مماثل :

- لم نعثر على أدنى أثر له أو للصغير ، هذه المرة أيضًا ، على الرغم من أننا فحصنا القاع ، وتأكَّدنا من خلوه تمامًا ، ثم أغلقناه بمنتهى الإحكام .

قال (نور) فى عصبية :

- الصغير ورجل الأمن لم يتبخَّرا حتمًا .. إنهما هنا فى مكان ما .

ثم أشار إلى جزء ما فى الخريطة ، مستطردًا :

- ربما هنا ، فى مخزن الأدوات الملاحية .

هتفت (نشوى) فى انفعال عنيف :

- نعم .. دعونا نبحث عنه هناك .

احتضنتها أمها (سلوى) فى حنان مشفق ، وهى تقول :

- اهدئى يا بنيتى .. اهدئى .. كل شىء سيسير على ما يرام بإذن الله .

صاحت (نشوى) وهى تتملّص منها فى عصبية :

أى شىء هذا الذى يسير على ما يرام ؟! .. الأمور تتعقّد أكثر وأكثر فى كل مرة ، وهناك عدوّ ما يصرّ على انتزاع ابنى منى .

التفت إليها القبطان فى حركة حادة ، وهو يقول :

- معذرة يا سيّدتى ، ولكننا لا نعتقد أن هذا ما يحدث بالفعل .

سأل (رمزى) فى غضب :

- ماذا تعنى بالضبط أيها القبطان ؟!

أجابه القبطان محتدًا :

- الرجال هنا يصرّون على أن ابنكما هو المسئول عن كل ما يحدث هنا .

صاحت به (مشيرة) :

- هل جننت أنت ورجالك يا رجل ؟! .. إنه مجرّد

طفل ، لم يتجاوز يومه الأوّل بعد ، فكيف يمكنه أن يكون مسئولًا عن كل هذا الرعب ؟

أجابها القبطان ، وهو يكاد يصرخ فى وجهها :

- إنه مسئول عنه بشكل أو بآخر ، ورجالى لن يحتملوا هذا طويلًا .. إنهم يرفضون البحث عنه الآن ، وربما تطوّر الأمر فيما بعد إلى ما هو أخطر من هذا .

سأله (أكرم) فى صرامة :

أتهديد هذا ؟

أجاب القبطان فى صرامة أكثر :

- بل تحذير .. رجالى بشر وليسوا ملائكة ، والموقف يضغط على أعصابهم بشدة ، ولن تلبث هذه الأعصاب المشدودة أن تنهار ، ويحدث ما لا تحمد عقباه .

استلّ (أكرم) مسدسه ، وهو يقول فى غضب :

فليحاول أحدهم أن يمسّ أحدنا بسوء ، وسيندمون على هذا أشدّ الندم .

أشار إليه (نور) فى صرامة ، قائلاً :

- إننا لا نسعى لشن حرب داخل المكوك .. هذا لن يوصلنا إلى أى حل قط .

قال (أكرم) فى ثورة ، وهو يضرب الجدار بمسدسه :

ـ وماذا عن سعيهم إلى التمرُّد ؟ .. هل سيوصلنا هذا إلى الحل المنشود ؟!

قال (نور) فى غضب :

ـ إنهم لم يفعلوا شيئًا بعد .

أطلق (أكرم) ضحكة عصبية ساخرة ، قبل أن يقول :

ـ آه .. عدنا إلى (نور) المرهف الحس ، وأفكاره الرقيقة العجيبة .. قل لى يا قائدنا الهمام : هل ننتظر حتى يبدءوا تمرّدهم بالفعل ، قبل أن نتخذ خطوة حاسمة ، أم أنك تفضّل أن نفعل هذا بعد نجاحهم فيه ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ الأمور لن تبلغ هذا الحد قط .

صاح به (أكرم) :

ـ هل تراهن ؟!

أجابه (نور) فى حدة :

ـ ليس هذا موضع المراهنة يا (أكرم) .. حاول أن تستوعب الأمور على نحو أكثر واقعية ومنطقية ، و ..

لم تكن عبارته قد اكتملت بعد ، عندما اندفع أحد رجال الأمن داخل الحجرة شاحب الوجه ، وهو يقول :

ـ سيِّدى القبطان .. لقد عثرنا على زميلنا .

سأله القبطان فى لهفة ، وعيون الجميع تلتفت إليه فى سرعة :

ـ أين ؟!

أجابه الرجل فى توتر شديد :

ـ فى مخزن الأدوات الملاحية ، ولكن ..

لم يحتمل أحدهم انقطاعه عن الحديث ، فهتف (رمزى) :

ـ ولكن ماذا بالله عليك ؟

أدار الرجل عينيه فى وجوههم فى توتر بالغ ، قبل أن يشير بسبّابته ، قائلاً بصوت مرتجف :

ـ الأفضل أن تروا بأنفسكم .

قالها ، وانطلق خارج الحجرة ، فلحق به الجميع فى خطوات واسعة سريعة ، أقرب إلى العدو ، حتى بلغوا مخزن الأدوات الملاحية ، حيث احتشد كل طاقم ورجال أمن المكوك المتبقين ، يحدقون داخله فى ذعر واضح ،

فدفعهم (نور) جانبًا ، وهو يقول :

ـ دعونى أمر .. أفسحوا الطريق .

تراجعوا جميعًا فى سرعة ، وأفسحوا له ولفريقه الطريق ، فاندفعوا جميعًا إلى المخزن ، وهتف (أكرم) :

ـ رباه ! .. كنت أتوقع هذا ؟

قالها ، وهو يحدّق فى رجل الأمن ، الذى تعلّقت قدمه بخطاف قوى ، فى سقف المخزن ، على ارتفاع ثلاثة أمتار كاملة ، وتدلّت جثته على نحو بشع مخيف ، وتلك المادة الخضراء تسيل من قدميه ، وتغمر صدره ووجهه وذراعيه التى تحوّلت كلها إلى مزيج رهيب من العظام والأسمال البالية ..

وفى ارتياع رهيب ، هتفت (نشوى) :

ـ يا إلهى ! .. ابنى .. ابنى .

واكتفت (سلوى) و(مشيرة) بشهقة مذعورة مكتومة ، فى حين انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وكذلك (رمزى) ..

أما القبطان ، فقد اكتفى بنظرة سريعة إلى الجثة ، ثم خفض عينيه إلى حيث تتساقط قطرات المادة الخضراء ،

على أرضية المخزن ، وقال فى أشد لهجاته حدة وتوترًا ، وهو يشير إلى نقطة ما :

ـ ماذا كنت تقول حول مسئولية الصغير يا سيّد (نور) ؟!

انخفضت عيون الجُميع إلى حيث يشير ، ثم اتسعت كلها فى دهشة أقرب إلى الذهول ، فيما عدا عينى (نور) ، الذى التقى حاجباه حتى كادا ينعقدان ببعضهما وهو يتطلّع إلى ما يتطلّع إليه الجميع ، وقلبه يخفق فى عنف ..

فهناك ، على أرضية الحجرة ، كانت هناك آثار أقدام واضحة ، ولكنّ أغرب ما فيها هى أنها آثار أقدام طفل .. طفل لم يتخط يومه الأوّل بعد ..

★ ★ ★

غمر قلق شديد مركز المراقبة الرئيسى ، على كوكب الأرض ، بعد أن عجز خبراؤه طويلًا عن الاتصال بالمكوك ، الذى يحمل (نور) وفريقه ، وبدا الإرهاق واضحًا على وجه كبير الخبراء ، وهو يلقى نفسه على مقعده ، ويقول للدكتور (ناظم) ، رئيس مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية المصرية :

- لا فائدة .. لقد جربنا كل وسائل الاتصال التقليدية والخاصة ، ولكننا لم ننجح أبدًا فى إجراء الاتصال بالمكوك .

فرك الدكتور (ناظم) كفيه فى عصبية ، وهو يقول :

- ولكن هذا أمر خطير للغاية .. الاتصال بالمكوك صار أمرًا حتميًا ، بعد أن تغيَّر مساره بغتة .. هناك أمر ما يحدث فى الفضاء ، ونحن نجهل كل شىء عنه ..

قلَّب كبير الخبراء كفيه ، قائلاً :

- وما الذى يمكننا عمله ؟! .. لقد بذلنا قصارى جهدنا .

صاح به الدكتور (ناظم) فى حدة :

- ابذلوا جهدًا أكبر ، واستخدموا وسائل أكثر حداثة ، أو تقنيات أكثر تطورًا .. هؤلاء الذين يحملهم المكوك من خيرة أبطالنا ، وكان المفترض أنهم فى طريق العودة إلى هنا ، بعد أن واجهوا أهوالاً على المريخ ، وتغير مسار المكوك على هذا النحو المباغت ، لا يمكن أن يعنى إلا أنهم مازالوا يواجهون خطرًا داهمًا ، ولابد لنا من السعى لإنقاذهم بأى ثمن .

التقى حاجبا كبير الخبراء ، وراح يفكِّر فى عمق ، قبل أن يقول فى تردُّد .

- ربما كانت هناك وسيلة ، ولكن ..

بتر عبارته لحظة ، ثم هزَّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

- لا .. هذا غير ممكن .

أجابه الدكتور (ناظم) فى لهفة :

- لا يوجد أمر غير ممكن يا رجل .. لقد أخبرتك أن هؤلاء هم خيرة أبطالنا ، ورئيس الجمهورية نفسه لن يتردَّد عن منحكم كل التسهيلات الممكنة ، وعن مدكم بأحدث الأسلحة والتقنيات ، حتى تلك البالغة السرية منها ، لو أن هذا يمكن أن يساعدكم على إنقاذهم ، أو على معرفة ما حدث على الأقل .

تردَّد كبير الخبراء لحظة أخرى ، ثم قال :

- فليكن .. هناك وسيلة واحدة لبلوغ موضعهم بأكبر سرعة فى الكون كله .

هتف الدكتور (ناظم) :

- أتقصد سرعة الضوء(*) ؟!

(*) سرعة الضوء - وهى تساوى فى الفراغ ثلاثمائة ألف كيلو متر فى الثانية الواحدة .

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، قبل أن يقول بشيء من الحماس :

- بالضبط .. إننا نجرى تجاربنا منذ فترة ، على وسيلة جديدة ، لنقل الأشخاص الآليين محدودى المهام إلى الكواكب والمجرات البعيدة ، عن طريق تفتيت ذراتهم ، ونقلها إلى حيث نريد ، عبر حزمة من أشعة الليزر ، بما يعرف باسم الانتقال الآنى ، بحيث يعاد تجميع هذه الذرات ، فى النقطة التى نريدها بالضبط .

سأله الدكتور (ناظم) :

- وما المدى الذى بلغته تجاربكم بالضبط ؟!

مطَّ الرجل شفتيه ، وغمغم :

- أعتقد أنها بلغت حدًّا معقولًا .

ثم هزَّ رأسه ، مستطردًا :

ولكنها فرصة رائعة لإجراء تجربة عملية ، على مدى فاعلية ذلك الأسلوب ، فمن الممكن أن نرسل إليهم رجلًا آليًّا محدودًا ، يحوى رسالة صوتية أو هولوجرافية ، بحيث يصبح أيضًا وسيلة لنقل الاتصالات ، منهم وإليهم .

سأله الدكتور (ناظم) فى لهفة أكبر :

- ومتى يمكنكم إرسال رجلكم الآلى هذا ؟

مطَّ كبير الخبراء شفتيه مرة أخرى ، وهزَّ كتفيه ، قائلا :

- خلال ساعة واحدة ، عندما يتم إعداده ، وإعداد وسيلة النقل الآنى(*) .

هتف الدكتور (ناظم) فى انفعال :

- عظيم .. ابدأ على الفور يا رجل ، وأخبرنى إذا ما احتجت إلى أية تسهيلات أو مساعدات .

نهض الرجل من مقعده ، قائلاً فى حماس :

- بالتأكيد .. سألقى أوامرى للرجال فورًا .

نهض الدكتور (ناظم) بدوره ، وهو يسأله :

- قل لى : هل حدَّدتم الوجهة ، التى يتجه إليها المكوك ؟

أجاب كبير الخبراء بسرعة :

- إنه يعود .

(*) النقل الآنى - الانتقال الآنى - هى عملية افتراضية ، يتم خلالها نقل الجسم من مكان إلى آخر فى لحظة واحدة ، عن طريق تفتيت ذراته وإعادة تركيبها فى مكان آخر ، والأمريكيون يجرون تجاربهم فى هذا الشأن منذ الأربعينات .

توقف الدكتور (ناظم) دفعة واحدة ، وهو يسأله :

- وماذا تعنى بأنه يعود ؟ .. إلى أين يتجه بالضبط ؟!

ازدرد الرجل لعابه ، ورفع سبابته ، يشير بها إلى السماء ، قبل أن يجيب فى حزم واثق :

- إلى المريخ .. مباشرة ..

★ ★ ★

« مستحيل ! .. » .

هتفت (نشوى) بالكلمة فى حدة ، وجسدها كله ينتفض انفعالا ، وتساقطت الدموع من عينيها كالسيل ، وهى تستطرد :

- إنه مجرد طفل رضيع ، بدأ يومه الثانى منذ أقل من ساعة واحدة ، فكيف تتهمونه بأنه المسئول عن كل هذا ؟

ظل (نور) معقود الحاجبين ، صامتًا فى مقعده ، فى حين بدت (سلوى) كالمصدومة ، وانعقد لسان (مشيرة) ، وهى تجلس معهم فى حجرة التحكم الآلى ، وبدا الغضب والانزعاج على وجهى (رمزى) و(أكرم) ، والقبطان يقول فى عصبية :

- كيف تفسرين آثار قدميه إذن ؟!

هتفت ملوحة بيدها فى حنق :

- خدعة .. مجرد خدعة .. أى رضيع هذا ، الذى يبدأ المشى فى يومه الثانى ؟

عقد القبطان حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

- ابنك ليس طفلا عاديًا يا سيدتى ، وكلنا نعلم هذا .

صرخت :

- إنه طفل .. مجرد طفل .

قالتها ، ثم انفجرت باكية فى عنف ، فاندفع إليها (رمزى) واحتواها بين ذراعيه ، وهو يقول :

- اهدئى .. اهدئى يا حبيبتى .. لا داعى لكل هذا .. كل شىء سينتهى بخير بإذن الله .

هتفت فى مرارة :

- ابننا ليس المسئول يا (رمزى) .. إنه مجرد ضحية .. أليس كذلك ؟

احتواها فى صدره أكثر ، وربت عليها مهدئًا ، ولكنها التفتت إلى والدها ، مستطردة فى شىء من اللهفة والضراعة :

- أليس كذلك يا أبى ؟!

انعقد حاجبا (نور) أكثر ، دون أن يجيب سؤالها ، فقال (أكرم) فى حزم :

- إنه كذلك يا (نشوى) ، وسأقتل كل من يدّعى العكس .

أشار إليه القبطان ، هاتفًا فى غضب :

- قل لى يا رجل : هل ستستمر طويلا فى عنادك ، وفى إصرارك على أن تتعامل مع كل الأمور بالقوة ؟!

أجابه (أكرم) فى لهجة عنيفة مستفزة :

- نعم ، مادام الموقف يقتضى هذا .

صاح القبطان :

- وهل تتوقع من الجميع ان يخضعوا لك ؟

أجابه (أكرم) فى حدة :

- لو أنهم بالذكاء الكافى ليفعلوا .

هبّ القبطان من مقعده فى عنف ، قائلاً :

- فى هذه الحالة ستضطرنى لـ ...

صاحت (سلوى) فجأة :

- كفى .. لم أعد أحتمل هذا .. كفى .

كانت صيحتها عصبية للغاية ، بما يكفى لإسكات الجميع ، فهوى على المكان صمت عميق مباغت ،

استمر لبضع دقائق ، قبل أن تقول (نشوى) بغتة :

- لماذا يا أبى ؟!

- رفع (نور) إليها عينين متسائلتين ، وحملت العيون كلها حيرة واضحة ، جعلتها تتابع فى عصبية :

- لماذا لم تجب سؤالى ؟!

تطلّع (نور) إليها بمزيد من الصمت ، فهتفت غاضبة :

- لماذا ؟!

التفت الجميع إلى (نور) ، وكأنهم يستوضحونه الأمر ، وقال (أكرم) فى اهتمام :

- نعم .. لماذا لم تجب سؤالها يا (نور) ؟

ازداد انعقاد حاجبى (نور) أكثر وأكثر ، حتى خُيّل للجميع أنهما سيمتزجان معًا ، وتعلّقت عيونهم بشفتيه ، اللتين انفرجتا قليلا ، وكأنما يهم بإجابة السؤال ، عندما ارتفع صوت (رمزى) ، وهو يقول فى توتر :

- الجواب ليس عسيرًا يا رفاق .. (نور) أيضًا مقتنع بأن حفيده هو المسئول عن كل هذا .

شهقت (نشوى) ، هاتفة بارتياع :

- لا .. مستحيل ! .. قل إن (رمزى) مخطئ يا أبى .. قل : إنه لم يستطع تحليل الأمر نفسيًا هذه المرة .

خفض (نور) عينيه فى تأثر ، وكأنما لا يجرؤ على التطلع إلى ابنته ، وهو يقول :

- زوجك أبرع خبير نفسى عرفته ، فى حياتى كلها يا (نشوى) .

هبّت (مشيرة) من مقعدها مبهوتة ، وشهقت (سلوى) فى قوة ، فى حين عقد (أكرم) حاجبيه فى شدة ، وهتفت (نشوى) :

- رباه ! .. أنت يا أبى .. أنت تقول هذا !

انطلقت من أعماق (نور) زفرة حارة ، قبل أن يقول :

معذرة يا (نشوى) ، ولكنه التفسير المنطقى الوحيد للأحداث .. أنا و(أكرم) واجهنا خصمًا غامضًا فى قاع المكوك ، واستمرت مواجهتنا معه ، بعد مصرع رجال الأمن والطبيب ، وعندما اقتحم الآخرون المكان ، وفتشوه جيدًا ، لم يجدوا سوى ابنك .

اتسعت عيناها فى رعب ، وهى تقول :

- هذا ليس دليلًا .

تنهّد (نور) مرة أخرى ، وقال :

- هناك أيضًا آثار الأقدام ، وذلك الدم الأخضر فى عروقه ..

صرخت فى ثورة :

- هذا ليس دليلًا .. لقد استغلّ أحدهم الظروف التى أحاطت بمولد ابنى ، و ..

« لا تكابرى ياسيّدتى .. » ..

انطلق الصوت هذه المرة من مدخل الحجرة ، فالتفت إليه الجميع فى دهشة ، تفجّرت كالبركان فى أعماقهم ، عندما وقعت أبصارهم على رئيس فريق الأمن ، وهو يصوّب إليهم مدفعه الليزرى ، وخلفه كل من تبقى من رجال المكوك ، وهو يقول فى حزم :

- لقد اعترف رجل المخابرات بمسئولية الصغير ، وحان الوقت لنتولّى الأمر بأسلوبنا .

وكان هذا يعنى أن التمرُّد قد بدأ .. وبعنف .

★ ★ ★

١٠ - انقـــلاب ..

ألقى الدكتور (ناظم) نظرة على ساعته ، فى توتر شديد ، قبل أن يقول لكبير الخبراء فى عصبية :

- ماذا دهاكم يا رجل ؟! .. أخبرتنى أنكم تحتاجون إلى ساعة واحدة فقط ، ولقد تجاوزتموها بالفعل ، ولم يستعد الآلى لعملية الانتقال بعد ؟!

مطَّ كبير الخبراء شفتيه ، وهو يقول :

- مازلنا نعانى بعض الصعوبات الفنية ، فالرجال يقومون بعملية نقل آنى فضائية للمرة الأولى ، ولم يتم زرع الرسالة فى الآلى بعد .

صاح به الدكتور (ناظم) فى غضب :

- ولكن هذا إهمال .. إهمال بشع .. ماذا لو فقدنا أثر المكوك ، قبل أن تستعدوا تمامًا ؟!

أجابه الرجل فى هدوء مستفز :

- اطمئن .. لن نفقد أثره .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) فى غضب ، ومال على الرجل ، قائلاً فى حنق :

- اسمع يا هذا .. ربما تتصوَّر نفسك خبيرًا فذًا فى مجالك ، ولكن صدقنى لو أخبرتك أنه من المستحيل الوثوق فى أى أمر كان ، عندما تتعقَّد الأمور .

هزَّ كبير الخبراء كتفيه ، قائلاً :

- الأمور لم تتعقَّد كما تتصور .. ربما فقد تم الاتصال بالمكوك لسبب ما ، ولكن هؤلاء الرجال هناك لم يفقدوا سيطرتهم عليه بعد .

قال الدكتور (ناظم) فى حدة :

- وكيف يمكنك أن تجزم أيها المتحذلق ؟!

ابتسم كبير الخبراء ، وكأنما يسخر من الدكتور (ناظم) وهو يجيب !

- هذا يبدو واضحاً للغاية يا رجل ، ومن المؤكَّد أن لهم أسبابهم ، التى دفعتهم للعودة إلى المريخ ، فهم يقودون المكوك إليه فى براعة .

ثم ربَّت على كتفه ، مستطرداً فى حسم :

- صدقنى .. أيًا كان ما يحدث هناك ، فهم يعرفون وجهتهم جيداً ..

قالها ، وانصرف ليشرف على عملية الانتقال الآنى ،

دون أن يدرك أن (نور) وفريقه لم تكن لديهم فكرة عن النقطة ، التى يحملهم إليها المكوك ..

أية فكرة ..

★ ★ ★

على الرغم من أن ملاحى المكوك ورجال الأمن فيه ، هم الذين سيطروا على الموقف بغتة ، إلا أن القبطان بدا أشد الموجودين توترًا وانفعالًا ، وهو يقول لرئيس الأمن :

- هل جننت يا رجل ؟! .. هل تدرك ما الذى يعنيه موقفك هذا ؟! .. إنه تمرّد صريح ، يوجب إعدامك فورًا ، طبقًا لقوانين الملاحة الفضائية .

أجابه رئيس الأمن فى حدة :.

- قوانين الملاحة الفضائية أيضًا تمنحنى الحق فى عزل القبطان ، وتسلُّم القيادة ، لو أنه تجاوز الحدود ، أو أصيب بالجنون ، أو بأية إصابة تمنعه من القيام بواجباته كما ينبغى ، ولقد اتفق رأينا على أنك لم تعد تصلح للقيادة يا قبطان .

احتقن وجه القبطان فى شدة ، وهمّ بقول شىء ما ،

ولكن (نور) سبقه قائلاً فى حزم صارم :

- قوانين الملاحة الفضائية تحتم عليك أيضًا إثبات عدم صلاحية القبطان للقيادة ، وإلا اعتبر تصرّفك هذا تمرّدًا .

ابتسم الرجل فى سخرية ، قائلاً :

- أهناك دليل يفوق ما حدث .. طفل شيطانى يقتل تسعة رجال فى يوم واحد ، ويتلف نصف أجهزة المكوك ، ثم لا يتخذ قبطاننا الهمام خطوة واحدة للقضاء عليه .

شهقت (نشوى) ، هاتفة فى ارتياع :

- القضاء عليه .

التفت إليها رئيس الأمن ، وقال فى لهجة متشفية :

- بالطبع يا سيّدتى .. هذا ما اتخذنا بشأنه قرارًا لا رجعة فيه .. سنواصل البحث عن ابنك ، ولكن ليس لإنقاذه أو معالجته .

والتقى حاجباه على نحو مخيف ، وهو يضيف :

- وإنما لقتله فورًا .

امتقع وجه (نشوى) ، وتراجعت فى هلع مذعور ، فى حين قال (نور) فى غضب :

ـ ليس من حقك اتخاذ قرار كهذا يا رجل .
أجابه فى حدة :
ـ بل لى كل الحق يا رجل المخابرات .. حفيدك يقتلنا واحدًا بعد الآخر بلا رحمة ، وسنقتله بدورنا عندما نعثر عليه ، وبلا رحمة أيضًا .
قال (نور) فى توتر غاضب :
ـ هذا يحوّلك من متمرِّد إلى قاتل .
صرخ الرجل فى ثورة :
ـ لست قاتلا .. إننى أدافع عن نفسى وكيانى .. عن كياننا جميعًا .. لقد سمعت ما قاله الطبيب .. ذلك الطفل شيطان مريد ، والأمل الوحيد فى النجاة من شروره هو قتله بلا تردُّد ، وقتل كل من يحاول منعنا من هذا أيضًا .
اندفع (أكرم) يقول بغتة :
لماذا تستمع إليه يا (نور) ؟ .. إنهم خمسة رجال فحسب ، ليس بينهم من يجيد المواجهة والقتال سوى هذا الرجل وزميله ، أما الثلاثة الباقون ، فهم من ملاحى السفينة .
التفت رئيس الأمن إليه ، وهو يقول فى حدة :

ـ ماذا تعنى يا رجل ؟! .. هل تتصوُّر أنك قادر على التصدِّى لنا ؟
تجاهله (أكرم) تمامًا ، وهو يسأل (نور) :
ـ ما رأيك يا (نور) ؟
تطلَّع (نور) إلى الرجال الخمسة ، قائلاً فى حزم :
ـ يبدو أنه فى بعض الأحيان ، لا يصلح سوى أسلوبك يا (أكرم) .
بدا الارتياح على وجه (أكرم) ، وهو يعتدل ويشدّ قامته ، قائلاً :
ـ بالضبط .
قالها ، ووثب فجأة يركل المدفع الآلى من يد رئيس الأمن ، ثم هوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، هاتفًا :
ـ إنه الأسلوب الذى أفضِّله .
تحرَّك رجل الأمن الثانى بسرعة ، فى محاولة لإنقاذ رئيسه ، إلا أن (نور) انقضَّ عليه كالصاعقة ، وهو يقول :
ـ إننى لا أميل إلى هذا الأسلوب فى المعتاد .
ولكمه فى أنفه ، مستطردًا :

ـ ولكنكم أجبرتمونا على هذا .

سقط رئيس الأمن أرضًا ، فى حين تراجع زميله والدماء تغرق وجهه ، من الأنف الذى حطمته لكمة (نور) ، ووثب أحد الملاحين الثلاثة يختطف المدفع الليزرى ، الذى سقط من رئيس الأمن ، وهو يهتف :

ـ كفى .. سأطلق النار فور الـ ...

أمسك (رمزى) ذراعه ، قبل أن يتمّ عبارته ، وقال :

ـ لن تفعل يا رجل .. صدقنى .

وأدار يده بحركة سريعة مدروسة ، فدار معها جسد الرجل كله ، وانطلق خيط الأشعة من المدفع ..

وأصاب وحدة الكمبيوتر الرئيسية ..

ومع دوى الانفجار المحدود ، اندفع جسد (نشوى) إلى الأمام ، وارتطم بجسد أمها ، وسقطت الاثنتان أرضًا ، فى حين دفعت موجة التضاغط (مشيرة) إلى الخلف ، لترتطم بالجدار ، وسقط الرجال جميعهم أرضًا ، وهتف (نور) :

ـ رباه ! .. هل رأيتم ما الذى تسببتم فيه ؟

قفز رئيس الأمن ، محاولًا استعادة مسدسه ، وهو يهتف :

ـ أنتم المسئولون عن كل هذا .

ولكن (أكرم) استقبله بركلة عنيفة فى وجهه ، ألقته إلى الخلف فى قوة ، وقال :

ـ فليكن .. نحن المسئولون ، وأنتم الخاسرون .

سقط الرجل فاقد الوعى ، وتراجع الملاحان الباقيان ، وهما يهتفان :

ـ لا تضربانا .. إننا نستسلم .

نهض (نور) بسرعة ، مصوبًا المدفع الآلى إليهما ، وقائلاً :

ـ فليكن .. هذا أفضل .

أما (نشوى) ، فنهضت هاتفة فى غضب :

ـ هل تدركون ما فعلتموه أيها التعساء ؟! .. لقد تسبّبت حماقتكم فى تدمير الكمبيوتر الرئيسى ، وفقدنا بهذا وسيلتنا الوحيدة لاستعادة التحكم فى المكوك ، واختيار طريق عودتنا إلى الأرض .

هبط الخبر كالصاعقة ، ليس على الملاحين فحسب ، وإنما على الجميع ..

ولكن (أكرم) استقبله بركلة عنيفة فى وجهه ، ألقته إلى الخلف فى قوة ..

لقد انتهى الأمل فى النجاة ..

آخر أمل ..

★ ★ ★

على الرغم من الظلام الدامس ، فى قاع المكوك ، راح ذلك الجسم الضئيل يتحرَّك فى بطء ، مطلقًا فحيحه المتصل ، وكأنما يعرف هدفه جيدًا ، حتى وصل إلى الحجرة الصغيرة ، التى تحوى كل وصلات التحكُّم الرئيسية ..

كان هناك حاجز من الأسلاك ، ذات الزوائد الحادة ، يسدّ مدخل الحجرة تمامًا ، إلا أنه لم يتوقَّف عنده ، وإنما ضغط جسده به فى بطء وقوة ، دون أن يبالى بالأطراف المعدنية ، التى انغرست فيه ، وراح يضغطه ، ويضغطه ، حتى حدث أمر بالغ الغرابة .

لقد اخترق جسده حاجز الأسلاك فى نعومة عجيبة ، وكأنما فقد كل خواصه المادية ، وتحوَّل إلى جسم هلامى ، لم يكد ينقسم إلى أجزاء صغيرة ، فى أثناء عبوره الحاجز ، حتى عاد يتجمَّع خلفه داخل الحجرة ، وكأنما لم يكن للحاجز أدنى وجود أو تأثير .

ولثانية أو ثانيتين ، توقَّف ذلك الشىء ، وأدار عينيه فى الحجرة ، وكأنما يرى كل محتوياتها فى وضوح ، على الرغم من الظلام الدامس ، ثم اتجه نحو ركن بعينه ، وتطلَّع إليه طويلًا ، دون أن يلمسه لحظة واحدة ..

وفى بطء ، راحت الأزرار تتحرَّك ، وكأنما تعبث بها ألف يد ، حتى اتخذت موضعًا خاصًا ، شعر معه ذلك الشىء بارتياح ، فتراجع ، والتصق بالجدار ، وترك طاقته كلها تنساب من جسده إلى مجموعة من أسلاك الاتصالات ..

وانطلقت من المكوك طاقة هائلة ..

طاقة لم تسجِّلها أى من أجهزته المعطَّلة ..

طاقة شقَّت آلاف الكيلو مترات فى قلب الفضاء ، قبل أن تنقض على كوكب بعينه ، يحتلّ الموقع الرابع ، بين كواكب المجموعة الشمسية ..

المريخ ..

واستقبلتها هناك أجهزة خاصة ..

خاصة للغاية ..

وفى بطء مخيف ، نهض كائن نحيل ، ضخم الرأس ، واسع العينين ، من أسطوانة شفافة ، أشبه بتابوت

زجاجى ، فى مشهد رهيب(★) ، واستدار فى بطء يتطلَّع إلى تلك الأجهزة ، التى استقبلت دفقة الطاقة ، وترجمتها إلى اللغة التى كان يستخدمها سكان الكوكب منذ آلاف السنين ..

وعلى شاشة ضخمة ، من البلَّور ، ظهرت الرسالة واضحة ..

رسالة تقول : إن المكوك فى طريقه عائدًا إلى المريخ ..

وعلى متنه بضائع هامة للغاية ..

وشديدة الحيوية ..

بضائع بشرية ، تكفى لتحمل الأمل والحياة لسكان المريخ القدامى ..

والموت ، كل الموت لكوكب آخر ..

الأرض ..

★ ★ ★

« خطأ .. خطأ .. خطأ .. » .

(★) راجع قصة (بلا أثر) .. المغامرة رقم (١٠٦)

احتقن وجه القبطان في شدة ، وهو يصرخ بالكلمة ، ويكرّرها في وجه رئيس الأمن ، الذى خفض عينيه فى أسف ، وغمغم :

- لست أدرى كيف حدث هذا ياسيّدى القبطان ! .. لست أدرى ! .. ربما هى الأعصاب المتوترة ، أو ..

قاطعه القبطان فى غضب :

- لا يوجد تبرير واحد لما فعلته .. إنها خيانة .. خيانة فى حالة الطوارئ .

هزّ الرجل رأسه فى مرارة ، مغمغمًا :

- لست أدرى كيف يمكننى التكفير عن هذا يا سيّدى القبطان ، ولا كيف يمكننى أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق أزيز مباغت من أحد أجهزة المكوك ، التى لم تتعرّض للتلف بعد ، فالتفت إليها الجميع فى توتر ، وهتف القبطان :

- يا إلهى ! .. ما كل هذه الطاقة ؟!

سألته (سلوى) فى توتر :

- قل لى : أهذا جهاز رصد الذبذبات الفائقة ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، فاستطردت فى مزيد من التوتر :

- رباه ! .. هذا يعنى أن أحدهم يطلق رسالة خاصة إلى منطقة بعيدة .

وارتجف صوتها ، وهى تضيف :

- أو إلى كوكب آخر .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يهتف :

- كوكب آخر ؟! .. رباه ! .. ماذا لو ..؟

بتر عبارته بغتة ، وقفزت إلى ذهنه فكرة مخيفة ، جعلته يقول فى انفعال :

- رباه ! .. لابد أن نجد وسيلة للسيطرة على المكوك ، قبل فوات الأوان .

أجابه (رمزى) فى قلق :

- كيف يا (نور) وقد فقدنا الكمبيوتر الرئيسى وأجهزة التوجيه والخرائط الملاحية ؟! .. هل سندفعه بأيدينا ؟

اندفع رئيس الأمن يقول فى عصبية :

- ذلك الطفل هو المسئول ..

همّت (سلوى) بالرد على قول الرجل غاضبة ، إلا أن (نور) سبقها قائلاً :

- فليكن ، حتى ولو افترضنا أنه المسئول ، فلن

يساعدنا هذا على حل المشكلة .

قال الرجل فى غضب :

ـ ربما يساعدنا على منع حدوث المزيد من الجرائم والكوارث .

ثم لوَّح بقبضته ، مستطردًا فى حدة :

ـ ربما كنا قد أخطأنا بإعلان التمرّد ، فى ظروف حرجة كهذه ، ولكننى مازلت أومن بأنه ينبغى القضاء على ذلك الطفل فور العثور عليه ، حتى تهدأ هذه الأمور .

قال القبطان بسرعة :

لن نناقش هذا الآن ، فمن يدرى ؟ ربما لا نعثر على ذلك الطفل أبدًا .

هتفت (نشوى) فى عصبية شديدة :

ـ لا تقل هذا .

التفت إليها الجميع بسرعة ، وقال (رمزى) محاولًا تهدئتها :

ـ القبطان لم يقصد شيئًا يا حبيبتى .. كل ما أراد قوله هو أن ..

قاطعته وجسدها يرتجف انفعالًا :

هذا الطفل ابنى .. لا تنسوا هذا أبدًا .. إنكم تتحدّثون عنه دومًا كما لو كان مخلوقًا عجيبًا ، من الفضاء الخارجى .. إنه ابنى .. ابنى .. حتّى ولو كانت بشرته خضراء أو زرقاء ، أو حتى ذهبية .. ابنى وسأبذل حياتى نفسها لو اقتضى الأمر ، من أجل حمايته ، والدفاع عنه ضد كل من يحاول أن يمسّه بسوء .. هل تفهمون ؟

قالتها ، واندفعت تغادر الحجرة فى عصبية ، فهتفت (سلوى) ، محاولة اللحاق بها :

ـ (نشوى) .. انتظرى يا ابنتى .

ولكن (رمزى) اعترض طريقها ، قائلاً :

اتركيها .. إنها تحتاج إلى البقاء وحدها لبعض الوقت ، لتفرغ انفعالاتها كلها .

هتفت (سلوى) معترضة :

ـ أتركها وحدها ؟! .. ولكنها ..

قاطعها فى حزم :

ـ لا تنسى أننى خبير بالطب النفسى .

ـ بدا التأثر على وجه (سلوى) ، وهى تراقب ابنتها ،

حتى غادرت الحجرة تمامًا ، وأغلقت بابها خلفها فى عنف ، فغمغمت مشفقة :

- يا للمسكينة .

انعقد حاجبا رئيس الأمن ، وهو يقول فى غلظة :

- لقد أنجبت ذلك الشيطان الصغير ، وهى المسئولة عن ..

انقضّ عليه (أكرم) بغتة ، قبل أن يتمّ عبارته ودفعه أمامه فى عنف ، حتى ارتطم بالجدار ، وهو يقول فى غضب :

- اسمع يا رجل ، لو نطقت حرفًا واحدًا زائدًا ، أقسم أن أحطّم فمك البغيض هذا .

لكمه الرجل بكل قوته فى معدته ، قائلاً :

- ربما يمكنك المحاولة .

ثم هوى بقبضته على فكه بسرعة ، مضيفًا :

- ولكن لا تضمن النجاح .

استقبل (أكرم) قبضة رئيس الأمن على ساعده ، على الرغم من الألم الشديد ، الذى تصاعد من معدته إلى رأسه ، وهو يقول فى حدة :

- من قال هذا ؟

ثم لكم الرجل فى فكه بكل قوته ، مستطردًا :

- ها هو ذا النجاح .

ارتطم رئيس الأمن بالجدار فى عنف ، وارتدّ عنه فى قوة ، فاستقبله (أكرم) بلكمة أخرى كالصاعقة ، و(نور) يندفع نحوهما ، هاتفًا فى غضب :

- كفى .. قلت : لا شجار بعد الآن .

سقط رئيس الأمن أرضًا ، والدماء تنزف من طرف شفتيه فى غزارة ، فى حين قال (أكرم) فى صرامة :

- كان يستحق درسًا قاسيًا .

صاح به القبطان غاضبًا :

- لا يحق لك أن تفعل هذا بأحد رجالى .

صاح (أكرم) بدوره :

- علمهم أن يتحدّثوا بلهجة مهذّبة أوّلاً .

احتقن وجه القبطان ، وهو يهتف :

- لقد تجاوزت حدودك يا رجل .

وقال (نور) لـ (أكرم) فى غضب صارم :

ـ كفى يا (أكرم) .. القبطان على حق .. لقد تجاوزت حدودك بالفعل .

هتف (أكرم) :

ـ أنا ؟! .. وماذا عن الـ ..

بتر عبارته بغتة ، وازداد انعقاد حاجبيه ، وحلّ التوتر والدهشة فى ملامحه محلّ الغضب ، وهو يحدّق فى باب الحجرة ، على نحو جعل الجميع يلتفتون إلى الباب ، قبل أن تنتقل إليهم عدوى التوتر والدهشة بسرعة البرق .. فهناك ..

وعند باب الحجرة بالضبط ، كانت تقف (نشوى) .. وكان وجهها ممتقعًا بشدة ، كما لو أنها قد شاهدت الشيطان نفسه ..

أو ما هو أسوأ .

* * *

١١ ـ الصغير ..

مطّ القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية شفتيه ، وهو يهزّ رأسه فى إيقاع منتظم ، ويتنهّد فى حرارة ، قبل أن يسأل الدكتور (ناظم) :

ـ إذن فالمكوك مازال يتجه نحو المريخ مباشرة ، وبخط سير سليم تمامًا ، فى نفس الوقت الذى لا يرد فيه على رسائلكم ، أو يبدى أدنى استجابة لإشاراتكم .. ما الذى يمكن أن يعنيه هذا فى رأيك ؟! .. هل درس خبراؤنا الأمر ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) :

ـ بالطبع ، ومازلوا يعكفون على دراسته .. فى البداية وضعوا افتراضًا بأن جهاز الإرسال فى المكوك قد تعطّل لسبب ما ، وأنهم ربما يستقبلون رسائلنا وإشاراتنا ، ولكنهم يعجزون عن إجابتها ، لذا فقد أرسلنا ، بناء على اقتراحهم ، رسالة خاصة إلى المكوك ، نطلب من قائده فيها تغيير مساره بمقدار خمس درجات فحسب ، كدليل على أنه استقبل الرسالة ، ولكن

شيئاً لم يحدث ، مما يعنى أنهم أيضًا لا يستقبلون رسائلنا ، ثم فجأة ، عدّل المكوك مساره ، وراح ينطلق عائدًا إلى المريخ ، وهنا أصاب الخبراء قلق حقيقى ، فهذا قد يعنى أن الرجال يعودون مرغمين ، إلى الكوكب الذى فروا منه على عجل ، وربما كانت هناك قوة غامضة ، تجبرهم على هذا .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، مغمغمًا :

ـ يا إلهى !

تابع الدكتور (ناظم) فى سرعة :

ـ أو أنهم يعودون إلى المريخ بكامل إرادتهم ، وهذا هو الاحتمال الثانى الأقل قوة .

قلب القائد الأعلى كفيه ، قائلاً :

ـ ولماذا يعودون إليه ؟!

هزّ الدكتور (ناظم) كتفيه ، وهو يقول :

ـ ربما تذكّروا شيئًا هامًا تركوه خلفهم هناك ، أو كشفوا أمرًا يحتم عليهم العودة .

وتنهّد فى عمق وحرارة ، قبل أن يتابع :

ـ وعلى أية حال ، الخبراء يستعدون الآن لنقل الآلى

المحدود إليهم ، كوسيلة للاتصال وتبادل المعلومات ، وربما يفيدنا هذا كثيرًا .

تطلّع القائد الأعلى إلى ساعته ، قائلاً فى قلق :

ـ لقد استغرقوا وقتًا طويلًا ليفعلوا :

زفر الدكتور (ناظم) بدوره ، وقال :

ـ المهم أن ينجحوا فى مهمتهم فى النهاية .

هزّ القائد الأعلى رأسه نفيًا فى حزم ، وهو يقول :

ـ خطأ يا دكتور (ناظم) .. خطأ .. مهنتنا علمتنى أن أداء العمل وحده لا يكفى للفوز .. المهم أن تؤديه فى الوقت المناسب بالضبط .

قلب الدكتور (ناظم) كفيه ، قائلاً :

ـ الأمر ليس بأيديهم .. إنها مهمتهم الفعلية الأولى ، وهم يحاولون تحديد المسافة بينهم وبين المكوك بمنتهى الدقة ، وإلا فقد لا ينتبه (نور) والآخرون إلى الآلى المحدود قط ، ويضيع كل هذا الجهد هباءً .

لم يكد ينتهى من حديثه ، حتى ارتفع رنين هاتف الفيديو الخاص ، على مكتب القائد الأعلى ، الذى التقط السماعة بسرعة ، وتطلّع إلى وجه كبير الخبراء ، الذى ملأ شاشة الهاتف ، وهو يقول :

- لقد انتهينا .. نحن مستعدون لعملية الانتقال .

قفز الدكتور (ناظم) من مقعده ، واندفع نحو الهاتف ، فى حين سأل القائد الأعلى كبير الخبراء فى حزم :

- هل يمكنكم القيام بالمهمة الآن ؟

أجابه الرجل بمنتهى الثقة :

- بالتأكيد .

هزّ القائد الأعلى رأسه متفهمًا ، ثم قال بلهجة آمرة حاسمة :

- قم بها إذن ، على بركة الله .

ولم يلق كبير الخبراء أية أسئلة أخرى ..

لقد استقبل الأمر ، وبدأ تنفيذ عملية الانتقال الآنى .. وعلى الفور ..

* * *

هبط صمت ثقيل على الحجرة ، والكل يحدقون فى وجه (نشوى) بمزيج من القلق والدهشة والتوتر ، قبل أن يحطّم (نور) هذا السكون ، وهو يسألها :

- ماذا حدث ؟!

التفتت إليه بجسدها كله ، وارتجفت شفتاها ، وهى تجيب :

- لقد عاد .

كانت جملتها بسيطة ومختصرة ، ولكنها أطلقت قشعريرة باردة كالثلج فى أجساد الجميع ، وبخاصة قبطان المكوك ، الذى قال فى توتر :

- من تعنين ؟

لم يكن بحاجة فعليًا لإطلاق السؤالِ ، وعلى الرغم من هذا فقد انتفض جسده كله ، عندما تفجَرت الدموع من عينيها ، وهى تجيب :

- ابنى .

ولم يعلّق أحدهم بحرف واحد ..

كل ما حدث هو أنهم ، وبعد دقيقتين فحسب من قولها ، كانوا جميعًا فى حجرة الصغير ، يتطلّعون إليه بدهشة بالغة ، وهو يرقد هادئًا نائمًا ، وبراءة الدنيا كلها تكسو وجهه الأخضر الرقيق ..

ولثوان ، ران على المكان صمت رهيب ، قطعه رئيس الأمن ، وهو يقول فى مقت شديد واضح :

ـ استمعوا إلى نصحيتى ، قبل فوات الأوان .

تطلّع إليه الجميع فى غضب ، وقال (أكرم) :

استمع أنت إلى نصيحتى ، والجأ إلى الصمت .

قالِ رئيس الأمن فى عصبية :

ـ إلى متى ستتجاهلون الحقائق الواضحة ، لمجرَّد أن الطفل ينتمى إليكم ؟! .. هل ستنتظرون حتى يقتلنا جميعً ؟!

هتفت (نشوى) :

ـ لا تقل هذا .. إنه ..

قاطعها صوت (نور) ، هو يدوى فى صرامة :

ـ الرجل على حق .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وعقدت المفاجأة لسان (نشوى) ، فى حين هتفت (سلوى) مستنكرة :

ـ (نور) .. ماذا تقول ؟

كرَّر (نور) فى صرامة أكثر :

ـ قلت : إن الرجل على حق .

ثم واجه الجميع فى حزم وصلابة ، مستطردًا :

ـ مشكلتنا بالفعل أننا ننظر إلى الأمر باعتبار أن الطفل ابن (نشوى) و(رمزى) ، وحفيدى أنا و(سلوى) ، ولكن هذا خطأ ، وخاصة بالنسبة لى ، مادمت قد تحملت مسئولية الأمر كاملة ، فهذا يحتّم علىّ التصرُّف كقائد ، لا كجد ، وأن أطرح كل العواطف والمشاعر جانبًا ، وأتعامل مع الحقائق المجرَّدة فحسب .

ثم التفت إلى رئيس الأمن ، وسأله فى حزم :

ـ أمازال جهاز التغذية الآلى يعمل ؟

أجابه الرجل فى حماس ، استمدّه من كلمات (نور) الحاسمة :

ـ بالتأكيد .

شدّ (نور) قامته ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقول :

ـ فليكن .. هذا يعنى أن الصغير لن يواجه خطر الجوع أو العطش .. والآن اريد أن تغلق الحجرة عليه بإحكام شديد ، وتعمل على مراقبة وتسجيل كل ما يدور داخلها لحظة بلحظة .. لا أريده أن يغيب عن أعيننا لثانية واحدة ، منذ هذه اللحظة .

سأله الرجل فى اهتمام حذر :

ـ وماذا لو ثبت أنه المسئول فعليًا عما يحدث ؟

شدّ (نور) قامته أكثر ، حتى بدا لهم أشبه بالعملاق ، وهو يجيب :

ـ فى هذه الحالة سنتخذ كل الإجراءات اللازمة .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حزم :

ـ وبلا أية استثناءات .

ولم يجرؤ مخلوق واحد على مناقشة قوله .. قط ..

★ ★ ★

« لست أصدّق أن (نور) سيفعل هذا .. » ..

نطقت (مشيرة) العبارة فى حسم ، وهى تعاون زوجها (أكرم) على ارتداء ثيابه ، وهزّت كتفيها وهى تناوله مسدسه ، مستطردة :

ـ من المستحيل أن يقتل حفيده الأوّل ، مهما كانت الأسباب .

التقط (أكرم) المسدس ، ودسّه فى حزامه ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! .. يدهشنى أنك ، وبعد كل هذه السنين ، مازلت لا تعرفين (نور) جيدًا .

ـ أجابته فى عناد :

ـ خطأ .. أنا أعرف (نور) تمام المعرفة ، وهو أكثر شخص رأيته فى حياتى يبغض القتل والعنف والتدمير ، فكيف نتوقّع منه أن يقتل حفيده ، حتى ولو ثبت ألف مرة أنه المسئول عن موت الدنيا كلها ؟!

ابتسم (أكرم) ، قائلاً :

ـ ألم أقل لك إنك لم تفهمى (نور) بعد ؟! .. صحيح أنه يبغض القتل والعنف والتدمير ، كما لا يبغض أى شىء آخر فى الكون ، إلا أنه لا يتردّد لحظة واحدة فى اللجوء إلى ذلك ، إذا ما اقتضى الأمر ، أو كانت فى هذا مصلحة رفاقه أو وطنه ، فطبيعة القائد فى أعماق (نور) تفوق نوازعه وعواطفه البشرية ألف مرة ، وإذا ما ثبت أن ذلك الطفل هو المسئول عن كل ما يحدث على نحو مباشر ، فإنه لن يتردّد فى إطلاق النار على رأسه مباشرة ، ليؤدى مسئوليته الخاصة بحماية الآخرين .

قالت محاولة إثبات صحة رأيها :

ـ ولكنه سيبذل قصارى جهده أولاً لتفادى هذا .
هزّ كتفيه ، قائلاً :
ـ هذا إجراء طبيعى ، بالنسبة لشخص مثله .
قالت فى عصبية :
ـ ولكنه ليس طبيعيًا بالتأكيد ، بالنسبة لشخص مثلك .
تطلّع إليها لحظة فى صمت ، قبل أن يقول :
ـ من الملاحظ أن تصرفاتى لم تعد تروق لك فى الآونة الأخيرة .
أجابته فى عصبية أكثر :
ـ وهل يمكن أن تروق لأى شخص آخر ؟! .. إنك عصبى ، همجى ، متهوِّر ، عنيف .. لقد قتلت الطبيب المسكين دون أى ذنب جناه ، لمجرَّد أنك لم تعتد التوقُّف لحظة واحدة للتفكير ، أو لتنقية انفعالاتك من الحماقات .
انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يقول :
ـ أهذا رأيك فىَّ ؟!
أجابته فى حدة :
ـ بل هو جزء منه .
ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يشدّ قامته ، قائلاً فى صرامة :

ـ فليكن .. سأكتفى بهذا القدر الآن ، أما الباقى فسنناقشه عند عودتى .
قالها ، واتجه فى خطوات عصبية إلى الباب ، فسألته فى توتر :
ـ إلى أين ؟
أجابها فى غلظة :
ـ إلى حيث أمارس بعض همجيتى وحماقاتى .
وصفق الباب خلفه فى عنف ، فصاحت محنقة :
ـ اذهب إلى حيث شئت .. لم يعد أمرك يعنينى .
ثم زفرت فى حدة ، واستدارت تتطلّع إلى وجهها لحظة فى المرآة ، قبل أن تقول بصوت مختنق :
ـ يا إلهى ! .. ماذا فعلت ؟ .. ماذا فعلت ؟!
وانخرطت فى بكاء حار ..
وفى نفس اللحظة ، التى انهمرت فيها دموعها كالسيل ، كان (أكرم) يتجه إلى قاع المكوك ، حيث انهمك (نور) والقبطان فى البحث عن مسارات أسلاك التحكم ، وزفر الأخير فى حرارة ، وهو يقول :
ـ يبدو أننا سنضطر لنقر كل سنتيمتر فى جدار

كان (أكرم) يتجه إلى قاع المكوك ، حيث انهمك (نور)
والقبطان فى البحث عن مسارات أسلاك التحكّم ..

المكوك ، قبل أن نعثر على تلك الأسلاك ، مادمنا لا نملك خريطة الكمبيوتر ، التى تحدّد مسارها .

قال (نور) فى اهتمام :

ـ ولكن خصمنا يعرف تلك المسارات جيدًا ، فالمفاتيح الموجودة هنا لم تعد تعمل ، ومن الواضح أنه نبش الجدار فى نقطة ما ، وقطع المسارات كلها ، وأقام نقطة تحكّم جديدة ، نجهل موضعها بالضبط .

قلب القبطان كفيه ، وهو يقول فى مرارة :

ـ وهذا يعنى أنه لم يعد لدينا أمل بالفعل ، ولم نعد ندرى حتى إلى أين نتجه .

ارتفع صوت (أكرم) ، وهو يقترب منهما ، قائلاً :

ـ كل هذا بسبب العلم الحديث .

التفت الاثنان إليه ، وسأله (نور) فى شىء من الضجر :

ـ وما مشكلة العلم الحديث فيما نواجهه ؟ .. هل كانوا يطلقون سفن الفضاء ، أيام العلوم القديمة ؟

هزّ (أكرم) رأسه نفيًا ، وأجاب :

كلاً ، ولكنهم كانوا يجيدون قراءة النجوم على الأقل(*) .

سأله القبطان :

- وبم يمكن أن يفيدنا هذا ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يستند إلى الجدار ، بشىء من التوتر :

- كانت مشكلة ضياع الخرائط الملاحية ستحلّ على الأقل ، ولن تكون ضرورة وجود الكمبيوتر ملحة ، كما هى الآن .. كنا سنجد على الأقل شخصًا يمكنه قراءة النجوم ، وتحديد مسارنا بالضبط .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى انفعال :

- صدقت يا (أكرم) .. ولِمَ لا ؟!

ثم التفت إلى القبطان ، وسأله فى اهتمام :

- قل لى يا رجل : كم مرة سافرت إلى المريخ ؟

أجابه القبطان فى شىء من الحذر :

- أربع مرات حتى الآن منذ كنت أعمل فى القوات الفضائية .

(*) المقصود هنا هو قراءة النجوم لتحديد الموضع والاتجاهات ، وليس قراءة الطالع أو علم الفلك .

سأله (نور) :

- وكم مرة راجعت الخرائط الملاحية ، خلال هذه الرحلات الأربع ؟

أدرك القبطان ما يرمى إليه (نور) فأجاب فى حماس :

- أكثر من ثلاثين مرة بالتأكيد ، وهذا يعنى أنه ربما كان فى استطاعى قراءة النجوم .. أهذا ما تقصده ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى حزم :

- كلاً .

بدت الدهشة على وجهى (أكرم) والقبطان فى آن واحد ، ثم قال الأخير فى حيرة :

- ما الذى كنت تقصده إذن ؟

أشار (نور) إلى رأس القبطان ، وهو يجيب :

- أقصد أنه مادامت المعلومات قد دخلت إلى رأسك أكثر من ثلاثين مرة ، فهذا يعنى أنها لن تفارقها قط ، حتى ولو تصوَّرت أنت أنك قد أهملتها أو نسيتها(*) .

(*) حقيقة علمية ، فالعلم الحديث يؤكد أن كل شىء رآه ، أو سمعه ، أو لمسه ، أو استنشقه الإنسان يستقر فى ذاكرته ، ويختزن ، ويبقى فيها إلى الأبد ، حتى وإن عجز وعيه عن استعادته .

بدت الحيرة أكثر على وجه القبطان ، وهو يغمغم :
- إذن فالمطلوب منى أن أحاول تذكرها .. أليس كذلك ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا مرة أخرى ، وهو يجيب :
- محاولة التذكر ليست مجدية من الناحية العملية ، فكل ما ستفعله هو أنك ستبذل قصارى جهدك لتعتصر ذاكرتك ، ولتنبش فيها عما اختزنته دون وعى منك ، وربما يخدعك هذا ، أو يمزج معلوماتك بعضها بالبعض ، وعلى أحسن تقدير علمى ، سيمكنك استرجاع سبعين فى المائة من هذه المعلومات ، وهذا لن يكفى قط ، فنحن نحتاج حتمًا إلى مائة فى المائة منها .

قال (أكرم) فى عصبية :
- عجيب هو أمرك يا (نور) .. كيف يمكننا استعادة مائة فى المائة ، من المعلومات المختزنة فى ذاكرة القبطان ، مادام هذا مستحيلًا كما تقول ؟!!

أجابه (نور) فى سرعة :
- لم أقل قط إنه مستحيل .. كل ما قلته هو أن محاولة التذكّر الإرادية لن تجدى .

سأله القبطان ، فى مزيج من القلق والفضول :
- أهناك محاولات تذكر لا إرادية ؟

ارتسمت على شفتى (نور) ابتسامة كبيرة ، وهو يجيب :
- بالتأكيد .

وحملت ابتسامته الغموض ..
كل الغموض ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا رئيس الأمن فى توتر شديد ، وهو يراقب شاشة الرصد الداخلية ، التى تنقل كل ما يدور فى حجرة الصغير ، الذى ظل راقدًا فى صمت هادئ ، وملامحه الصغيرة تحمل براءة طفولية تقليدية ، دون أن تحدث أية تطورات ، منذ ما يقرب من نصف الساعة ، ثم قال لمساعده فى عصبية :
- ذلك الثعلب يعلم أننا نراقبه .

تردّد رجل الأمن بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حذر :
- إنه مجرّد طفل .

هتف رئيس الأمن مستنكرًا :
- مجرد طفل ؟! .. هل خدعك قولهم يا رجل ؟ .. هل نسيت كل ما حاق بنا من خراب ودمار ، منذ مولد هذا

الشيطان ؟! .. أنسيت كم قتل من رجالنا حتى الآن ؟! .. تذكَّر معى ما أصاب الطبيب ، والممرضة ، واختفاؤه كلما حدث أمر جلل ، أو وقعت حادثة قتل ، ثم آثار الأقدام الصغيرة .. هل نسيت كل هذا ؟!

بدا التردُّد مرة أخرى على وجه الرجل ، وهزَّ رأسه ، وكأنما يهمّ بقول شىء ما ، قبل أن يهمس :

ربما يحاول أحدهم أن ..

قاطعه رئيس الأمن فى غضب :

ـ يحاول ؟! .. استيقظ يا رجل .. عد إلى وعيك .. هل ستواصل الدفاع عن ذلك الشيطان الصغير ؟! .. ما الذى يفعله بكم بالله عليكم ؟! .. هل يسحركم ؟!

هزَّ الرجل رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ ليس الأمر كذلك ، ولكنه طفل صغير .. صحيح أن بشرته الخضراء مخيفة ، ولكن لا يمكننى أن أتصوَّر أبدًا أنه المسئول عما يحدث هنا .

انعقد حاجبا رئيس الأمن فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى الرجل ، قبل أن يعتدل فى مقعده ، ويقول له فى حزم :

ـ اذهب لتفقُّد المؤخرة .

قال الرجل فى دهشة :

ـ المؤخرة ؟! .. ماذا عنها ؟! ولماذا أذهب لفحصها

الآن ؟! .. المفترض أنها ..

قاطعه رئيس الأمن فى صرامة غاضبة :

ـ هل ستناقش أوامرى ؟!

هبَّ الرجل واقفًا ، وأدى التحية العسكرية فى سرعة ، وهو يقول فى توتر :

ـ مطلقًا يا سيِّدى .. مطلقًا ..

صاح به رئيس الأمن :

ـ اذهب إذن لتفقُّد المؤخرة .

أجابه الرجل ، وهو يتحرَّك فى خطوات سريعة ، أقرب إلى العدو ، لتنفيذ ذلك الأمر العجيب :

ـ بالتأكيد يا سيِّدى .. بالتأكيد .

راقبه رئيس الأمن ، وهو يغادر المكان ، وانتظر بضع لحظات حتى يمنحه الفرصة لبلوغ المؤخرة ، قبل أن يغمغم :

ـ كلكم أغبياء .

قالها ، واستلّ مسدسه الليزرى ، واتجه فى خطوات حاسمة نحو الحجرة ، التى يرقد فيها الصغير ، وقد اتخذ قرارًا حاسمًا ، لا رجعة فيه .. بل حكمًا واجب التنفيذ .. لقد حكم بإعدام الطفل .. وفورًا .

* * *

١٢ - الخطر ..

تجمَّد القبطان تمامًا فى مقعده ، وتعلّقت عيناه بتلك القطعة المعدنية اللامعة ، التى تتأرجح أمامهما فى إيقاع رتيب منتظم ، وصوت (رمزى) يأتى من خلفها عميقًا بطيئًا ، وهو يقول :

ـ استرخ تمامًا يا قبطان .. اترك عضلاتك كلها تهدأ وتستريح .. ألغ كل فكرة من عقلك .. فقط تطلّع إلى الضوء .

كان هناك شعاع من الضوء ، يأتى من فوق كتف القبطان ، وينعكس على القطعة المعدنية ، المربوطة بسلسلة رفيعة ، يمسك (رمزى) طرفها ، ويؤرجحها فى هدوء ، وهو يتطلّع إلى القبطان ، الذى بدأ يشعر بالنعاس يتسلّل إلى أعماقه ، وبصوت (رمزى) يزداد عمقًا ، وبالضوء المنعكس على القطعة المعدنية يتألّق أكثر وأكثر ..

وفى شىء من العصبية ، همس (أكرم) فى أذن (نشوى) :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أجابته هامسة فى حماس ، وهى تراقب ما يفعله (رمزى) فى اهتمام شديد :

ـ تنويم مغنطيسى(*) .. (رمزى) خبير فى هذا المجال .

وهمست (سلوى) بدورها :

ـ نعم .. لقد أنقذ حياتنا ذات يوم بوساطته(**) .

بلغ همسهما مسامع (رمزى) ، فأشار بيده فى صرامة ، جعلت الجميع يبتلعون ألسنتهم ، ويلتزمون الصمت التام ، فى حين راح القبطان يغوص فى ذلك البريق رويدًا رويدًا ، وصوت (رمزى) يملأ كيانه كله ، قائلاً :

ـ الآن لم تعد ترتبط بالواقع من حولك .. إنك تنطلق عائدًا إلى الأرض ، بعد رحلة ناجحة إلى المريخ ، وأمامك

(*) التنويم المغنطيسى - حالة شبيهة بالنوم الطبيعى ، يمكن احداثها بالتحديد فى نقطة لامعة ، مع تنفس بطىء ، وترديد كلمات أو إيحاءات معينة ، وهو يستخدم عادة فى العلاج النفسى ، عن طريق استرجاع الذكريات المكبوتة .

(**) راجع قصة (شيطان الأجيال) .. المغامرة رقم (٥٦) .

الخرائط الملاحية تراجعها جيدًا .. هل تراها فى وضوح ؟!

ظلَّ القبطان على صمته لحظة ، ثم أجاب :

ـ ليس تمامًا .

وهمس (أكرم) فى عصبية :

ـ الفكرة لم تنجح .

أشار إليه (رمزى) بالصمت ثانية فى حدة ، فانعقد حاجباه ، ومط شفتيه ، وهزَّ كتفيه ، وكأنما يبدى اعتراضه على ما يحدث ، أو عدم ثقته بنتائجه ، فى حين قال (رمزى) للقبطان ، فى صوت عميق للغاية :

ـ ما الذى يعوقك عن الرؤية فى وضوح ؟

أجابه القبطان فى بطء :

ـ ضباب .. ضباب.. يملأ الفراغ ، بينى وبين الخرائط الملاحية .

قال (رمزى) :

ـ هذا لأنك تتشبَّث بالواقع .. اتركه يا رجل .. لا تخف .. ستعود إليه وقتما تشاء .. اتركه .

تقلَّصت عضلات وجه القبطان ، وبدا وكأنه يعانى

صراعًا عنيفًا فى أعماقه ، فكرَّر (رمزى) فى حزم :

ـ اتركه .. الآن .

تقلَّصت عضلات وجه القبطان مرة أخرى ، ثم استرخت فجأة ، وارتسم على وجهه الارتياح ، فتنهَّد (رمزى) ، قبل أن يسأله :

ـ هل زال الضباب الآن ؟

أجابه القبطان :

ـ نعم .. أصبحت الرؤية واضحة .. هاهى ذى الخرائط أمامى .

بدا التوتر والترقب على وجه (نور) ، و(رمزى) يقول :

ـ عظيم .. انهض الآن ، واقترب من النافذة .

نهض القبطان من مقعده فى آلية ، وصار مغمض العينين فى الحجرة ، فغمغم (أكرم) معترضًا :

ـ وكيف سيعرف موضع النافذة ، وهو مغلق العينين ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ اصمت .

عاد يعقد حاجبيه غاضبًا ، فى حين اتجه القبطان نحو النافذة مباشرة ، وكأنما يرى طريقه فى وضوح ، من خلف جفنيه ، فارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة حقيقية ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة ، و(رمزى) يقول للقبطان :

- والآن افتح عينيك ، وانظر عبر النافذة ، وقل لى ماذا ترى ؟!

انحنى القبطان يتطلّع عبر النافذة ، وقال فى هدوء :

- أرى شخصًا آليًا .

لم يكن هذا أبدًا بالجواب ، الذى يمكن أن يتوقّعه أى من الحاضرين ، لذا فقد اتسعت عيونهم جميعًا فى دهشة بالغة ، وغمغم (نور) :

- شخص آلى ؟! .. أى جواب هذا !؟

نطقها ، وهو يندفع بالفعل نحو النافذة ، ويزيح القبطان عنها فى حزم ، ثم يتطلّع عبرها ، ويهتف بدهشة أكبر :

- رباه ! .. هذا صحيح .

كان هذا هو الشخص الآلى المحدود ، الذى أرسله رجال الأبحاث ، بطريقة الانتقال الآنى ، والذى بلغ موضعه فى نفس اللحظة ، التى تطلّع فيها القبطان عبر النافذة ، ولم يكد (نور) يقرأ الكلمات المكتوبة عليه ، حتى قال فى انفعال :

- رباه ! .. إنه واحد من الأشخاص الآلية المحدودة ، التى تستخدم فى معاملنا .. لقد أرسلوه إلينا برسالة ما .. لست أدرى كيف فعلوا هذا ، ولكنهم أرسلوه .

اندفع الجميع نحو النافذة ، يحاولون التطلّع إلى الآلى بدورهم ، وسأل (أكرم) فى لهفة شديدة :

- وهل يمكنه أن يحمل رسالة منا إليهم ؟

أجابه (نور) فى حماس :

- بالطبع ، سنعمل على إدخاله إلى المكوك أوّلاً ، ونشاهد الرسالة التى يحملها ، ثم نرسله إليهم بإشارة استغاثة ، أو نستخدمه كوسيلة اتصال مباشرة ، لو أنهم زوّدوه بالأدوات اللازمة لهذا .

هتفت (سلوى) فى فرح :

- أراهنك على أنهم فعلوها .. أنا أعرف كيف يفكّر الدكتور (ناظم) وفريقه .

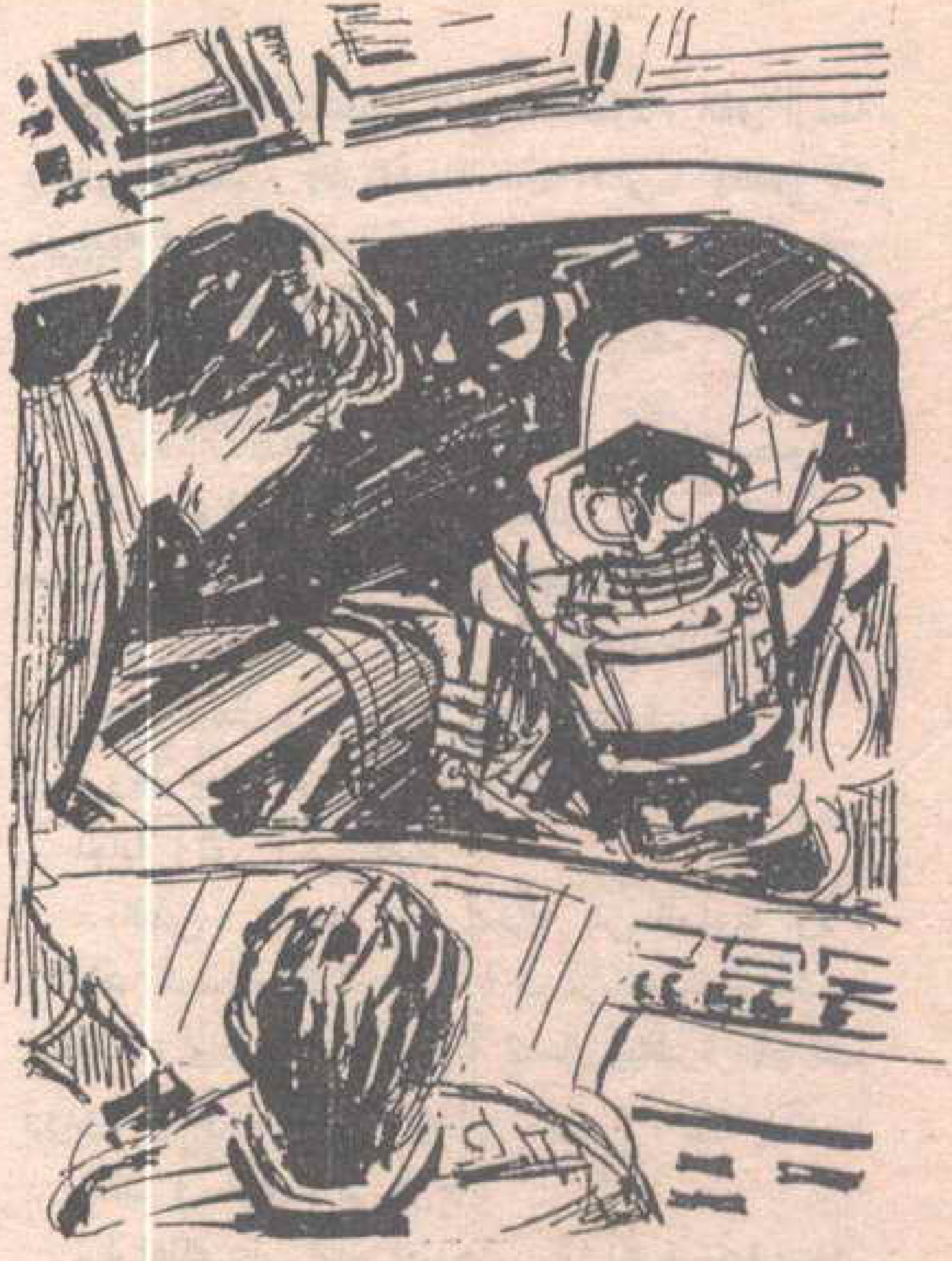

كان هذا هو الشخص الآلى المحدود ، الذى أرسله رجال الأبحاث ، بطريقة الانتقال الآنى ..

سأله (أكرم) ثانية :

ـ وكيف ندخل هذا الشىء إلى هنا ؟

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ إنه يتشبَّث الآن بجدار المكوك ، بوساطة أجهزة ماصة خاصة ، وربما يمكننا إرسال إشارة خاصة له ، أو ...

قاطعته (سلوى) فى توتر :

ـ أخشى أن هذا مستحيل !

التفت إليها فى قلق ، فتابعت :

ـ كل الاتصالات والإشارات هنا ، تعمل بوساطة الكمبيوتر ، ولا يمكن تنشيطها أو إطلاقها بعد تحطّمه وتوقّفه عن العمل .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يقول فى حنق :

ـ مشاكل التكنولوجيا اللعينة مرة أخرى .

أما (نور) فقال فى توتر :

ـ إذن فالوسيلة الوحيدة للحصول على الرسالة ، التى يحملها ذلك الآلى ، واستخدام إمكانياته للاتصال بالأرض ، هى الوصول إليه مباشرة .

هتفت (نشوى) مرتجفة :

ـ هل تعنى الخروج من المكوك مرة أخرى ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فهتفت (سلوى) :

ـ لا .. لن تتكرّر هذه الكارثة البشعة ثانية .

أجابها (نور) فى حزم صارم :

ـ لا يوجد حل بديل .. إما المخاطرة بشخص واحد ، فى مغامرة محدودة ، يمكن تفادى خطورتها بوسيلة ما ، أو الحكم على الجميع بالإعدام ، أو بالضياع فى الفضاء إلى الأبد .

ثم التفت إلى (رمزى) ، مستطردًا بلهجته القيادية الآمرة :

ـ أيقظ القبطان .

تطلّع إليه (رمزى) لحظة فى صمت ، ثم استدار إلى القبطان ، ومال نحوه قائلاً بنفس الصوت العميق :

ـ انتهت الرحلة أيها القبطان .. عد إلى عالم الواقع .. عندما أفرقع سبّابتى وإبهامى ستستيقظ ، وتعود فورًا إلى عالمك الحقيقى ، دون أن تترك شيئًا خلفك .

قالها ، وفرقع سبّابته وإبهامه ، فانتفض جسد القبطان انتفاضة محدودة ، فتح بعدها عينيه ، وتطلّع إلى الجميع فى شىء من الذهول ، ولكن (نور) أعاده بسرعة إلى أرض الواقع ، وهو يسأله :

ـ أمازالت لديكم هنا معدات تصلح للخروج إلى الفضاء ؟

بدت الدهشة على وجه القبطان ، وهو يقول :

ـ لكم شخص ؟

أجابه فى حزم :

ـ شخص واحد .

أومأ القبطان برأسه إيجابًا ، وإن لم تفارق الحيرة وجهه وعينيه ، وهو يقول :

ـ نعم .. لدينا زىٌّ فضائىٌّ واحد ، يعمل بالوسائل الحديثة .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ أتعنى أنه مزوّد بخزانات هواء مضغوطة وآلات دفع ، وغيرها ؟

أجابه القبطان :

- بالتأكيد ، ولكن لماذا تحتاجون إليه ؟!

قال (أكرم) فى عصبية :

- ماذا دهاك يا رجل ؟! .. إننا نحتاج إليه لانتشال ذلك الآلى ، الذى رأيته بنفسك يتشبث بالجدار الخارجى للمكوك .

اتسعت عينا القبطان فى دهشة بالغة ، وهو يهتف :

- رجل آلى ؟! .. جدار المكوك ؟! .. وأنا رأيته ؟!

قالها ، واستدار يتطلع فى دهشة عبر النافذة ، فى حين قال (أكرم) فى حدة :

- أهذه مزحة ، أم أنك تسخر منا يا رجل ؟!

أجابه (رمزى) :

- لا هذا ولا ذاك يا (أكرم) .. الرجل لن يذكر شيئًا مما رآه أو سمعه ، تحت تأثير التنويم المغنطيسى(*) .

انعقد حاجبا (أكرم) أكثر ، وهو يقول :

- عجبًا ! .. إذن فأنتم تخضعونه للتنويم المغنطيسى ليتذكر أمورًا لم يكن ليتذكرها فى الظروف العادية ،

(*) حقيقة علمية .

ثم توقظونه لينسى كل ما تذكره ! .. أى علم هذا ؟!؟!

بدا الضيق على وجه (مشيرة) ، وأشاحت عنه ببصرها ، فهتف محتدًا :

- أعلم ما الذى تريدين قوله .

التفتت إليه غاضبة ، وهمت بالانفجار فى وجهه ، لولا أن هتف القبطان فى انفعال ، مشيرًا إلى الآلى :

- هل تريدون الخروج من المكوك ، لإحضار هذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- نعم ، فهذا الآلى أصبح وسيلة الاتصال الوحيدة ، بيننا وبين الأرض .

تطلع القبطان مرة أخرى إلى الآلى ، وهز رأسه فى حيرة ، وهو يقول :

- حسن .. سنحضر الزى ، ولنر من سيقبل الخروج لأداء هذه المهمة ، و ..

قاطعه صوتان انطلقا فى آن واحد بكلمة واحدة :

- أنا .

التفت الجميع إلى (نور) و(أكرم) ، اللذين التفتا لبعضهما بدوريهما ، وأكرم يقول فى توتر :

- لا تناقشنى هذه المرة يا (نور) .. أنت تعلم أننى اجتزت اختبارات السباحة الفضائية بنجاح ، عندما التحقت بالمخابرات العلمية ، ولا يمكنك أن تدّعى أننى غير قادر على أداء المهمة .

أجابه (نور) فى حزم :

لا يمكننى أن أقول هذا ، ولكنك لم تتعاف بعد من مضاعفات ما أصابك ، و ...

قاطعه (أكرم) فى انفعال :

- لا تحاول يا (نور) .. أنا أصرّ .

هتف (نور) فى صراحة :

- وأنا القائد .

وقبل أن يجيب (أكرم) ، حدث فجأة ما اضطرهما إلى بتر مناقشتهما الحادة فورًا ..

لقد انطلق أزيز جهاز إنذار خاص ..

أزيز يشير إلى أن أحدهم قد اقتحم حجرة الصغير ..

وعلى الفور ، نقلت شاشة الرصد الداخلية صورة ذلك المقتحم ..

كان رئيس فريق الأمن ، الذى صوّب مسدسه الليزرى

إلى الصغير ، وهو يهتف فى انفعال جارف :

- أعلم أنكم تروننى وتسمعوننى أيها السادة ، ولن أجرح مشاعركم الرقيقة بهذا المشهد البشع .. هيا .. قولوا وداعًا للشيطان الصغير .

قالها ، وقطع أسلاك الاتصالات والمراقبة بحركة حادة ، فأظلمت شاشة الرصد تمامًا ، وصرخت (نشوى) :

- لا .. ابنى .. ابنى .

وفى نفس اللحظة ، التى انهارت فيها أرضًا ، كان الجميع يهرعون بأقصى سرعتهم وقوّتهم إلى حجرة الصغير ، فى محاولة لإنقاذه ..

محاولة محدودة ..

ويائسة ..

* * *

قطع رئيس الأمن أسلاك الاتصالات والمراقبة ، وانعقد حاجباه فى مقت رهيب ، وهو يصوّب مسدسه إلى الصغير ، قائلاً :

- الآن لم يعد هناك ما يحول بينى وبينك أيها الشيطان الرضيع .

قالها وأطلّ غضب الدنيا كلها فى عينيه ، وهو يستعد لإطلاق أشعته ، و ...

وفجأة ، انطلق ذلك الفحيح ..

ومع انطلاقه ، انتفض القبطان أعنف انتفاضة ، فى حياته كلها ..

هذا لأن الفحيح لم ينطلق من حيث يرقد الصغير ..

لقد انطلق من كل مكان بالحجرة تقريبًا ..

وبالذات من خلفه ..

وبسرعة صنعها الخوف ، التفت رئيس الأمن إلى تلك البقعة من خلفه ، وأطلق أشعته نحوها ، صارخًا :

ـ لا .. مستحيل !

أصابت أشعته جدار الحجرة ، مرورًا بالفراغ ، واخترقته بصوت عجيب ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها الفحيح من ركن الحجرة ، فاستدار إليه الرجل ، واطلق نحوه خيطًا آخر من الأشعة ، أصاب الجدار كسابقه ، مع انطلاق فحيح ثالث ، ورابع ، و ...

وأدار الرجل عينيه وفوهة مسدسه ، فى انفعال شديد ، نحو الصغير .

وصرخ بكل ما يشتعل فى أعماقه :

ـ إنه أنت .. قدراتك الشيطانية تعبث بى ثانية .. أنت الـ ...

وانقطعت عبارته بغتة ، وغصّ حلقه ببقيتها ، وهو يحدّق فى الصغير فى ذهول ..

لقد تغيّر بغتة على نحو مدهش ..

إنه لم يعد ذلك الطفل الأخضر المخيف ..

لقد صار طفلا عاديًا ، وردى البشرة ، استغرق فى نوم هادئ عميق ، وكأنما لا يشعر بأى شىء مما يدور حوله ..

وفى ذهول ، هتف القبطان :

ولكن كيف ؟! .. هذا مستحيل ! .. مسـ ...

قاطعه مرة أخرى ذلك الفحيح الرهيب ..

وفى هذه المرة كان ينطلق على قيد نصف المتر منه فحسب ..

وعلى نحو شديد الوضوح ..

وفى سرعة مدهشة ، وذعر لا حدود له ، استدار رئيس الأمن نحو مصدر الصوت ، ثم اتسعت عيناه فى رعب ذاهل ، وارتدّ كمن أصابته صاعقة ، وهو يصرخ :

- لا .. لا .. أنت لست حقيقيًا .. لست حقيقيًا .

وفى هذه المرة أنطلق الفحيح كما لم ينطلق من قبل ، وامتزج بصرخة رهيبة ، حملت كل رعب وآلام وعذاب البشرية ..

صرخة رجل يلقى مصرعه ..

وبمنتهى القسوة ..

★ ★ ★

اخترقت الصرخة أذن (سلوى) كالرصاصة ، وهى تعدو مع زوجها و (أكرم) و(رمزى) والقبطان ، نحو حجرة الصغير ، فوثب قلبها من مكانه ، وارتجف كيانها كله ، وهى تهتف :

- لا .. ليس ثانية .

أما (نور) ، فقد فجّرت الصرخة فى أعماقه طاقة هائلة ، جعلته يثب وثبة واحدة ، عبر كل المسافة ، التى تفصله عن الحجرة المغلقة ، ودفع رتاجها بكل قوته ، وهو يصرخ :

- قاوم يا رجل .. لقد وصلنا إليك .

جاوبه صمت مطبق ، أثار فى جسده قشعريرة باردة ،

والرتاج يأبى أن يستجيب له فى عناد ، فاستلّ (أكرم) مسدسه ، وأزاحه جانبًا ، وهو يقول :

- دع القوى تؤدّى دورها .

قالها ، وأطلق رصاصتين من مسدسه على الرتاج ، فدوى صوتهما كقنبلتين ، فى الممر المغلق ، قبل أن يدفع الباب بقدمه فى عنف ، ثم يثب داخل الحجرة ..

ودون تردّد ، اندفع (نور) و(رمزى) خلفه ، وهتف الأخير ، وهو يحدّق فى جثة رئيس الأمن :

- رباه ! .. يا للبشاعة !!

كان الرجل يتدلّى من حامل التغذية الخاص بالصغير ، وقد انغرس القائم المعدنى العلوى للحامل فى مؤخرة عنقه ، واخترق العنق كله ، ليبرز من موضع حنجرته ..

أما وجهه ، فلم يعد فى موضعه ..

أو بمعنى آخر : لم يعد له وجه على الإطلاق ..

لم تلتهمه تلك المادة الخضراء الرهيبة ، كما حدث مع الآخرين ..

بل انسلخ ..

سلخ شىء ما بشرة الوجه ، وانتزعها من فوق

العضلات والمشدَّات والأوتار ، وترك بدَلا منها أبشع مشهد فى الدنيا ..

ترك وجهًا بلا ملامح ..

فقط كتلة من العضلات الغارقة فى الدم ، حاملة تكوينًا بشريًا فحسب ..

وأسرعت (سلوى) تحاول دخول الحجرة ، للاطمئنان على الصغير ، ولكن (أكرم) منعها فى غلظة ، وهو يقول :

ـ كلاً .. غير مصرَّح لك بالدخول إلى هنا .

سألته فى ذعر :

ـ هل أصاب الصغير مكروه ؟!

ألقى نظرة سريعة على الطفل ، الذى يرقد على مهده هادئًا نائمًا ، بوجهه البرىء ، وبشرته الخضراء الداكنة ، قبل أن يجيب :

ـ كلاً .. الصغير بخير ، ولكن الدخول غير مسموح به للنساء .

قالها ، ودفعها خارجًا ، وهو يضيف فى حزم :

ـ عودى لرعاية ابنتك .. هذا أفضل .

تراجعت فى شىء من القلق والخوف ، ثم انطلقت تعدو عائدة إلى حيث سقطت (نشوى) ، فى حين حدَّق القبطان فى جثة رئيس الأمن بمشهدها البشع ، قبل أن يقول فى لهجة رجل يوشك على الانهيار :

ـ رباه ! .. أى شىء ذلك الذى فعل به هذا ؟!

غمغم (أكرم) ، وهو يلقى نظرة حذرة على الصغير :

ـ لم يكن بالحجرة سواه ، هو والطفل .

قال (نور) فى صرامة :

ـ لقد انقطع الاتصال لدقيقة كاملة ، قبل أن تصل إلى هنا ، ولا أحد يدرى ما الذى حدث خلالها ، فلا تتسرَّع باستنتاج خطير ، يعلم الله (سبحانه وتعالى) وحده عواقبه !

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ فليكن .. ألديك تفسير آخر !

صمت (نور) تمامًا ، وهو يحدِّق فى الطفل فى توتر بالغ ، قبل أن يغمغم :

ـ ليس فى الوقت الحالى .

هتف القبطان فى حدة :

- ولا فيما بعد .. ذلك المسكين المعلق أمامكما كان على حق .. ذلك الطفل هو المسئول عن كل ما يحدث .. إنه الكارثة ، التى أصابت المكوك .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف فى صرامة :

- ولابد من القضاء عليه ، قبل أن يقضى علينا جميعًا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت آخر رجل أمن فى المكوك من خلفهما ، وهو يقول فى عصبية :

- مرنى فحسب أيها القبطان ، وسأؤدّى المهمة دون تردُّد .

قالها الرجل ، وهو يصوِّب مسدسه إليهم فى انفعال ، فقال له (أكرم) فى حدة :

حذار يا رجل .. لو مسست شعرة واحدة من هذا الصغير ، لن تجد ما يكفى من الوقت للندم ، فى هذه الحياة على الأقل .

أجابه الرجل فى حدة :

- وما الفارق !! . هل ستقتلنى لو حاولت ؟! .. افعل إذن ، وبأقصى سرعة ممكنة ، فربما كان هذا أكثر

رحمة .. إننى ميت بالفعل يا رجل .. كلنا ميتون لو شئت الدقة ، مادام هذا الصغير حيًا .. رئيسى حذركم من قبل ، ولكنكم أبيتم أن تستمعوا إليه ، فدفع حياته ثمنًا لعدم إصراره على تنفيذ ما يؤمن به .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- ولن أكرِّر هذا الخطأ قط .

وصوَّب مسدسه إلى الصغير بغتة ، صارخًا :

- سأقتله الآن .

انقضَّ (رمزى) عليه كالليث ، فى نفس اللحظة التى ضغط فيها زناد مسدسه الليزرى ، وأمسك معصمه ، وهو يدفعه أمامه ، صائحًا :

- لن تقتلَ ابنى بهذه البساطة .

انطلق شعاع الليزر من المسدس ، واخترق صدر (رمزى) ، وعبر إبطه ، ثم تجاوزه إلى ذراعه ، فى نفس اللحظة التى سقط فيها الاثنان أرضًا ، والرجل يصرخ :

- بل سأقتله .. سأقتله .. هذا هو أملنا الوحيد فى النجاة !

سقط (رمزى) إلى جوار الرجل ، وهو يتأوّه ألمًا ، ولكنه لم يتخلَ عن معصمه ، فانطلق خيط آخر من الأشعة ، أصاب سقف الحجرة هذه المرة ، فوثب (نور) نحو رجل الأمن ، وركل المسدس من يده ، هاتفًا :

- ألن تنتهى هذه السخافات أبدًا ؟!

وانقضّ (أكرم) على الرجل ، يكبّله بذراعيه فى قوة ، وهو يقول فى صرامة :

- اهدأ يا رجل .. اهدأ .

ولكن رجل الأمن قاومه فى استماتة ، وهو يصرخ :

- إنكم لا تبالون بنا .. عشرة رجال لقوا مصرعهم حتى الآن ، والبقية آتية ، وكل ما تفعلونه هو محاولة حماية الصغير .. وماذا عن حمايتنا نحن ؟!

هتف به (أكرم) فى صرامة :

كفّ عن هذا الهراء يا رجل .. إنك تـ ...

قاطعه صوت صارم حازم يقول :

- الرجل على حق .

استدار الجميع إلى مصدر الصوت ، وهتف (أكرم) فى دهشة مستنكرة :

- حتى أنت يا قبطان ؟!

أجابه القبطان فى حدة :

- إنها مسئوليتى ، أم أنكم نسيتم أنه ، ومهما كانت الأسباب ، فأنا قبطان المكوك ، وصاحب الكلمة العليا والأخيرة .. الرجل على حق تمامًا .. إنكم لا تتعاملون مع هذا الأمر من منظور عادل ، بل تسعون فقط لحماية الصغير ، حتى ولو كان المسئول الأوّل عن كل ما حدث وما سيحدث .

قال (نور) فى حزم :

- خطأ أيها القبطان ، لقد أخبرتك من قبل أننى مستعد لقتل الصغير بنفسى ، ودون أدنى تردُد ، لو ثبت أنه المسئول عما حدث .

صاح به القبطان :

- وأية إثباتات تنشدها ، بعد كل ما حدث .. حوادث القتل كلها بدأت بعد مولده ، وارتبطت بتلك الدماء الخضراء اللعينة ، التى تسرى فى عروقه ، وهناك آثار أقدامه على الأرض أيضًا .. هل نسيتها ؟

أجابه (نور) فى حزم :

- كلاً .. لم أنس شيئًا ، ولكننى أبحث عن تفسير منطقى لكل خطوة ، قبل أن أصل إلى الاستنتاج النهائى .. قل لى أنت : حتى لو افترضنا أن طفلا فى يومه الثانى ،

يمكنه أن يمشى بنفس الثبات والاتزان اللذين يسير بهما الكبار ، دون خبرة سابقة ، فكيف يمكنه تعليق رجل أمن قوى من قدمه فى سقف حجرة ، على ارتفاع ثلاثة أمتار ، أى ما يزيد على ستة أضعاف طوله ؟ وكيف حمل جثة رئيس الأمن ، وعلّقها فى جهاز التغذية ، على هذا النحو العجيب ؟! ..

ارتبك القبطان ، وهو يقول :

- لابد من وجود تفسير منطقى .

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

- وحتى نعثر عليه ، لن يمسّ أى مخلوق هذا الصغير .

صاح به رجل الأمن ، وهو يواصل مقاومته لـ (أكرم) :

- حتى لو عثرت على التفسير المنطقى ، لن يمكنك أن تتخلّص منه قط .. إنه حفيدك .

انعقد حاجبا (نور) فى صرامة ، وهو يجيب :

أعطنى التفسير أوّلاً ، وسنرى ما الذى ..

وقبل أن يتمّ عبارته ، انطلق ذلك الأزيز القوى ، فى المكوك كله .

أزيز أعاد إلى الجميع كل التوتر ..

وكل الخوف .

★ ★ ★

١٣ - الفضـاء ..

« إنه الرجل الآلى .. » .

قالتها (سلوى) فى شئ من التوتر ، وهى تتطلّع عبر النافذة إلى الشخص الآلى المحدود ، المتشبث بالجدار الخارجى للمكوك ، والذى راح يرتجّ فى بطء ، مع ذلك الأزيز المستمر ، الذى يتردّد عبر المكان كله ،

فسألها (أكرم) فى عصبية :

- وكيف أمكنه إطلاق هذه الذبذبة داخل المكوك ، وهو معلّق بجداره الخارجى ؟!

أجابته بسرعة :

- إنه مجهّز بحيث يمكنه غرس مجسّ صغير عبر الجدار ، وإطلاق تلك الذبذبة ، كمحاولة لتنبيه الموجودين داخل المكوك إلى أنه هنا ، أو إيقاظهم ، لو أنهم وقعوا فى غيبوبة مثلا .

سألتها (مشيرة) فى لهفة :

- ألا يمكنه إطلاق رسالة إلينا بالوسيلة نفسها ؟!

هزّت رأسها ، قائلة :

- كلاً .. لا يمكنه بث كلمات واضحة أو صور هولوجرافية بهذه الوسيلة .

سألها (نور) فى اهتمام :

- وماذا لو حاولنا نحن توصيل رسائلنا إليه ؟

مطّت شفتيها فى أسى ، وهى تقول :

- هذا مستحيل بدون الكمبيوتر للأسف .

هتف (أكرم) فى حنق :

- ألا يمكنكم عمل أى شىء بدون التكنولوجيا .

أجابته (سلوى) فى حزم :

- ليس فى هذا العصر .

أجابها فى سخط :

- للأسف .

احتقن وجه (مشيرة) ، وهى تقول فى عصبية :

- أتشعر بالسعادة ، وأنت تعلن دائمًا بغضك للتكنولوجيا والتقدُّم ؟

- أجاب فى حدَّة :

- لست أرفض التكنولوجيا بالطبع ، فالأحمق وحده من يرفض أمرًا واقعًا .. إننى فقط أرفض الركون التام إليها .. لابد أن نحافظ على طاقاتنا ومهاراتنا البشرية

دومًا ، مهما ساعدتنا التكنولوجيا على التكاسل والاسترخاء ، فلا أحد يدرى ما الذى يمكن أن يحدث فى الغد .. ربما تعرَّض العالم كله لمحنة كهذه التى نواجهها ، وفقد وسائل الراحة والتكنولوجيا لسبب أو لآخر ، فما الذى سيفعله عندئذ ، لو لم تكن هناك مهارات بشرية كافية ، قادرة على التعايش مع الظروف الجديدة ؟!

بدا الارتباك على وجه (مشيرة) ، ممتزجًا بشىء من الخجل ، فى حين قال (نور) :

- إننى أتفق معك تمامًا يا (أكرم) ، والأمر ليس بحاجة إلى افتراض وهمى ، فقد تعرَّض العالم لهذا الموقف بالفعل ، بعد انتهاء فترة الاحتلال ، مع تأثير قنبلة (جاما) ، ولولا مهاراتك البشرية لما ظللت حيًا حتى الآن(★) .

قال (أكرم) بسرعة :

- ولما التقيت بـ (مشيرة) .

ثم تطلَّع لحظة فى صمت ، قبل أن يضيف فى خفوت :

(★) راجع قصة (رمز القوة) ... المغامرة رقم (٨١) .

- وأحببتها .

ارتجف جسد (مشيرة) ، وارتعدت شفتاها فى تأثر ، والتمعت عيناها بدمع مباغت ، ولكنها لم تنبس ببنت شفة ، فى حين ران صمت رهيب على المكان ، استمرّ لنصف دقيقة تقريبًا ، قبل أن يقطعه (نور) ، وهو يقول فى حزم :

- حسن .. دعونا نعد إلى مشكلتنا الرئيسية .

التفت اليه (أكرم) ، قائلاً :

- الصغير ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- كلاّ .. بل الرسالة التى يحملها ذلك الآلى .. الصغير الآن فى حماية والده ، أو تحت حراسته ، أيهما أكثر دقة ، ونحن نراقب كل همسة تحدث فى حجرته ، ولكن علينا إجراء الاتصال بذلك الآلى المحدود على الفور ، قبل أن تتردّى الأمور أكثر ؛ فمن المؤكّد أنهم يراقبوننا ويرصدون مسارنا الآن على الأرض ، وإجراء الاتصال بهم سيرشدنا إلى الكثير .

ثم التفت إلى القبطان ، مستطردًا :

- أين الزى الفضائى ؟

أجابه القبطان :

- سآمر أحد رجالى بإعداده لك فورًا .

قال (أكرم) فى صرامة :

- أنا الذى سيخرج إلى الفضاء أيها القبطان .

استدار إليه (نور) ، وقال فى هدوء :

- كلاّ يا (أكرم) .. أنا الذى سيخرج لإحضار ذلك الآلى .

هتف (أكرم) :

- (نور) .. إننى ..

قاطعه (نور) فى سرعة وحسم ، وكأنه يتمّ عبارته :

- لأننى أحتاج إليك هنا ، فى مهمة أكثر خطورة .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يكرّر فى مزيج من القلق والحذر :

- مهمة أكثر خطورة ؟!

واجهه (نور) ، قائلاً :

- نعم يا (أكرم) .. أريد أن تتولّى مسئولية حماية الطفل .

ازداد انعقاد حاجبى (أكرم) ، وهو يقول فى حذر أكثر :

- حمايته ؟! .. (نور) .. أهى محاولة لـ ....

قاطعه (نور) فى حزم وكأنه لم يسمعه :

- فأنت الشخص الوحيد ، الذى أثق به ثقة مطلقة لحماية (محمود) الصغير .

انتفضت (مشيرة) عند سماعها الاسم ، فى حين ردّد (أكرم) فى انفعال :

- (محمود) ؟! .. هل أطلقتم عليه اسم (محمود) ؟!

أجابته (سلوى) ، ودموعها تنحدر على وجنتيها :

- (نشوى) و(رمزى) أصرّا على هذا ، إحياء لذكرى رفيقنا الراحل(*) .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى تأثر ، وهو يقول :

- خيرًا فعلا .. خيراً فعلا ..

ثم شد على يد (نور) مضيفًا فى حزم :

(*) راجع قصة (الزمن = صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

- هيا .. اخرج إلى مهمتك على بركة الله يا صديقى ، واطمئن .. لن يمس أى مخلوق الصغير بسوء ، وأنا على قيد الحياة .. هذا وعد .

شدّ (نور) على يده فى حرارة ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- هذا ما أتوقعه من صديق مخلص مثلك .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يلتفت إلى القبطان ، مستطردًا فى حزم :

- والآن مر رجالك بإعداد الزى الفضائى ، والاستعداد لعملية خروج من المكوك ، وانتشال الآلى .

نطقها فى حسم واضح ، وهو يستعد لخوض مخاطرة جديدة من مخاطر تلك الرحلة التى تبدو وكأنها لن تنتهى ..

أبدًا ..

★ ★ ★

مال (رمزى) يتطلّع إلى الصغير فى اهتمام شديد ، وهو مستغرق فى النوم العميق ، وغمغم :

- ترى أى سر تخفى خلفك يا صغيرى ؟! .. ما سر بشرتك الخضراء ، وتلك المادة التى تجرى فى عروقك

مجرى الدم ؟! .. أهو تغير فسيولوجى ؛ بسبب نموك فى رحم أمك ، فى أثناء وجودنا على المريخ ، أم أنه تحوّر غير طبيعى ، أصابك بسبب ذلك الوحش هناك ؟! ..

ثم مدّ يده يتحسَّس بشرة الصغير فى حذر ، ففتح عينيه فى تكاسل ، وتثاءب ، كما يفعل كل الأطفال ، وبدت عيناه ثابتتين حائرتين ، فتابع (رمزى) ، وقد تسلَّل إلى صوته شىء من الحنان :

- لماذا يحدث لك هذا ؟ .. بل لماذا يحدث لأمك ، ولنا جميعًا ؟! .. تُرى هل تعلم أنها مستغرقة فى النوم الآن ؛ لأننى حقنتها بعقار مهدّئ ، بعد أن أصابها الانهيار من خوفها عليك ؟! .. إنها لن تستجيب لبكائك بالطبع ، ولكننا نمدك بالغذاء الكافى .. أليس كذلك ؟

أتاه صوت من خلفه ، يقول :

- ولكن ابنك لا يبكى قط .

التفت (رمزى) إلى مصدر الصوت ، وقال :

- (أكرم) ؟! .. لقد أفزعتنى بحق .

دلف (أكرم) إلى الحجرة ، وهو يقول :

- معذرة .. لم أقصد هذا ، ولكن حديثك أثار انتباهى

ثم مدّ يده يتحسّس بشرة الصغير فى حذر ، ففتح عينيه فى تكاسل ، وتثاءب ..

إلى أننى لم أسمع طفلك يبكى أبدًا .. قل لى : أهذا أمر طبيعى فى دنيا المواليد ؟

بدت الحيرة على وجه (رمزى) ، وهو يغمغم :

ـ كلاً بالطبع .

ـ ثم عاد يتطلع إلى الصغير ، مستطردًا فى قلق :

ـ حقًا .. لماذا لا يبكى أبدًا ؟!

اتخذ (أكرم) مقعدًا ، وهو يقول :

ـ هل تعلم يا (رمزى) ؟! .. ليس لدى أدنى شك فى أن لطفلك يدًا فيما يحدث ، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

قالها ، وهو يتوقع رفضًا أو استنكارًا من (رمزى) ، ولكنه فوجئ به يجيب فى حزن واضح :

ـ بالتأكيد .

ثم رفع عينيه إليه ، مستطردًا فى أسى :

ـ ولكن هذا لا يعنى أنه مسئول عما يحدث .

بدت الدهشة على وجه (أكرم) ، وهو يقول :

ـ كيف يكون له يد فيما يحدث ، دون أن يكون مسئولاً عنه ؟!

هزَّ (رمزى) كتفيه ، وهو يجيب :

ـ تمامًا مثل حامل العدوى .. إنه لا يدرك أنه يحمل الميكروبات فى جسده ، ولكنه يتسبَّب فى نقل المرض ، دون أن يكون مسئولاً عن ذلك على نحو مباشر .

سأله (أكرم) فى اهتمام :

ـ هل تعنى أن ما يحدث هنا نوع من العدوى ؟!

صمت (رمزى) بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ لقد تحوَّل دم الطبيب إلى تلك المادة الخضراء ، وظهرت عليه أعراض عجيبة ، قبل أن يلقى مصرعه ، وربما يعنى هذا وجود نوع من العدوى .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يحاول استيعاب هذا المنطق ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه فى شدة ، قائلاً :

ـ كلاً .. هذا ليس منطقيًا .. إن أحدًا بخلاف الطبيب لم يعان من أية أعراض قبل مصرعه .

قال (رمزى) :

ـ ربما كان المصاب بالعدوى شخصًا لم تظهر عليه أية أعراض ، ولكنه يفتك بالآخرين بلا رحمة ، وربما دون أن يدرى .

صمت (أكرم) بضع لحظات أخرى ، ثم قال فى توتر :

ـ هذا سيعنى أنه شخص مجهول ، يمكن أن يهاجمنا فى أية لحظة .

أجابه (رمزى) فى سرعة :

ـ أو أنه أحدنا .

اتسعت عينا (أكرم) لحظة فى ارتياح ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

ولكن فى أعماقه ، بدا له ذلك الاحتمال مخيفًا ..

بل مرعبًا ..

ولأقصى حد ..

★ ★ ★

ارتدى (نور) الزى الفضائى ، وراح يتأكد من أن كل جزء فيه يعمل بكفاءة تامة ، وأحد الملاحين يعاونه ، وهو يملى زميله ، قائلاً :

ـ أجهزة الدفع سليمة .. مضخات الهواء تعمل بكفاءة .. جهاز معادلة الضغط متوازن .. الحرارة مناسبة .

قالت (سلوى) فى توتر :

ـ من الأفضل أن تراجع كل شىء مرتين ، قبل أن يخرج زوجى وحده إلى الفضاء .

أجابها الرجل متنهدًا :

ـ إننا نراجعها للمرة الثالثة يا سيدتى ، فلقد كان الكمبيوتر هو الذى يتولى هذه المهمة فى المعتاد .

أجابته فى عصبية :

ـ وهذا ما يقلقنى .

منحها (نور) ابتسامة حانية مشجعة ، وهو يقول :

ـ لا تقلقى يا حبيبتى ، وقولى : لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .

غمغمت وعيناها تترقرقان بالدمع :

ـ ونعم بالله (العلى القدير) ، ولكننى لا أستطيع مقاومة شعورى بالخوف .

ربت على كتفها ، قائلاً بنفس الابتسامة :

ـ اطمئنى .. كل شىء سيسير على ما يرام بإذن الله .

أمسكت يده فى قوة ، وكأنها تتشبث بوجوده إلى جوارها ، قائلة :

- (نور) .. أريد منك أن تعدنى بأمر ما ، قبل أن تخرج إلى الفضاء .

تحسّس شعرها المسترسل فى حنان ، وهو يقول :

- بِمَ ؟!

انحدرت الدموع من عينيها ، مع همسها المتهدِّج .

- عدنى بأن تبذل قصارى جهدك لتعود إلىّ سالمًا .

تطلع لحظة إلى عينيها الحزينتين ، الغارقتين فى نهر من الدموع ، قبل أن يقول :

- أعدك ياحبيبتى .. أعدك بشرط واحد .

ثم مال يطبع قبلة حانية على خدها ، مستطردًا :

- ألا تبكى أبدًا .

التقطت شفتاه دموعها ، ومسحتاها عن وجهها ، فرفعت عينيها إليه ، قائلة :

- أعدك يا (نور) .

ابتسم فى حب ، وطبع قبلة أخرى على خدها ، ثم التقط الخوذة ، قائلاً :

- وأنا أعدك كذلك .

تطلّعت إليه فى لوعة ، وهو يرتدى خوذته ، ويلوّح

لها بيده ، قبل أن يدلف إلى حجرة معادلة الضغط ، وانتقل الملاحان إلى الحجرة الملحقة ، وبدأ العَدّ التنازلى لعملية الخروج إلى الفضاء :

- عشرة .. تسعة . ثمانية .. سبعة ..

ومع تواصل العد ، كان الضغط والحرارة ينخفضان تدريجيًا فى الحجرة ، حتى يتساويان مع الفضاء الخارجى ، ثم بدأ بابها المطلّ على الفضاء يُفتح تدريجيًا :

- أربعة .. ثلاثة .. اثنان .. واحد .. صفر .

وبدأ (نور) مهمته ..

انطلق يسبح خارج المكوك فى نعومة ، مع انعدام الضغط والجاذبية ، ثم استخدم جهاز الدفع الفضائى ، لتوجيه جسده إلى حيث ذلك الآلى ..

كانت مهمته دقيقة حقًا ، وتحتاج إلى كثير من المهارة ، فأية زيادة فى قوة الدفع تكفى ، لتلقى به بعيدًا عن المكوك ، ليضيع جسده فى الفضاء الخارجى ..

والى الأبد ..

وفى دقة ، راح يزحف تقريبًا على السطح الخارجى للمكوك ، متجهًا نحو ذلك الآلى ، الذى يقبع بالقرب من النافذة الكبيرة لحجرة القيادة ، التى وقفت (سلوى) خلفها ، بصحبة القبطان و(مشيرة) ، يراقبون رحلة (نور) ، الذى قال ، عبر جهاز الاتصال الداخلى ، المثبت فى خوذة الزى الفضائى :

- كل شىء على ما يرام .. أجهزة الزى تعمل كلها بكفاءة ، والآلى على بعد عشرة أمتار منى تقريبًا ، وأنا أتجه إليه فى خط مستقيم ، ملتصقًا بالجدار .

خفق قلب (سلوى) ، وهى تهمس فى انفعال :

- ساعده يا إلهى ! .. ساعده .

اقترب (نور) أكثر وأكثر من الآلى ، حتى صار قاب قوسين أو أدنى منه ، وقال :

- الآلى الآن فى متناول يدى ، سأدفعه أمامى حتى أعود إلى المدخل .

هتفت (سلوى) ، عبر جهاز الاتصال المحدود :

- اضغط الزر الأحمر فى أعلاه أوّلاً ، حتى يستعيد المجس .

ضغط (نور) الزر الأحمر ، وانتظر لحظة ، حتى سمع (سلوى) تقول :

- الآن يمكنك إعادته .

بدأ (نور) يدفع الآلى فى رفق ، فاستجاب له فى نعومة ، وراح ينزلق أمامه ، على الجدار الخارجى للمكوك ، متجهين نحو المدخل ..

وفجأة ، أضىء مصباح أحمر فى لوحة التحكم ، فهتفت (سلوى) فى هلع :

- ما هذا ؟

أجابها القبطان ، وقد تفجّرت فى أعماقه وصوته موجة عنيفة من التوتر :

- أحدهم يُغلق المدخل .

واختطف أحد أجهزة الاتصال الداخلى ، صارخًا :

- ماذا يحدث عندكم ؟! .. لماذا تغلقون المدخل ؟

أجابه أحد الملاحين ، اللذين يديران الموقف عند حجرة معادلة الضغط ، فى ذعر شديد :

- إننا لا نغلقه يا سيدى .. إنه يغلق نفسه بنفسه ، على الرغم من محاولاتنا المستميتة لمنعه من هذا .

صرخت (سلوى) :

- رباه ! .. (نور) .

ثم اختطفت جهاز الاتصال المحدود ، صائحة :

- عد يا (نور) .. عد بأقصى سرعة .. اترك ذلك الآلى وعد .

كان (نور) يدرك أن مهمته المحدودة لن تكون بسيطة ، بأى حال من الأحوال ، وأن ذلك الخصم المجهول ، الذى جلبته لعنة الدم الأخضر ، لن يسمح لهم بالحصول على وسيلة اتصال قط ، لذا فقد دفع الآلى أمامه ، وهو يزيد من قوة الدفع فى حذر ، فى محاولة لبلوغ المدخل وعبوره ، قبل أن يُغلق تمامًا ..

وكان سباقًا رهيبًا ..

(سلوى) تواصل صراخها ، مطالبة (نور) بالعودة ، والملاحان يقاتلان لمنع إغلاق المدخل ، والقبطان يبذل قصارى جهده ، لاستعادة التحكم

فى الموقف ، و(نور) يدفع الآلى أمامه ، و ..

وأخيرًا بلغ المدخل ..

بلغه وقد قطع بابه نصف المسافة إلى نهايته ، فدفع الآلى داخل حجرة معادلة الضغط ، وهو يقول عبر جهاز الاتصال الداخلى :

- الآلى فى الداخل الآن .. وأنا فى طريقى للدخول .

هتفت به (سلوى) :

- أسرع بالله عليك يا (نور) .. أسرع .

حاول (نور) أن يعبر المدخل خلف الآلى ، إلا أن الباب كان قد قطع شوطًا أطول ، وأصبحت المسافة المتبقية ضئيلة للغاية ، فحاول أن يدفع جسده عبرها ..

ولكن فجأة ، ارتطم جهاز الدفع الفضائى بالباب ..

كان الارتطام بسيطًا للغاية ، إلا أنه أشعل قوة الدفع بغتة ، فانطلق الجهاز يعمل بكل قوته .

وانطلق جسد (نور) مبتعدًا فى الفضاء ..

وبكل الذعر واللوعة والهلع فى أعماقها ، صرخت (سلوى) :

- لا يا (نور) .. لا .

واتسعت عيناها فى رعب لا مثيل لها ، وهى تحدّق فى جسد زوجها ، الذى راح يدور حول نفسه على نحو عشوائى ، وهو يبتعد عن المكوك ، ويبتعد .. ويبتعد ، ويغوص أكثر وأكثر فى أعماق الفضاء السرمدى السحيق ..

ثم كاد قلبها يتوقّف عندما اختفى جسده وسط الظلام الدامس ..

اختفى تمامًا .

★ ★ ★

انتهى الجزء الأوَّل بحمد الله
ويليه الجزء الثانى
(مصيدة الفضاء)

رقم الإيداع ٣٢١٥

د. نبيل فاروق

لعنة الدم

- ماسر تلك الأحداث الغامضة المخيفة ، فى قلب مكوك الفضاء المصرى ؟!..
- أى خطر هذا ، الذى يسحق ركاب المكوك ، واحدا بعد الآخر ؟!..
- ترى هل ينتصر (نور) وفريقه هذه المرة ، أم تلتهمهم (لعنة الدم) ؟!..
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه من أجل صفحة جديدة من الملف .. (ملف المستقبل)..

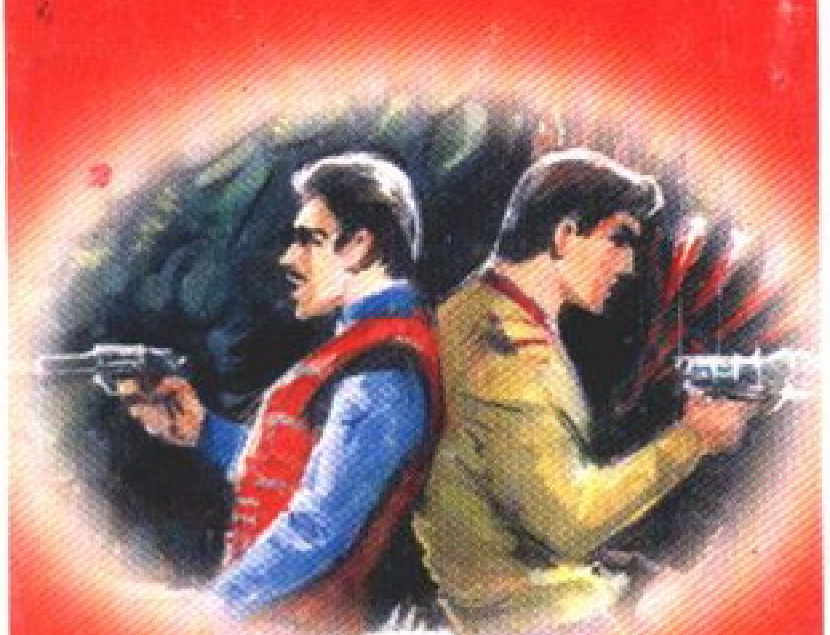

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

107

الثمن فى مصر ٢٠٠ ـــص
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم : مصيدة الفضاء

روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً!!

108

مصيدة الفضاء

Looloo
www.dvd4arab.com

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ المصيـدة ..

عبر الدكتور (ناظم) ، رئيس مركز الأبحـاث الخاصة ، ذلك الممر الطويل ، فى مبنى المخابرات العلمية المصرية ، بخطوات واسعة سريعة ، قبل أن يتوقَّف عند باب كبير فى نهاية الممر ، ويقول :

ـ الدكتور (ناظم) .. تحقيق شخصية رقم (٧٠٠ ص . ب) ـ الفئة (ا) .

قالها وألصق راحته بجزء من الباب ، وانتظر لحظة ، تحرَّك خلالها شعاع وردى ، عبر الباب كله ، وجوَّل فى ملامحه ، قبل أن يضىء مصباح أزرق أعلى الباب ، مع صوت آلى ، يقول :

ـ تمَّ التحقُّق من شخصية الزائر .. مسموح له بالدخول .

وانفتح الباب فى بطء ، فعبره الدكتور (ناظم) ، وواصل طريقه عبر ممر آخر قصير ، قبل أن ينحرف إلى ممر آخر ، ويعبر بابًا مفتوحًا ، وهو يلقى التحية على القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، الذى سأله فى اهتمام مشوب باللهفة :

- ما الأخبار يا دكتور (ناظم) ؟! .. هل تم الاتصال بالمكوك ؟!

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وهو يتنهَّد فى أسف ، قائلا :

- ليس بعد يا سيِّدى .. الرجل الآلى المحدود وصل إلى نقطة اللقاء بالضبط ، ويتشبَّث الآن بالجدار الخارجى للمكوك ، إلا أن الاتصال لم يتمَّ بعد ، وأخشى أن هذا قد يعنى أن أحدًا فى المكوك لم ينتبه إلى وجوده لسبب أو لآخر .

قال القائد الأعلى فى توتر :

- هل تعنى أنه من المحتمل أنهم ....

لم يستطع إتمام عبارته ، مع ذلك الامتقاع الذى شمل وجهه كله ، وذهنه يصنع صورة وهمية للمكوك ، وقد احتشدت فيه جثث (نور) ورفاقه والملاحين وطاقم الأمن ، و ...

« مستحيل ! .. » .

هتف القائد الأعلى بالعبارة ، قبل أن يقول فى انفعال :

- أجر أنت اتصالك بالآلى ، واجعله يطلق إشارة تنبيه أو ما شابه .

أجاب الدكتور (ناظم) :

- لقد أطلقها بالفعل ، منذ ما يقرب من نصف الساعة ، ولكننا لم نتلق أية ردود أفعال بعد .

هتف القائد الأعلى :

- يا إلهى ! .. هذا يثير مخاوفى بحق .

وافقه الدكتور (ناظم) بإيماءة من رأسه ، قائلا :

- خاصة وأن المكوك مازال يواصل انطلاقه نحو المريخ ، على نحو يبدو لى وللخبراء مثيرًا للريبة والشك والقلق .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يسأله :

- وما الذى قدَّره الخبراء ، فى هذا الشأن ؟ .. أعنى ما تصوَّرهم لما يحدث ؟!

ازدرد الدكتور (ناظم) لعابه ، قبل أن يتنحنح ، ويجيب :

- إنهم يتصوَّرون أن شيئًا ما قد سيطر على المكوك ، بعد أن قضى على كل من فيه ، وأنه يعود به إلى المريخ ، فى محاولة لانتشال بعض تلك المخلوقات ، التى

أشار (نور) إلى وجودها هناك(*) ، وحملهم إلى الأرض لغرض ما .. وربما لبدء غزوٍ جديد .

انتفض جسد القائد الأعلى ، وهو يستمع إلى ذلك التصوّر ، وقفز عقله إلى تلك الذكريات الرهيبة ، لأيام الاحتلال البغيضة(**) ، قبل أن يهتف :

- لا يمكن أن نسمح بتكرار هذا .

أجابه الدكتور (ناظم) فى سرعة :

- بالتأكيد .. الكل أجمعوا على هذا .. لو أن المكوك وقع تحت سيطرة غرباء ، يسعون لبدء غزو جديد للأرض ، فالأفضل أن ننسفه ، قبل أن يتحقّق لهم غرضهم .

ارتفع حاجبا القائد الأعلى فى شىء من الدهشة الممزوجة بالفزع ، قبل أن يقول :

- وماذا عن (نور) ورفاقه والآخرين ؟

تنهّد الدكتور (ناظم) فى أسى ، وهو يقول :

- عدم استجابتهم لنا ، على الرغم من وصول الآلى

(*) راجع قصة (بلا أثر) .. المغامرة رقم (١٠٦) .

(**) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

المحدود إليهم ، تعنى حتمًا أنهم قد لقوا مصرعهم للأسف يا سيِّدى القائد الأعلى .

أومأ القائد الأعلى برأسه متفهمًا فى أسف ، وهو يغمغم :

- أنت على حق .

ولاذ بالصمت لدقيقة كاملة ، قبل أن يستعيد سيطرته على مشاعره ، ويشدّ قامته فى اعتداد ، قائلًا :

- اسمع يا رجل .. لا يمكننا إهمال رأى الخبراء .. الدول المتخلّفة وحدها تفعل هذا .. سنمنح الرجال فى المكوك فرصة للاستجابة لرسالتنا ، خلال ساعة واحدة ، وبعدها سنطلق صواريخنا نحو المكوك ، وننسفه نسفًا ، كإجراء وقائى آمن .

والتقط نفسًا عميقًا متوترًا ، وهو يضيف فى انفعال :

- وليفعل الله (سبحانه وتعالى) ما فيه الخير للجميع .

قالها ، دون أن يدرك أن المكوك ومن فيه يعانون محنة رهيبة ..

بل لعنة ..

لعنة دم أخضر قاتل مخيف ..

ولقد بدأ الأمر عندما وضعت (نشوى) مولودها (محمود) الصغير ، فى قلب مكوك الفضاء ، وهو يحملهم من المريخ إلى الأرض ، بعد مغامرة رهيبة ، ذاقوا فيها الأمرّين ، وواجهوا الأهوال ..

ولم يكن المولود طبيعيًا أبدًا ..

صحيح أن ملامحه تشبه ملامح والديه إلى حد كبير ، إلا أن المشكلة تكمن فى لون بشرته ودمائه ..

ذلك اللون الأخضر العجيب ، الذى لا يشبه بأى حال من الأحوال بشرة البشر ودماءهم ..

وعلى الرغم من دهشة الجميع وقلقهم ، مع تلك الظاهرة غير الطبيعية ، إلا أنها لم تكن فى حد ذاتها مصدر إزعاجهم ، وإنما هى تلك اللعنة المخيفة ، التى صاحبت مولد الصغير الأخضر ..

لعنة الدم ..

لقد بدأت سلسلة رهيبة من حوادث القتل ، ارتبطت كلها بتلك المادة الخضراء ، التى تجرى فى عروق الصغير مجرى الدم ..

ثم فقد المكوك قدرته علي التحكم فى مساره ، مع كل خرائطه الملاحية ، وسيطرته على أجهزة التوجيه ..

ومع تدمير الكمبيوتر الرئيسى ، تحوّل الأمر من مشكلة إلى كارثة ..

لم يعد أحد يدرى إلى أين ينطلق المكوك ، ومن الذى يسيطر عليه ، ويوجّهه إلى حيث يريد ..

وبدأت رحلة التمرُّد ، بين ملاحى المكوك ورجال أمنه ، وحاولوا قتل الصغير ؛ لمنع استمرار الكارثة ، ولكن الأمر انتهى بمصرع رئيس فريق الأمن ، وسيطرة (نور) وفريقه ثانية على الموقف ..

الموقف الذى خرج من بين أيدى الجميع بالفعل ..

ثم فجأة ، وعندما تعقّدت الأمور ، وبلغت حافة الخطر ، ظهر ذلك الآلى المحدود ..

شخص آلى بسيط للاتصالات ، أرسله العلماء من الأرض إلى المكوك ، باستخدام تقنية الانتقال الآنى المتطوّرة ، فى محاولة لإجراء الاتصال مع المكوك ، وتحديد ما يحدث فيه بالضبط ..

وكان من المحتّم أن يخرج شخص ما إلى الفضاء ، لانتشال ذلك الآلى المحدود ، وحمله إلى داخل المكوك ..

وأصرّ (نور) على القيام بالمهمة ..

وبكل القلق والخوف فى أعماقهم ، راح الجميع يتابعون (نور) ، وهو يسبح فى الفضاء الخارجى ، حتى بلغ الآلى المحدود ، وراح يدفعه أمامه إلى المكوك ..

وفجأة ، فقد الرجال السيطرة على مدخل حجرة معادلة الضغط ، الذى راح يُغلق رويدًا رويدًا ، و(نور) يجاهد لبلوغه ، قبل أن يلتقى مصراعاه ..

وفى صعوبة بالغة ، بلغ (نور) المدخل ، ودفع الآلى إلى الداخل ، وحاول اللحاق به ، و ...

وارتطم جهاز الدفع الفضائى بحافة المدخل ..

وانطلق يعمل فى قوة ، ليدفع جسد (نور) بعيدًا فى الفضاء ، أمام العيون المذعورة ، حتى اختفى فى غياهب الفضاء المظلم ..

اختفى تمامًا(*) ..

★ ★ ★

اطلَّ القلق واضحًا ، من ملامح (أكرم) ، وهو يلقى نظرة على ساعة يده ، ويقول لـ (رمزى) ، وهما يجلسان معًا فى حجرة الصغير :

(*) للاطلاع على التفاصيل كاملة ، راجع الجزء الأوَّل (لعنة الدم) .. المغامرة رقم (١٠٧) .

ـ المفترض أن يكون (نور) الآن خارج المكوك .

رفع (رمزى) عينيه إليه ، يسأله :

ـ هل تشعر بالقلق مثلى ؟!

تنهَّد (أكرم) ، وهو يومئ برأسه إيجابًا ، قائلا :

ـ بل أكثر منك حتمًا ، فكل ذرة فى جسدى تلتهب قلقًا ، كما يراودنى شعور سخيف بالخجل ؛ لأننى لم أشاركه مهمته .

هزَّ (رمزى) كتفيه ، قائلا :

ـ إنها مهمة رجل واحد ، ثم إنه لم يكن هناك زى فضائى إضافى على أية حال .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، وهو يتطلَّع إلى الصغير ، مغمغمًا :

ـ للأسف .

لم يكد ينطقها ، حتى انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدِّق فى الصغير ، هاتفًا :

ـ رباه ! .. أى عبث شيطانى هذا ؟

جذبت عبارته كل مشاعر (رمزى) ، فالتفت بكيانه إلى ابنه ، قبل أن يطلق شهقة دهشة قوية ..

فأمام عيونهما مباشرة ، كانت تحدث ظاهـرة مدهشة ..

أغرب ظاهرة حدثت ، منذ بدأت الأحداث العجيبة ..

كان جسد الصغير يرتجف ويرتعد فى سرعة كبيرة ، ويبدو وكأنه ينفصل إلى جسدين توءمين ، أحدهما له بشرة خضراء داكنة ، والآخر له بشرة وردية عادية ..

ولم يكتمل هذا الانفصال قط ..

فقط ظلّ الجسد الضئيل يرتجف ويرتجف ، ويرسم الصورتين معًا ، كما لو كان مشهدًا يتم عرضه بمرشحى ألوان مختلفين ، على شاشة مزدوجة ..

وفى ذهول ، هتف (رمزى) :

- ماذا يحدث ؟!

غمغم (أكرم) ، وقد انعقد حاجباه فى توتر شديد :

- لست أدرى ، ولكنها ظاهرة لا تبشّر بالخير على أية حال .

نطق عبارته كاملة ، وانتظر لحظة أخرى ، ثم همّ باستكمالها ، عندما ارتفع صوت (مشيرة) ، عبر جهاز الاتصال الداخلى المحدود ، وهى تصرخ :

- النجدة ! .. (نور) ضاع فى الفضاء .. ضاع .. ضاع .

استلّ (أكرم) مسدسه على نحو غريزى ، وهو يصرخ بدوره :

- لا .. ليس (نور) .

ثم اندفع يغادر الحجرة ، وهو يشير بيده إلى (رمزى) ، هاتفًا :

- الزم مكانك ، واحم الصغير .

لم يكن (رمزى) بحاجة فعليًا إلى الهتاف ، فقد ربط ذهنه على الفور ، بين تلك الظاهرة ، وضياع (نور) فى الفضاء الخارجى ..

خاصة وأن جسد الصغير قد توقّف عن الارتجاف ، واستعاد هدوءه المستفز ، مع بشرته الخضراء ، فور انطلاق صيحة (مشيرة) ..

وكان هذا يعنى أن له علاقة بما حدث ..

علاقة مباشرة ..

وربما أكثر مما ينبغى ..

وفى حذر شديد ، تقدّم (رمزى) من جسد الصغير ، وهو يتمتم :

- رباه ! .. إذن فأنت الـ ...

لم يكن قد أتمّ عبارته بعد ، عندما انتبه إلى تلك البقعة الصغيرة ، ذات اللون الوردى ، التى تغطى كتف الطفل ..

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو ينحنى ليفحصها ..

ولأوّل مرة ، منذ مولد الصغير ، بدت له تلك البقعة عجيبة ..

عجيبة للغاية ..

أما (أكرم) ، فقد انطلق يعدو ، حتى حجرة القيادة ، وهتف وهو يلوّح بمسدسه فى عصبية :

- ماذا حدث ؟!

كانت (سلوى) منهارة تمامًا ، و(مشيرة) تبكى فى عنف ، فى حين انهمك القبطان مع أحد الملاحين ، ورجل الأمن المتبقى ، فى محاولة دراسة الموقف ، فالتفت إليه الرجل ، وأجاب فى توتر لا محدود :

- أحدهم أغلق المدخل ، وأصاب جهاز الدفع الفضائى فى زى (نور) بخلل ما ، فانطلق فى الفضاء بلا هدى ، وغاب وسط الظلام الدامس .

هتف (أكرم) فى ارتياع :

- ألا توجد وسيلة لاستعادته ؟

هزّ القبطان رأسه فى أسى ، مغمغمًا :

- كلاّ للأسف .. لا يمكننا هذا .

احتقن وجه (أكرم) لحظة ، قبل أن يصرخ فى غضب :

- مستحيل !

ثم انقضّ على القبطان فى ثورة عارمة ، وانتزعه من مقعده ، ودفعه أمامه فى عنف ، صارخًا :

- لابد وأنه هناك وسيلة ما .. انطق يا رجل .. انطق وإلا .

صاحت (مشيرة) :

- لا يا (أكرم) .. لا تفعل هذا .

أما رجل الأمن ، فقد وثب بحركة بارعة ، وانتزع مسدسه ، وهوى به على مؤخرة عنق (أكرم) ، الذى انتفض جسده كله فى عنف ، وترنّح لحظة واحدة ، ثم سقط أرضًا كالحجر ، فهتفت (مشيرة) مذعورة :

- ماذا فعلت به ؟!

تراجع رجل الأمن بسرعة ، وهو يقول :

- اطمئنى يا سيِّدتى .. لقد فقد وعيه فحسب .
ثم أشار إلى القبطان ، مستطردًا :
- كنت مضطرًا .. لقد هاجم القبطان ..
صاحت به :
- ليس هذا من حقك .
أجابها القبطان هذه المرة فى صرامة :
- بل من حقه .. وهو من صميم عمله أيضًا .
والتفت إلى الرجل ، مضيفًا :
- أحسنت يا رجل .
هتفت (مشيرة) :
- ماذا تعنى ؟! .. هل ستكافئه ؟!
أجابها القبطان فى حزم صارم :
- بالتأكيد .. الرجل قام بواجبه خير قيام ، ولو أننى فى موضعه ، لما فعلت ما هو أفضل .
ثم انعقد حاجباه فى صرامة أشد ، مستطردًا :
- ومن الواضح أن الرجال كانوا على حق منذ البداية .. أنا وحدى كنت على خطأ .. لم يكن ينبغى أبدًا أن نسلمكم زمام الأمور ، مهما كانت الأسباب .

صاحت به (سلوى) وهى تبكى فى انهيار :
- كيف تقول هذا ، وقد ضحى زوجى بحياته من أجلكم ؟!
أجابها الرجل فى قسوة :
- سنقدِّر تضحيته خير تقدير ، ونمنحه وسامًا لو شئت يا سيِّدتى ، إذا ما نجحنا فى العودة إلى الأرض ، أما الآن ، فسأستعيد سيطرتى على المكوك ، وسأتخذ قرارًا حاسمًا ، كان ينبغى أن أتخذه منذ اللحظة الأولى .
حبست (سلوى) أنفاسها ، دون أن تنبس ببنت شفة ، وإن توقَّع قلبها العبارة التالية ، قبل حتى أن ينطقها القبطان ، قائلًا :
- سنتخلَّص من الصغير .
صرخت (سلوى) :
- لا .. إياك أن تفعل .
أجابها فى صرامة شديدة :
- بل سنفعل يا سيِّدتى .. والآن على الفور .. هذا وحده يعيد الأمان والسلام إلى الجميع .
ثم أشار إلى آخر رجال الأمن ، مستطردًا :

- نفذ الأمر .

انتفض جسد الرجل فى حماس مضاعف ، وبرقت عيناه فى نشوة ظافرة ، وهو ينتزع مسدسه من غمده ، قائلا فى قوة :

- سمعًا وطاعة يا سيّدى القبطان .

صرخت (مشيرة) :

- أيها الوحوش .. إنه طفل صغير .

واندفعت (سلوى) محاولة منع رجل الأمن ، إلا أن القبطان أمسك بها فى قوة ، هاتفًا :

- هيا يا رجل .

انطلق الرجل مغادرًا المكان ، نحو حجرة الصغير ، و(سلوى) تقاوم القبطان فى استماتة ، صارخة :

- لا .. لا تفعلها .. أرجوك .

أما (مشيرة) ، فقد تلفّتت حولها فى عجز ، وألقت نظرة بائسة على زوجها الفاقد الوعى ، قبل أن تقفز ملتقطة جهاز الاتصال الداخلى المحدود ، وتهتف :

- (رمزى) .. لقد حدث تمرّد جديد .. أحدهم فى طريقه إليك لقتل ابنك .. احترس يا (رمزى) .. احترس .

ولم يكد (رمزى) يتلقى النداء ، حتى هتف :

- رباه ! .. لقد حدث ما كنت أخشاه .

ثم انتزع أجهزة التغذية من جسد الصغير بسرعة ، قائلا :

- ربما كنت مسئولاً عن كل ما حدث ، ولكنك مازلت ابنى ، ومن واجبى حمايتك ، حتى يتضح موقفك .

وانحنى يحمل الصغير ، مستطردًا فى مزيج عجيب من القلق والحنان :

- اطمئن يا ولدى .. لن يمسك أحدهم بسوء ، مادمت حيًا .

قالها ، وانطلق يعدو خارج الحجرة ، ولم يكد يتجاوز بابها ، حتى لمح رجل الأمن فى نهاية الممر ، يهتف به فى صرامة :

- توقف يا رجل .. لا فائدة من المحاولة .

قفز (رمزى) ، محاولاً بلوغ نهاية الممر ، وأطلق رجل الأمن أشعة مسدسه الليزرى خلفه ، وهو يهتف :

- فليكن .. أنت أردت هذا .

رأى (رمزى) خيطًا من أشعة الليزر يتجاوزه ، ويرتطم بالجدار المقابل ، ومرق خيط آخر على قيد سنتيمترات من عنقه ، وهو يعدو بكل قوته .. ويعدو .. ويعدو ..

ثم اخترق خيط الليزر الثالث فخذه ..

ومع الإصابة ، شعر (رمزى) بآلام رهيبة ، جعلته يطلق صيحة ألم عالية ، ويفقد توازنه ، ويهوى أرضًا ، فصرخ وهو يميل بجسده كله ؛ ليرتطم ظهره بالأرض ، حماية لولده :

ـ أيها القاتل الحقير .

ارتطم بالأرض فى عنف ، وكاد الطفل يفلت من بين ذراعيه ، لولا أن تشبَّث به فى شدة ، على الرغم من سقوطه ، وأدهشه حقًا أنه لم يبك ، أو تصدر عنه صيحة طفولية واحدة ، على الرغم من أنه قد فتح عينيه ، وتطلَّع إليه بنظرة خاوية فارغة ، فى نفس اللحظة التى بلغه فيها رجل الأمن ، وهو يصيح :

ـ ابنك هو القاتل يا رجل .. حاول أن تستوعب هذا .

قالها ، وهو يصوِّب مسدسه إلى الصغير ، فمال

(رمزى) بجسده بسرعة ، وترك ابنه ينزلق على الأرضية الناعمة ، وهو يرفع قدمه ليركل رجل الأمن بكل قوته فى ساقه ، هاتفًا :

ـ لم يثبت هذا بعد .

تأوَّه رجل الأمن فى ألم ، ولكن قدمه تحرَّكت فى سرعة مدهشة ، وركل (رمزى) فى وجهه ، قائلًا :

ـ وهل ستنتظر الإثبات ؟!

حاول (رمزى) النهوض ، لحماية طفله الصغير ، إلا أن رجل الأمن ركله ثانية فى معدته ، مستطردًا :

ـ لو أنك مستعد لهذا ..

ثم هوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، مضيفًا :

ـ فأنا لا .

حاول (رمزى) السيطرة على توازنه ، وهو يقاوم فى عنف ذلك الدوار ، الذى أحاط بكيانه كله فى إصرار ، مغمغمًا :

ـ أنتم ترتكبون خطأ فادحًا .

مطَّ الرجل شفتيه ، وهز كتفيه ، قائلًا :

ـ للأسف يا رجل .. أنتم الذين ترتكبون ذلك الخطأ طوال الوقت .

قالها ، وهوى على فك (رمزى) بلكمة أخيرة ، ارتجَّ لها رأس هذا الأخير فى قوة ، قبل أن يسقط أرضًا ، وقد فقد وعيه تمامًا هذه المرة ..

وفى حزم صارم ، اعتدل رجل الأمن ، وأدار عينيه وفوهة مسدسه إلى الصغير ، قائلًا :

- والآن حان دورك أيها الشيطان الصغير ، الآن فقط يمكننى أن ..

انتفض جسده كله فى عنف ، وهو يحدِّق فى الصغير ، وقد امتلأ جسده كله بحالة من الرعب والانفعال ، لم يسبق لها مثيل ، فى حياته كلها ، وهو يحدِّق فى الصغير ، الذى بدا له وكأنه ينفصل إلى جسدين ، نهض أحدهما واقفًا على قدميه الصغيرين ، وهو يرمقه بنظرة رهيبة مخيفة ..

ثم انطلق من حلقه فحيح ..

فحيح جعل رجل الأمن يصرخ :

- لا .. لا .

ثم ضغط زناد مسدسه ، وأطلق الأشعة القاتلة نحو الصغير ..

وأصاب هدفه .. مباشرة .

★ ★ ★

وهو يحدِّق فى الصغير ، الذى بدا له وكأنه ينفصل إلى جسدين ، نهض أحدهما واقفًا على قدميه الصغيرين ..

٢ ـ والفضـــاء ..

لمسافة لا يعلمها إلا الله (سبحانه وتعالى) ، ابتعد جسد (نور) عن المكوك ، مندفعًا فى أعماق الفضاء ، وهو يجاهد بكل قوته ، فى محاولة للسيطرة على جهاز الدفع ، الذى تلفت ذراع قيادته ، مع ارتطامها بحافة المدخل .

وطوال تلك المسافة ، كان عقل (نور) يحملُ تساؤلات لا حصر لها ..

كيف يمكنه السيطرة على الموقف ؟! ..

وفى أى اتجاه انطلق جسده ، بعيدًا عن المكوك ؟! ..

وهل يمكنه العودة إليه فى الوقت المناسب ، قبل أن ينفد مخزونه من الهواء ؟! ..

كانت المؤشرات أمامه تشير إلى أن لديه ما يكفيه لساعة واحدة إلا بضع دقائق من الأكسجين ، وأن الضغط ودرجة الحرارة على ما يرام ..

ولكن مؤشرًا واحدًا كان يحمل ما يخيف ..

ذلك المؤشر الذى أعلن أن الوقود المضغوط ، فى جهاز الدفع على وشك النفاد ..

وكان هذا يعنى أنه لن يستطيع التحكم فى اتجاهه ، بعد دقائق معدودة ..

ويعنى بالتالى أنه سيضيع فى قلب الفضاء ..

وإلى الأبد ..

سرت فى جسده قشعريرة باردة ، عندما وصل بتفكيره إلى هذه النقطة ، واستعاد ذهنه تفاصيل ذلك الكابوس ، الذى هاجمه من قبل ، وتخيَّل موقفه ، عندما ينفد الهواء ، ويفقد الزى الفضائى طاقته ، فتنخفض درجة الحرارة إلى حد مخيف ، ويتساوى الضغط مع مثيله فى الفضاء ، و ...

وكانت الصورة بشعة للغاية ..

أبشع مما يمكن استيعابه أو تخيَّله ..

ولهذا أغلق (نور) عينيه فى قوة ..

أغلقهما فى محاولة للسيطرة على توتره الشديد ، والتغلُّب على ذلك الخوف ، الذى تسلَّل إلى نفسه ، وكاد يعصف بمشاعره ، وهو يغمغم فى خفوت :

ـ اهدأ يا (نور) .. اهدأ وتماسك .. لو أن الموت آت لا ريب ، فلتمت كرجل .. ثم إنه ما من مخلوق ، فى الكون كله ، يمكنه أن يجزم بموتك ، مهما كانت الظروف المحيطة بك ، فالله (سبحانه وتعالى) أقوى من كل شىء .. اهدأ وتماسك ..

كان يغمغم بهذا ، وهو يواصل محاولته للسيطرة على ذراع جهاز الدفع ، إلا أن المؤشر الخاص بالجهاز راح يضىء ويطفىء أمام عينيه ، وصوت الكمبيوتر الداخلى يردّد :

ـ دقيقة واحدة وينفد الوقود المضغوط .. استبدل جهاز الدفع ، أو خفّف من سرعة الانطلاق .. تحذير .. خمس وخمسون ثانية وينفد الوقود المضغوط .

راح الكمبيوتر يواصل عده التنازلى فى رتابة ، حتى أعلن فى النهاية :

نفذ الوقود المضغوط تمامًا .. الدفع يستمر لساعة وسبع دقائق إضافية ، بفعل القصور الذاتى(*) .. انتهى .

(*) القصور الذاتى - أو الخمول - فى الفيزياء هو مقاومة الجسم الساكن للحركة ، ومقاومة الجسم المتحرك لتزويده بعجلة ثابتة ، أو تغيير اتجاهه ، ولقد عبّر (نيوتن) عن هذا فى قانونه الأول ، المعروف باسم قانون القصور الذاتى .

خفق قلب (نور) فى قوة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتمتم :

ـ هذا يخفض احتمالات النجاة إلى واحد فى المليون فحسب .

قالها ، وجسده يواصل اندفاعه وسط الفراغ ، ويغوص فى غياهب الفضاء أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

★ ★ ★

فجأة ، انتفض جسد (أكرم) ، واستعاد وعيه دفعة واحدة ، وهو يهتف :

ـ ماذا حدث ؟

انعقد حاجبا القبطان فى شدة وتوتر ، فى حين اندفع أحد الملاحين نحو (أكرم) ، محاولاً ضربه على مؤخرة عنقه مرة ثانية ، فصرخت (مشيرة) :

ـ احترس يا (أكرم) .

لم يكن قد استعاد توازنه وسيطرته على جسده بالكامل ، إلا أنه التفت بسرعة معقولة ، ولمح الملاح

الذى ينقضّ عليه ، فمال جانبًا ، وهو يكرّر فى شىء من العصبية :

- ماذا يحدث هنا ؟!

جاء ميله فى اللحظة المناسبة بالضبط ، فهوت قبضة الملاح على الهواء ، واختلّ توازنه ، فسقط أرضًا ، على قيد متر واحد من (أكرم) ، الذى التقى حاجباه فى توتر شديد ، وهو يحدّق فيه بنظرة حائرة متسائلة ، فهبّ الملاح واقفًا ، وضمّ قبضتيه على نحو عدوانى ، أعاد إلى (أكرم) نقاء ذهنه دفعة واحدة ، فهتف فى صرامة ، وهو يتخذ وضعًا قتاليًا :

- آه .. فهمت .

انقضّ عليه الملاح فى هذه اللحظة ، وهو يطلق صرخة قتالية مخيفة ، وهوى على فكه بلكمة أودعها كل قوته ، ولكن (أكرم) تفاداها فى براعة ، وهو يقول :

- ربما كنت ملاحًا من الطراز الأوّل يا رجل .

ثم لكم الملاح فى معدته لكمة عنيفة ، شهق لها الرجل ، وهو ينثنى فى ألم ، و(أكرم) يضيف :

- أما من الناحية القتالية ، فللأسف .

وأجبره على الاعتدال بضربة مباشرة من ركبته فى أنفه ، مستطردًا :

- أنت مقاتل من النوع الردىء .

وأنهى القتال بضربة كالقنبلة فى فكه ، متابعًا :

- والرخيص .

سقط الرجل أرضًا فاقد الوعى ، فى نفس اللحظة التى أبرز فيها القبطان مسدسًا ، وهو يقول فى عصبية :

- حذار أن تقدم على أية خطوة حمقاء يا سيّد (أكرم) ، وإلا ..

قاطعه (أكرم) فى صرامة ، مشيرًا إلى المسدس :

- هذا مسدسى .

أجابه القبطان فى حدة :

- لقد استعدت السيطرة على المكوك .

ابتسم (أكرم) فى سخرية عصبية ، وهو يقول :

- استعدت السيطرة عليه ؟! .. ومتى فقدتها يا رجل ؟! .. لقد كنا نسعى لمعاونتك على التغلّب على الأزمة ، وليس لاحتلال المكوك .

هتفت (سلوى) فى تلك اللحظة :

جل الأمن

، غاضبًا :

سمه بحافة
قط أرضًا ،

ـة الصغير ،
لا محدود :
فى الوقت

الـ

ـى المكان كله
صرخ

أبشـ
، فى حياته
كلها ..

ومـ
) فى عنف ،
وهتفـ

- ماذا يحدث ؟ .. يا إلهى ! .. ماذا يحدث ؟!

بلغت الصرخة مسامع القبطان و(سلوى) و(مشيرة) فى اللحظة ذاتها ، فامتقع وجه الأخيرة فى شدة ، وانهارت فوق مقعدها ، مغمغمة :

- يا إلهى ! .. يا إلهى !

أما (سلوى) ، فقد انقبض قلبها فى شدة ، وانفرجت شفتاها لتطلقان صرخة عصبية ، لم تنجح فى تجاوزها ، فتفجّرت معربدة فى أعماقها ، فى حين شحب وجه القبطان ، وهو يفلت معصمها ، ويغمغم مرتجفًا :

- لا ليس ثانية .. ليس ثانية ..

وفى اللحظة نفسها ، كان (أكرم) قد بلغ ذلك الموضع ، الذى فقد فيه (رمزى) وعيه ، وترك صغيره ..

ولوهلة ، خُيّل لـ (أكرم) أنه يلمح ظلاً أخضر ، يغوص فى جسد الصغير ، الذى استقرّ هادئًا ساكنًا ، إلى جوار الجدار ..

ثم جذب انتباهه أمر آخر ..

تلك الجثة الممزّقة بلا رأس ، لآخر رجال الأمن ،

والملقاة وسط بركة من الدم ، تناثرت فوقها بقع من تلك المادة الخضراء ، على بعد مترين فحسب من جسد (رمزى) ..

وفى نهاية الممر ، كان يستقر الرأس ..

رأس رجل الأمن المقطوع ، والملقى بعينين جاحظتين ، من فرط الذعر والألم ، على نحو يوحى بأن قوة هائلة قد اقتلعته من عنقه بضربة واحدة ..

وتسمَّر (أكرم) من فرط الانزعاج والتوتر ، وهو يدير عينيه فى ذلك المشهد البشع ، مغمغمًا :

ـ رباه ! .. أى عبث شيطانى هذا ؟ .. أى عبث ؟!

التقطت أذناه وقع أقدام تعدو نحوه ، فاستدار يواجه أصحابها فى حزم ، ولمح (سلوى) و(مشيرة) والقبطان ، فأشار بيده ، قائلا فى صرامة :

ـ لا تقتربوا .

تسمَّرت (سلوى) فى مكانها ، من فرط الارتياع ، وهى تسأله :

ـ الصغير .. لقد قتلوه .. أليس كذلك ؟!

بدا مزيج من اللهفة والترقُّب فى عينى القبطان ،

فى انتظار الجواب ، الذى ألقاه (أكرم) فى حدة ، قائلاً :

ـ كلاَّ .. إنه الملاح .

شهق القبطان ، هاتفًا :

ـ مستحيل !

جذبه (أكرم) من ياقته ، قائلاً فى صرامة :

ـ تعال وألق نظرة .

اتسعت عينا القبطان فى ارتياع ، وهو يحدِّق فى ذلك المشهد البشع ، وانعقد لسانه فى حلقه ، فلم ينبس ببنت شفة ، فى حين قالت (مشيرة) فى عناد :

ـ لماذا تحجب عنا المشهد يا (أكرم) ؟ .. لماذا تصرّ على أن تعاملنا دائمًا كما لو أننا أضعف منك ، و ..

قالتها ، وهى تزيحه فى إصرار ، وتلقى نظرة على المشهد ، و ...

وجفَّت الدماء فى عروقها ..

لقد اتسعت عيناها فى رعب ، وارتجف جسدها كله ، من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ، وكادت تفرغ ما فى جوفها ، وهى تغمغم :

يا للبشاعة ! .. يا للبشاعة !

رمق القبطان الصغير بنظرة مقت غاضبة ، وهو يقول :

- لابد من وضع حل حاسم لهذا الأمر .

لمح (أكرم) نظرته إلى الصغير ، وأدرك مغزاها على الفور ، فقال فى صرامة :

- على جثتى .

ثم استدار إلى زوجته ، مستطردًا :

- انفضى عنك هذه الانفعالات ، واحملى الصغير ، وخذيه مع (سلوى) إلى حجرته ، وسأتولى أمر (رمزى) .

قاومت انفعالاتها فى صعوبة ، وهى تتجاوز بقعة الدم ، وجثة رجل الأمن ، وتنحنى لتلتقط الصغير ، الذى اختطفته منها (سلوى) فى لهفة ، وانطلقت تعدو به نحو حجرته ، والقبطان يقول لـ (أكرم) فى عصبية :

- هل ستواصل عنادك فى هذا الشأن ؟ .. كلنا يعلم الآن أن الصغير هو المسئول عما يحدث .

تجاهله (أكرم) تماماً ، وهو ينحنى ليحمل (رمزى) على كتفه ، فأضاف القبطان فى حدة :

إنكم تضحون بنا جميعًا ، من أجل هذا الشيطان الصغير .. ما الذى تنتظرونه بالضبط ؟! .. أن نغرق جميعًا فى بركة من الدم كهذه ؟!

قالها فى غضب ، وهو يشير إلى بركة الدم ، ولكن عينيه اتسعتا فجأة ، ومال وجهه إلى الأمام على نحو عجيب ، جعل (أكرم) يلتفت بسرعة إلى حيث يشير ، ثم يهتف :

- رباه !

فأمام عيونهما مباشرة ، وعلى نحو مذهل بحق ، كانت بركة الدماء الحمراء تصطبغ بلون جديد ..

بلون تلك المادة الخضراء ..

المخيفة ..

★ ★ ★

« ابنى ! » .

انتفض جسد (نشوى) فى عنف ، وهى تهتف بالكلمة ، مستعيدة وعيها بغتة ، على نحو جعل (مشيرة) ، تلتفت إليها فى سرعة ، وتمسك كتفيها قائلة :

- كل شىء على ما يرام يا (نشوى) .. كل شىء على ما يرام .

اعتدلت (نشوى) جالسة على فراشها ، وهى تقول فى جزع :

- أين ابنى ؟

هدأت (مشيرة) من روعها ، قائلة فى رفق :

- ابنك فى خير حال فى حجرته ، ووالده يفحصه جيدًا ، فى حين تعمل (سلوى) على استخلاص الرسالة من الآلى المحدود .

اتسعت عينا (نشوى) فى ارتياع ، هاتفة :

- وأبى .. ماذا عن أبى ؟

تنهدت (مشيرة) فى أسى ، وهى تقول :

- القبطان يقول : إن استعادته من الفضاء الخارجى مستحيلة ، مادمنا لا نملك أجهزة توجيه ، و ...

قاطعتها (نشوى) بصرخة مذعورة ملتاعة :

- لا .. ليس أبى .

ثم انخرطت فى بكاء حار محموم ، وهى تستطرد :

- لا تقولى ان ابنى فعلها أيضًا .. لا تقولى هذا يا (مشيرة) .

كانت (مشيرة) تؤمن فى قرارة نفسها أن الصغير هو المسئول عما حدث ، ولكنها لم تجد من اللائق ، فى مثل هذه الظروف ، أن تعلن رأيها فى صراحة ، فغمغمت :

- لقد خرج (نور) لإحضار الآلى المحدود من الخارج ، وأصيب جهاز الدفع فى زيه الفضائى بعطب ، بسبب إغلاق المدخل الإجبارى ، بفعل قوة خفية ، فانطلق جسده فى الفضاء ، واختفى وسط الظلمة اللانهائية .

امتقع وجه (نشوى) بشدة ، حتى خُيِّل لـ (مشيرة) أنه قد فقد كل نقطة دم فيه ، وهى تغمغم :

- يا إلهى ! .. يا إلهى !

ثم أمسكت يد (مشيرة) بغتة فى قوة ، مستطردة فى انفعال :

- لابد أن نفعل شيئًا .. لابد أن نسعى لاستعادة أبى بأى ثمن ..

هتفت (مشيرة) :

- هذا مستحيل !

صاحت بها (نشوى) فى عصبية :

- لا يوجد مستحيل .. لابد أن نبذل بعض الجهد .

خلّصت (مشيرة) يدها من قبضتها فى صعوبة ، وهى تقول :

ـ إنه ليس رأيى .. لست أفقه شيئًا حول السفر فى الفضاء .. إنه رأى القبطان والملاحين .

هتفت (نشوى) :

ـ فلتذهب كل الآراء إلى الجحيم .. لابد وأن نفعل شيئًا .. لن أستسلم بهذه السهولة .. لو أن أبى فى موضعى ، لما استسلم قط .

قالتها ووثبت من فراشها ، وغادرت حجرتها فى حزم ، فلحقت بها (مشيرة) ، قائلة فى قلق متوتر :

ـ رويدك يا (نشوى) .. (رمزى) أخبرنى أنه من الضرورى أن تحصلى على قدر من الراحة ، بعد استيقاظك ؛ لأن ..

قاطعتها (نشوى) فى صرامة ، وهى تتجه إلى حجرة القيادة :

ـ فيما بعد .. فيما بعد .

دلفت الاثنتان إلى الحجرة ، فى نفس اللحظة التى ضغطت فيها (سلوى) أحد أزرار الآلى المحدود ، قائلة :

ـ وهكذا يمكننا استقبال الرسالة .

توقّفت (نشوى) و(مشيرة) دفعة واحدة ، عندما انطلق من الآلى شعاع ثلاثى ، التقت خيوطه على بعد متر واحد منه ، فتكوّنت فى موضع الالتقاء صورة هولوجرافية مصغّرة للدكتور (ناظم) ، فى حين انبعث صوته من الآلى ، وهو يقول فى قلق واضح :

ـ لو أنكم ترون صورتى الآن ، وتستمعون إلى رسالتى ، فسيعنى هذا أن الاتصال قد تمّ بيننا وبينكم فى نجاح ، وأنكم ، أو أحدكم على الأقل ، مازال على قيد الحياة ، داخل المكوك ، الذى لم يعد يتّجه إلى الأرض .. إننا نشعر بقلق بالغ بشأنكم ، ونتساءل فى حيرة عن سر توقّف الاتصالات بيننا وبينكم ، وعن تعديل مسار المكوك المفاجئ .. حاولوا الاتصال بنا عن طريق الآلى .. لقد أعددناه ليؤدى هذا الغرض بدقة وسهولة .. فقط اضغطوا الزر الأزرق فى قمته ، وسيتحوّل مباشرة إلى جهاز اتصال فضائى .

ضغطت (سلوى) الزر الأزرق ، وهى تغمغم :

ـ أتعشّم هذا !

ولم تكد تفعل ، حتى ارتفع أزيز قوى من الآلى ، وانزاح جزء من واجهته، لتبدو خلفها شاشة اتصالات ، ارتسمت فوقها على الفور صورة الدكتور (ناظم) ، وهو يهتف :

- رباه ! .. حمدًا لله .. حمدًا لله .. أنتم على قيد الحياة إذن .. ماذا حدث عندكم ؟

هتف به القبطان فى عصبية :

- يمكنك أن تطلق على الموقف اسم (المصيبة) يا رجل .. لقد فقدنا كل رجال الأمن على المكوك ، وأربعة من الملاحين ، بالإضافة إلى الطبيب وممرضته ، وكذلك الضابط (نور) ، وأجهزة التوجيه والكمبيوتر أيضًا .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى ارتياع ، وهو يهتف :

- يا إلهى ! .. هل فقدتم (نور) ؟

صاح القبطان غاضبًا :

- إنه مجرد رجل واحد ، لا يستحق أن تصاب بكل هذا الذعر لفقده ، فى وجود دستة إضافية من الضحايا .

قال الدكتور (ناظم) فى غضب صارم :

- صه يا رجل .. أنت لا تفهم شيئًا .. فقد الملاحين ورجال الأمن والطبيب وممرضته مصيبة حقيقية ، ولكن فقد (نور) وحده يحوّل هذه المصيبة إلى كارثة .. إنه أشبه بفقدان طوق النجاة ، عندما تشرف السفينة على الغرق .. (نور) كان الرجل الوحيد ، الذى يمكنه إيجاد مخرج من هذه الأزمة .

انقبض قلب (سلوى) فى مرارة ، واعتصرت كلمة (كان) هذه مشاعرها بقبضة باردة كالثلج ، فانحدرت الدموع من عينيها فى ألم ، فى حين قال القبطان فى حدة :

- رائع .. إذن فأنتم تعتقدون أنه فى غياب (نور) هذا ، لن يصبح هناك أمل فى النجاة .. ألا تجد هذا سخيفًا للغاية يا رجل ؟

أجابه الدكتور (ناظم) محاولاً السيطرة على أعصابه :

- هناك دائمًا أمل يا رجل .. إننا نبذل قصارى جهدنا هنا ، للبحث عن مخرج من هذا المأزق ، وسأمنح

خبراءنا كل المعطيات الجديدة ، وسنعمل كلنا على إيجاد المخرج فى الوقت المناسب ، قبل أن تصلوا إلى وجهتكم .

قالت (مشيرة) فى توتر :

- وجهتنا ؟! .. وما هى وجهتنا بالضبط ؟! .. إننا نجهل هذا تماماً .

بدا الانزعاج على وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

- حقًّا ؟! .. يا إلهى ! .. هذا يعنى أن الأمر أكثر خطورة .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حسم :

- إنكم تتجهون ، وبلا أدنى خطأ فى المسار ، نحو كوكب المريخ مباشرة .

وهوى الجواب على رءوس الجميع كصاعقة رهيبة .. صاعقة مالها من مثيل .

★ ★ ★

٣ - بين النجوم ..

تحرك (رمزى) فى بطء ، وهو يعرج ، بفخذه المحاطة بالضمادات ، على نحو ملحوظ ، وتحسّس رأسه فى ألم ، متطلعًا إلى جهاز الطرد المركزى ، الذى تخفت حركته تدريجيًا ، مع أنبوبة الاختبار الصغيرة ، التى تحوى عينة من دم رجل الأمن ، ثم مدّ يده يلتقطها ، وهو يغمغم :

- كنت على حق يا (أكرم) .

كان السائل داخل الأنبوبة قد انقسم إلى قسمين واضحين للغاية ، أحدهما له لون الدم البشرى الأحمر القانى ، والثانى أخضر اللون ، له بريق خافت ، أشبه بالألوان الفسفورية ، المستخدمة فى فنون الدعاية ..

وفى اهتمام ، انحنى (أكرم) يتطلع إلى أنبوبة الاختبار ، قبل أن يقول :

إذن فتلك المادة الخضراء لها خاصية الامتزاج بالدم البشرى ، والقدرة على تغيير تركيبه الكيميائى !

أشار (رمزى) بسبّابته ، قائلاً :

- والحيوى أيضاً .. إنها تمتزج بكرات الدم الحمراء ، وتهيمن على مادة الهيموجلوبين الحمراء فيها(*) ، وتحوّلها إلى مادة بديلة ، لها صفات خاصة ، لا تمنع عملية تبادل الأكسجين والغذاء ، ولكنها ترفع من درجة النشاط على نحو ملحوظ ، وتبث روحًا عدوانية فى الكائن الذى تسرى فى عروقه ، ومن حسن الحظ أن هذا الاندماج ليس نهائيًا .

هزَّ (أكرم) كتفيه ، قائلاً :

- لن يمكنك وضع الصغير فى جهاز الطرد المركزى .

أجابه (رمزى) :

- هذا صحيح ، ولكن يمكننا القيام بعمليات أخرى ، لفصل المادة الخضراء عن دمه .

سأله فى اهتمام :

- مثل ماذا ؟!

أجابه (رمزى) :

(*) الهيموجلوبين - أهم مادة فى الجسم ، تقوم بعملية التنفس ، وتوجد بكرات الدم الحمراء ، ويرجع لونها إلى اتحادها بالأكسجين ، وفى حالة خلوّها منه تصبح زرقاء اللون ، ويقوم الهيموجلوبين بنقل الأكسجين من الرئتين للأنسجة ، ونقل ثانى أكسيد الكربون من الأنسجة إلى الرئتين .

- باستخدام الأكسجين المخلوط بخمسة فى المائة من ثانى أكسيد الكربون ، بضعف الضغط الجوى(*) .. إننا نستخدم هذا الأسلوب لعلاج الإصابة بتسمم غاز أوَّل أكسيد الكربون ، وربما يفلح فى هذا الأمر أيضًا(**) .

غمغم (أكرم) :

- أتعشّم هذا .

وضع (رمزى) بضع قطرات من المادة الخضراء على شريحة زجاجية ، دفعها تحت عدسة المجهر ، وهو يقول :

- المهم أوّلاً أن نعرف طبيعة المادة التى نتعامل معها .

انهمك بضع لحظات فى فحص المادة ، قبل أن يغمغم :

- لا جديد .. أظننا بحاجة إلى فحصها بالمجهر

(*) الضغط الجوى - هو وزن عمود الهواء ، الموجود على وحدة المساحات ، وهو يعادل وزن عمود من الزنبق ، طوله حوالى ٧٦ سم ، ومساحة مقطعة ١ سم^2 ، عند سطح البحر ، وهو يتغيّر من مكان إلى آخر ، ومن وقت إلى آخر فى المكان نفسه .

(**) حقيقة علمية .

الإليكترونى(*) على الأقل ، وهذا لا يتوافر فى معمل بسيط بالطبع .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، وكأنما لا يروق له هذا ، وألقى نظرة على الصغير ، قائلاً فى شىء من التوتر العصبى .

- ترى هل يمكنك أن تدرك كم تجشمنا من مشاق أيها الصغير ؟! .

التفت (رمزى) إلى ابنه بدوره ، وتطلَّع إليه لحظة فى صمت ، قبل أن يتمتم فى صوت مرتجف :

- من يدرى ؟! .. ربما يدرك هذا جيدًا .

هتف (أكرم) فى دهشة :

- (رمزى) .. هل تشير إلى أن ...

قاطعه (رمزى) فى سرعة :

- لست أشير إلى شىء ..

التقى حاجبا (أكرم) ، وهو ينظر إليه فى دهشة ،

(*) المجهر الإليكترونى - آلة بصرية ، تستخدم لتكبير صور المرئيات ، وهو لا يستخدم أية عدسات ، مثل المجهر البسيط ، وإنما يعتمد على المرايا ، وعلى تيار من الإليكترونيات ، تتحكَّم فيه عدسات إليكترونية ، بدلاً من أشعة الضوء .

فأشاح (رمزى) بوجهه ، قائلاً فى عصبية :

- قلت إن تلك المادة قلوية التأثير .. أليس كذلك ؟!

لم يجب (أكرم) على الفور ، وإنما ظلّ يتطلَّع إليه لحظة فى صمت ، قبل أن يجيب فى صرامة :

- بلى .. هذا ما أخبرنى به (نور) .

قال (رمزى) فى سرعة :

- عظيم .. هذا يمنحنا معلومة إضافية .

راقبه (أكرم) لحظة أخرى ، وهو يرجّ أنبوبة الاختبار ، ويتابع عملية امتزاج المادة الخضراء بالدم ، ثم سأله :

- هل ستجرى أية اختبارات أخرى على الدم ؟

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- كلاّ .. ليست لدينا الأدوات اللازمة لهذا .

أشار (أكرم) إلى البقعة الوردية فى كتف الصغير ، قائلاً :

- وماذا عن هذه ؟

تطلَّع (رمزى) إلى البقعة فى صمت ، ثم غمغم :

- ربما لو ..

لم يتمّ عبارته ، أو يفصح عما يدور فى ذهنه ، وإنما نهض يحضر عدسة مكبّرة ضخمة ، ويتطلّع عبرها إلى تلك البقعة ..

لم يتمّ عبارته ، أو يفصح عما يدور فى ذهنه ، وإنما نهض يحضر عدسة مكبّرة ضخمة ، ويتطلّع عبرها إلى تلك البقعة ، قبل أن يقول فى حيرة :

- العجيب أنها ليست مجرّد بقعة !! .. إنه تكوين جلدى عجيب ، يبدو لى أشبه بـ ..

تردّد لحظة ، قبل أن يكمل ، وصوته يحمل أكبر قدر من الحيرة :

- بجنين مكتمل .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة ، وهو يهتف :

- جنين مكتمل ؟!

أشار (رمزى) بسبّابته إلى البقعة ، قائلاً :

- مجرّد تشابه ، فلو نظرت إلى ذلك الشكل البيضاوى ، لبدا لك أشبه بجنين فى نفس الوضع ، الذى يتخذه فى الرحم ، وهذه ذراع مضمومة ، وهذه ساق ..

مال (أكرم) يتطلع إلى ذلك التكوين الجلدى ، عبر المنظار المكبّر ، وقال فى حيرة :

- لست أدرى كيف تراه كذلك .. إنه بالنسبة لى مجرد تكوين متعرّج عشوائى ..

أجابه (رمزى) متنهدًا :

- هذا لأنك لم تدرس الأمبريولوجيا مثلى(*) .

ثم التقط آلة أشبه بالمسدس ، مستطردًا :

- وعلى أية حال ، هناك وسيلة مباشرة لحسم الأمر .

سأله (أكرم) فى حذر ، لم يكن له ما يبرّره :

- وما هى ؟!

ألصق (رمزى) فوهة الآلة بكتف ابنه ، مجيبًا فى حزم :

- فحص جزء من تلك الأنسجة الوردية .

قالها ، وضغط زناد الآلة ، التى لم تكن سوى محقن متطوّر ، اندفعت المادة المخدرة عبر إبرته القصيرة ، تحت ضغط قوى ، لتغوص وتنتشر فى خلايا كتف الصغير ، الذى انتفض انتفاضة خفيفة ، وراح يحرّك كفيه وقدميه ، دون أن يصدر عنه أدنى صوت ، فغمغم (أكرم) :

- إنه يحتجّ على ما فعلته به ..

انعقد حاجبا (رمزى) ، وهو يقول :

(*) الأمبريولوجيا - علم دراسة الأجنة .

- هذا أيضًا مثير للدهشة والعجب ، فليس من المفترض أن يمكنه هذا قبل أن يبلغ شهره الثالث على الأقل .

تضاعفت دهشة (أكرم) ، وهو يراقب (رمزى) ، الذى التقط مشرط الجراحة ، واستعد للحصول على عينة من تلك البقعة الوردية ، وانحنى يدفع طرف مشرطه فيها ، و ...

وفجأة ، انتفض جسد الصغير فى عنف ، جعل (رمزى) يتراجع بسرعة ، وهو يهتف :

- رباه ! .. ما هذا بالضبط ؟

واتسعت عينا (أكرم) فى شدة ، وهو يحدّق فيما يحدث أمامه ، وراح قلبه يدق فى عنف رهيب ..

لقد كان ما يحدث أمامه مذهلاً ..

وإلى أقصى حد ..

* * *

« دقيقة واحدة وينفد الأكسجين .. » .

تردّد صوت كمبيوتر المراقبة ، داخل زى (نور) الفضائى ، ناطقًا هذه العبارة ، فانقبض قلبه فى قوة ، وغمغم فى أسف وإحباط :

- إنها النهاية .

كانت درجة الحرارة قد بدأت فى الانخفاض فى بطء ، منذ ما يزيد على الدقائق الثلاث ، مما منحه شعورًا بالفشل والضياع ، وجسده يسبح على غير هدى ، وسط الفضاء الشاسع اللامتناهى ، الذى تناثرت فيه ملايين النجوم اللامعة ، وكأنها أعين تتطلّع إليه ، من خلف ستار أسود ، وتترقّب اللحظة التى يلفظ فيها أنفاسه الأخيرة ، ويصبح مجرّد جسم بارد كالثلج ، قد يسبح فى الفضاء إلى الأبد ، أو تجتذبه يومًا جاذبية كوكب صغير ، أو قمر محدود ، فيهوى إليه محترقًا كالشهاب ، وينمحى كل أثر له من الوجود ...

وفى أعماقه تردّدت آية قرآنية واحدة ..

« وما تدرى نفس بأى أرض تموت »(*) .

وإلى أعماقه تسلّل حزن عميق ..

والعجيب أن موته لم يكن مبعث حزنه ، وإنما كان ذلك الموقف العصيب ، الذى ترك فيه زوجته وابنته ورفاقه والآخرين فى المكوك ..

(*) القرآن الكريم .. الآية ٣٤ من سورة (لقمان) .

كان يشعر بالأسى ، لأنه لم يستطع إنقاذهم ، أو إخراجهم منه .

عزاؤه الوحيد هو أنه نجح فى دفع الآلى المحدود داخل المكوك ، قبل أن يغوص فى أعماق الفضاء ..

وربما نجحت (سلوى) فى استخلاص الرسالة الأرضية منه ..

وفى إتمام الاتصال ..

ومن يدرى ؟ ..

ربما كان المكوك الآن فى طريقه إلى الأرض ..

ربما ..

بدأ صدره يختنق ، ويقاتل فى سبيل جرعة من الهواء ، وراح (نور) يلهث فى بطء ، وكل شىء يصطبغ أمام عينيه باللون الأحمر ..

إنها النهاية لا ريب ..

نهايته ..

ويالها من نهاية ! ..

هاهوذا ، بعد حياته الحافلة ، وكل المغامرات التى خاضها ، فى الأرض والكواكب الأخرى ، يلقى نهايته

وحيدًا معزولاً ، مختنقًا ، وسط الفضاء الشاسع ، و ...

وفجأة ، لمح ذلك الجسم الذى يقترب ..

واتسعت عيناه فى ذهول ..

مستحيل !!

إنه جسم بشرى ، داخل زى فضائى قريب الشبه بزيه ..

كلاً .. إنه يختلف قليلاً ..

الجسد والزى ..

أغمض عينيه ، وهو يلهث فى سرعة أكبر ، وعاد يفتحهما ، وسط ذلك المحيط الأحمر ، الذى غرق فيه عقله ، وتابع حركة ذلك الجسم ، الذى يقترب منه فى بطء ، وتمتم :

- (محمود) .. أهو أنت ؟!

لم تكن ملامح ذلك القادم واضحة أو ملحوظة ، إلا أن الموقف أعاد إليه بشدة ذكرى ذلك الكابوس ، الذى هاجمه قديمًا فى شراسة وإلحاح ..

ثم إن عقله لم يعد صافيًا ..

لقد تناقص الأكسجين إلى درجة الصفر تقريبًا ، ويكاد

صدره ينفجر ، وهو يفتح عينيه فى صعوبة ، ويتمتم :

- (محمود) .. (محمود) .

تُرى هل يواصل ذلك القادم اقترابه منه بالفعل ؟! ..

أم أنه نوع من الهذيان ؟!

نعم .. إنه كذلك حتمًا ..

هذيان نقص الأكسجين ..

أو ..

ولم يمهله جسده حتى يتم افتراضه البديل ..

لقد فقد مخه الأكسجين تمامًا تقريبًا ، ولم يعد لديه ما يكفى لإبقائه فى حالة اليقظة ..

أو لإجابة تساؤلاته ..

لم يعد لديه وقت على الإطلاق ..

لذا ، فقد غرق (نور) فى غيبوبة عميقة ..

غيبوبة تؤكد كل دلائل المنطق وعلم الاحتمالات أن النجاة منها غير ممكنة ..

على الإطلاق ..

★ ★ ★

من المؤكد أن ذلك الذى حدث ، أمام عينى (أكرم)

و(رمزى) هو أعجب شىء وقع عليه بصرهما ، فى حياتهما كلها ..

لقد انفصل جسد الصغير بغتة إلى قسمين ..

أو بمعنى أدق .. لقد تحوَّل من جسد واحد إلى جسدين متماثلين تمامًا فى الحجم ، ولكنهما شديدا الاختلاف فى الهيئة والملامح ..

ففى نفس الوقت ، الذى ظلّ فيه أحد الجسدين ، وهو ذلك الذى يحمل ملامح الصغير ، راقدًا صامتًا ، مكتفيًا بتغير بشرته إلى اللون الوردى ، نهض منه جسد ثان أخضر اللون ، وكأنما برز من خلاياه ، وهبَّ واقفًا على قدميه الصغيرتين ، وهو ينقل بصره بين (رمزى) و(أكرم) مطلقًا فحيحًا مخيفًا ..

وفى ذهول ، حدّق الاثنان فى ذلك الكائن الجديد ..

كان له نفس قامة الصغير وقوامه ، إلا أن وجهه كان بشعًا للغاية ..

نفس الوجه الذى كان يحمله ذلك المخلوق الرهيب فى المريخ(*) .

(*) راجع قصة (بلا أثر) .. المغامرة رقم (١٠٦) .

أما يداه وقدماه ، فكانت مخلبية مخيفة ، تشترك مع جسده فى تلك القشور الخضراء ، الشبيهة بقشور الأسماك ، والتى كانت تغطيه من عنقه وحتى أخمص قدميه ..

ومع الفحيح الثانى ، صرخ (أكرم) :

ـ يا إلهى !

كانت الصرخة إعلانًا عن خروجه من حالة الذهول والجمود ، وإيذانًا بانطلاق بركان من النشاط والحزم فى عروقه ، وهو يصوِّب مسدسه إلى الصغير ، مستطردًا :

ـ كان الجميع على حق !

أطلق ذلك المخلوق فحيحًا آخر ، وعيناه المخيفتان تحدقان فى (أكرم) ، الذى ضغط زناد المسدس ، صارخًا :

ـ اذهب إلى الجحيم .. اذهب إلى حيث تنتمى .

ولكن (رمزى) قفز يدفع يده إلى أعلى ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها الرصاصات ، وهو يهتف :

ـ لا .. ستقتل ابنى .

انطلقت الرصاصات فى سقف الحجرة ، و(أكرم) يصرخ :

- إنه يستحق هذا ..

ثم دفع (رمزى) بعيدًا ، مستطردًا :

- أعلم أن مشاعرك كأب ترفض الاعتراف بهذا .

واستدار يصوِّب مسدسه إلى المخلوق ثانية ، وهو يضيف فى حزم صارم :

- ولكنها لن تمنعنى أنا .

كان يصوِّب فوهة مسدسه إلى رأس المخلوق الصغير تمامًا ، ولا يحتاج لأكثر من ضغطة زناد ، و ...

ولكن المخلوق أطلق فحيحًا غاضبًا ..

ومع فحيحه ، شعر (أكرم) وكأنه تلقَّى لكمة كالقنبلة فى معدته ..

بل أقوى من القنبلة .

لقد غاصت فى بطنه ، حتى كادت ترتطم بعموده الفقرى ، وهى ترفعه عن الأرض لمتر على الأقل ، وتدفعه بكل قوة ليرتطم بالجدار ، ثم يسقط على وجهه أرضًا ..

وقبل أن يستوعب ما حدث ، خيِّل إليه أن قوة هائلة تحمله من قدمه وترفعه منها إلى أعلى ، ثم تضرب رأسه بالجدار فى عنف قاس ..

كل هذا والمخلوق يطلق فحيحًا ظافرًا شامتًا ، وكأنما يعلن انتصاره وتفوقه فى هذا المضمار ..

ورأى (رمزى) ما يحدث ..

رآه ، واستعاد ذهنه فى لحظة واحدة ، كل مشاهد القتل العنيفة ، التى وقع عليها بصره فى المكوك ، منذ بدأت تلك الأحداث ..

وبحركة غريزية ، قفز (رمزى) يلتقط أحد مقاعد الحجرة ، وضرب به ذلك المخلوق بكل قوته ، وهو يصرخ :

- كفى .

كانت الضربة من العنف ، حتى أنها انتزعت ذلك المخلوق من مكانه ، ورمته عبر الحجرة كلها ، ليرتطم بالجدار ، ويسقط أرضًا ..

وفى نفس اللحظة ، التى حدث فيها هذا ، أطلق الصغير شهقة ..

وربما شهقته الأولى ، فى هذه الحياة ..

ومع الشهقة ، انتفض جسده فى عنف شديد ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وكأنما يعانى عذابًا رهيبًا ، وتناثرت من بين شفتيه بضع قطرات من الدم ..

الدم الأحمر القانى ..

البشرى ..

وقبل أن ينهض المخلوق واقفًا ثانية ، أو يستعيد سيطرته على نفسه ، قفز (أكرم) يلتقط مسدسه ، الذى فقده مع ارتطامه بالجدار ، وصرخ وهو يضغط زناده ، مصوبًا فوهته إلى المخلوق :

ـ خسرت أيها الوغد .

أطلق المخلوق فحيحه ، وهو يلتفت إلى (أكرم) .. وأطلق هذا الأخير رصاصاته ..

وأخترقت الرصاصات الثلاث جسد المخلوق ..

(رمزى) و(أكرم) أقسما ألف مرة ، أنهما رأياها تخترقه ..

ولكنها لم تترك أدنى أثر ..

فقط تركت خلفها ثلاثة ثقوب صغيرة ، التأم موضعها بسرعة خرافية ، وتلاشى أثرها تمامًا فى ثانية واحدة ..

وفى ذهول ، غمغم (أكرم) :

ـ مستحيل !

أما (رمزى) ، فقد طوَّح المقعد مرة أخرى بكل قوته ، نحو ذلك المخلوق ، وهو يصرخ :

ـ لا .. هناك وسيلة حتمًا .. هناك وسيلة للقضاء عليك .

أصاب المقعد المخلوق ، وأطاح به للمرة الثانية ، فارتطم بباب الحجرة ، الذى انفتح مع عنف الضربة ، وألقى به فى الممر الخارجى ، فى نفس اللحظة التى تعالى فيها وقع أقدام تعدو مقتربة ، وارتفعت شهقة عنيفة ، أعقبها صوت (نشوى) ، وهى تصرخ :

ـ رباه ! .. ما هذا بالضبط !!

هتف (رمزى) فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! .. سيهاجم (نشوى) .

وثب (أكرم) إلى الخارج ، وفحيح المخلوق ينطلق

ثانية ، ورآه يعدو بسرعة خرافية عبر الممر ، ليختفى فى نهايته ، مع دوى صرخات (نشوى) و(مشيرة) و(سلوى) وصيحة القبطان :

- ما الذى يحدث هنا ؟!

اندفع (أكرم) خلف المخلوق ، هاتفًا :

- تطورات جديدة يا رجل .

وجد أمامه فتحات التهوية فى نهاية الممر ، وقد انفتحت فوهة إحداها ، فأشار إليها ، وهو يسأل القبطان فى عصبية .

- إلى أين تمتدّ هذه ؟

أجابه القبطان ، فى مزيج من التوتر والحيرة والعصبية :

- إلى كل مكان فى المكوك .. إنها جزء من شبكة التهوية العامة .

انعقد حاجبا (أكرم) فى غضب ، وهو يضرب راحته بمسدسه ، قائلاً :

- جزء من شبكة التهوية العامة .. اللعنة .. هذا يعنى أن ذلك الوغد يمكن أن ينتقل إلى أى مكان .

هتفت (مشيرة) :

- أى وغد ؟! .. وما هذا الشىء المخيف بالضبط ؟!

أجابتها (نشوى) بصوت مرتجف :

- أنا أعرف هذا الشىء المخيف .

التفت إليها الجميع ، ورأوا الدموع تنهمر من عينيها كالسيل ، وهى تكمل :

- إنه هو .. إنه وحش المريخ .. لقد عاد .

وكان قولها هذا أشبه بصاعقة هوت على رءوس الجميع ..

وسحقتها سحقًا .

* * *

٤ ـ الوحـش ..

انعقد حاجبا القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، وهو يتابع التفاصيل التى حملتها إليه شاشة الكمبيوتر ، ثم التفت إلى صورة الدكتور (ناظم) ، على شاشة هاتف الفيديو ، قائلاً :

ـ لست أدرى ما إذا كانت هذه الفكرة قابلة للتنفيذ أم لا يا دكتور (ناظم) ، ولكنها تبدو لى خيالية وعجيبة للغاية .

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه موافقًا ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح أيها القائد ، ولكنها الوسيلة الوحيدة لدينا .. سنرسل عددًا من الصواريخ الدافعة إلى المكوك ، بنفس طريقة الانتقال الآنى ، التى أرسلنا بها الآلى المحدود ، ومعها جهاز توجيه بسيط ، يمكنهم استخدامه لتحديد مسار انطلاق الصواريخ ، وكل المطلوب منهم هو تثبيت الصواريخ على الجدار الخارجى للمكوك ، ثم توجيهه لعكس مساره ، والعودة به إلى الأرض .

قال القائد الأعلى متسائلاً :

ـ بدون خرائط ملاحية ؟!

تنهَّد الدكتور (ناظم) ، وقال :

ـ الخبراء يؤكدون أن إرسال كمبيوتر ملاحى أمر مستحيل ، لم تبلغه تقنية الانتقال الآنى بعد ، بسبب تركيبه المعقَّد ، ولكننا سنستغل الآلى الموجود لديهم كوسيلة اتصال ، نرشدهم بوساطتها إلى الزوايا المطلوب اتخاذها للوصول إلى المسار المنشود .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، مغمغمًا :

ـ سيحتاج هذا حتمًا إلى دقة ومهارة مدهشتين .

هزَّ الدكتور (ناظم) كتفيه ، قائلاً :

ـ إننا نعتمد على خبراتهم السابقة ، كفريق من فرق المخابرات العلمية سابقًا .

بدا الحزن واضحًا فى ملامح القائد الأعلى وصوته ، وهو يقول :

ـ فريق بلا قائد .

ابتلع الدكتور (ناظم) مرارته ، مغمغمًا :

ـ كل نفس ذائقة الموت .

شملهما التأثر والانفعال لبضع ثوان ، ران عليهما

خلالها صمت ثقيل ، قبل أن يهزّ القائد الأعلى رأسه ، وكأنما ينفض عنه كل ما علق به ، ويستعيد حزمه وصرامته ، قائلاً :

ـ فليكن .. مادامت هذه هى الوسيلة الوحيدة لدينا ، فدعنا لا نضع الوقت يا رجل .. هيا .. ابدأ على بركة الله .

والتقى حاجباه ، وهو يضيف :

ـ ولندعُ الله (سبحانه وتعالى) أن نرسل إليهم وسيلة فعّالة للنجاة .. وقبل فوات الوقت ..

نعم .. هذا ما يحتاجون إليه بالضبط أيها القائد الأعلى ..

وسيلة للنجاة ..

وفى الوقت المناسب ..

وإلا ..

★ ★ ★

حدّقت العيون كلها فى (نشوى) ودموعها المنهمرة فى غزارة ، وسط صمت رهيب ، خيّم على المكان كله ، ولم يقطعه سوى صوت القبطان ، وهو يقول مبهوتًا :

ـ ماذا تعنين بأن ذلك الوحش قد عاد يا سيّدتى ؟

انهمرت دموعها أكثر وأكثر ، وهى تجيب :

ـ عندما كنا على المريخ ، وقبل مصرع ذلك الوحش مباشرة ، أطلق نحوى نوعًا من الأشعة ، أظنه أدّى إلى حدوث تحورات غير طبيعية فى طفلى ، الذى تحوّل بعد مولده إلى نسخة مصغرة من ذلك الوحش .. لقد استخدم طاقة ما ، ليضمن لنفسه الامتداد ، بعد أن يلقى مصرعه .

غمغم القبطان مذعورًا :

ـ هل تعنين أنه قد بثّ روحه فى صغيرك مثلاً ؟

أجابه صوت صارم من خلفه ، يقول :

ـ الله (سبحانه وتعالى) وحده يبث الروح فى الأجساد ، ويستردها وقتما يشاء يا رجل .

التفت الجميع إلى (رمزى)، الذى تابع فى حزم :

ـ ثم إن طفلنا لم يتحوّل إلى كائن آخر كما تصوّرت يا (نشوى) ، فمازال هنا ـ

هتفت فى انفعال :

ـ هنا ؟! .. ابننا هنا ؟! .. أهو بخير يا (رمزى) ؟

قالتها ، وهى تندفع بكيانها كله نحو حجرة الصغير ، و(سلوى) تهتف بدورها:

- أحقًا تقول يا (رمزى) ؟! .. الصغير بخير ؟!

تنهّد (رمزى) فى مرارة ، وهرش رأسه بسبّابته ، وهو يغمغم :

- لست أدرى .

ألقت (نشوى) نظرة على صغيرها ، الذى استعاد لونه البشرى الطبيعى ، ورقد صامتًا ساكنًا فى مهده ، وقالت فى ذعر :

- ماذا تعنى بأنك لا تدرى ؟! .. أهو بخير أم لا ؟!

هزّ (رمزى) كتفيه فى حيرة ، وهو يشير إلى الصغير ، فأسرعت إليه (نشوى) و(سلوى) ، وهتفت الأولى فى ارتياع وهى تتحسّسه :

- رباه ! .. ماذا به يا (رمزى) ؟! .. إنه بارد جامد كتمثال من الثلج ، وعيناه تحدقان فى السقف .

زفر (رمزى) مرة أخرى ، قبل أن يجيب :

- قلبه يدق فى انتظام ، وضغط دمه مثالى ، وإشارات مخه كلها سليمة ، ولكنه لا يستجيب لأية مؤثرات خارجية ، منذ انفصل عنه ذلك المخلوق .

سألته (سلوى) مذعورة :

- وما الذى يعنيه هذا ؟!

هزّ رأسه ، مغمغمًا :

- لست أدرى .. من الواضح أنه يرتبط بذلك المخلوق بوسيلة ما ، كما أن المخلوق أيضًا يرتبط به .. كلاهما لا يعمل بكفاءة تامة إلا فى وجود الآخر .

سأله (أكرم) فى عصبية :

- وكيف يمكنك الجزم بهذا أيها العبقرى ؟!

أشار (رمزى) بسبّابته ، قائلاً :

- لقد هاجمنا ذلك المخلوق ، بعد أن انفصل عن جسد الصغير ، ولو أنه يمتلك كل قدراته خارجه ، لما ظللنا على قيد الحياة .. هل تذكر ما فعله بالآخرين ؟!

سرت قشعريرة باردة فى جسد (أكرم) ، وهو يستعيد تلك المشاهد البشعة ، قبل أن يتمتم :

- بالتأكيد .

وهزّ رأسه ، قبل أن يستطرد فى حدة :

- إذن فذلك الوغد الهارب يمتلك نصف قدراته فحسب ! .. يا للهول ! .. من حسن حظنا إذن أننا أجبرناه على الخروج من جسد الصغير .

قال (رمزى) بسرعة :

ـ سيسعى للعودة إليه حتمًا .

برقت عينا (أكرم) ، وهو يسأل :

ـ حقًا ؟! ..

أجاب (رمزى) فى ثقة :

ـ بالتأكيد .. فلو صحت نظريتى ، لن يمكنه الصمود طويلاً ، بعيداً عن جسد ابنى .

هتف (أكرم) :

ـ رائع .. هذه هى وسيلتنا للقضاء عليه إذن .. فلنعزل الصغير تماماً ، ونمنع ذلك الوغد من العودة إلى جسده ، وبهذا ينهار ويقضى نحبه ، و ...

قاطعه (رمزى) فى حدة :

ـ ويموت ابننا أيضًا .

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يهتف :

ـ يموت ؟!

أجابه (رمزى) فى مرارة :

ـ هل نسيت أن بقاء كل منهما يعتمد على وجود الآخر ؟!

وأسقط فى يد (أكرم) ..

لقد أصبحت المشكلة معقَّدة بالفعل ..

معقَّدة إلى حد كبير ..

★ ★ ★

انطلق ذلك الفحيح المكتوم ، عبر ممرات التهوية فى المكوك ، وتكرَّر ثلاث مرات على الأقل ، قبل أن ينزلق ذلك المخلوق الصغير ، عبر فتحة التهوية ، فى القاع ، ويستقر داخل حجرة الاتصالات القديمة ، وهو يتلفَّت حوله فى حذر عصبى ..

ولثوان ، تجمَّد فى موضعه تمامًا ، وشحذ حواسه كلها ؛ ليتيقَّن من أن أحدًا لا يتبعه أو يراقبه ، قبل أن يتجه إلى نقطة محدودة وينبش الجدار عندها فى سرعة ، حتى يصل إلى بعض الأسلاك المدفونة فيه ، فينتزعها بمخالبه فى عنف ، ويتعامل معها بدقة وسرعة ، وكأنما تم تدريبه من قبل ، على القيام بهذا العمل بالتحديد ..

واستغرق هذا العمل دقيقة واحدة ، اعتدل بعدها المخلوق ، واستند بمخالب يده اليسرى إلى الجدار ، ثم راح يلمس أطراف الأسلاك بمخالب يده اليمنى فى سرعة ، وبإيقاع رتيب ..

وفى اللحظة نفسها ، اعتدل ذلك الكائن ، فى الكهف المريخى ، وأدار عينيه الواسعتين إلى شاشة كبيرة ، تراصت فوقها حروف غريبة ، بلغة لا مثيل لها على كوكب الأرض ..

وكان من الواضح أن تلك الكلمات تعنى الكثير ، فقد تألقت العينان الواسعتان على نحو مخيف ، وارتسمت على الفم الرفيع شبه ابتسامة ، تحمل كل الظفر والثقة ، قبل أن يتجه ذلك الكائن إلى عدد من التوابيت الزجاجية ، التى استقرّت داخلها كائنات شبيهة ، فى حالة سبات صناعى ، ويبدأ فى إعدادها لاستقبال ضحايا جديدة ، تكفى لإيقاظ عدد محدود من تلك الكائنات ، تمهيدًا للانطلاق لغزو الكوكب ، الذى يحوى من المخلوقات ، ما يكفى لإيقاظ الجيش المريخى كله ..

كوكب الأرض ..

وقبل أن يبدأ الكائن عمله ، ضغط عددًا من الأزرار فى جهاز كبير ، يشبه لوحة أزرار أجهزة الكمبيوتر الأرضية ، فانطلقت من الكهف رسالة خاصة ، إلى المكوك ، استقبلها ذلك المخلوق الصغير ، عبر نفس المجموعة من الأسلاك بوسيلة ما ..

وقبل أن يبدأ الكائن عمله ، ضغط عددًا من الأزرار فى جهاز كبير ، يشبه أزرار أجهزة الكمبيوتر الأرضية ..

رسالة تأمره بالانتقال إلى الجزء الثانى من الخطة ..
الجزء الحاسم ..
والأكثر خطورة ..

★ ★ ★

أشار (أكرم) إلى فتحة التهوية فى حجرة الصغير ، وهو يقول لاثنين من الملاحين فى حزم :

ـ لا يمكننا إغلاق هذه الفتحة ؛ لأنها مصدر التهوية الوحيد للحجرة ، ولكننا سندعم إطارها بألواح من الصلب ، ونضيف إليها قضيبين من الفولاذ ، يجعل عبورها إلى هنا مستحيل ! .. أما آلة مراقبة الفيديو هذه ، فضعاها فى هذا الركن هناك ، بحيث تنقل إلينا باستمرار صورة الصغير ، وفتحة التهوية فى الوقت ذاته ، وبالإضافة إلى هذا سيبقى أحدكما هنا لحراسة الحجرة من الداخل ، فى حين سيقف الثانى لحراسة باب الحجرة من الخارج ، ولتعلما أن الأمل الوحيد فى نجاتنا جميعًا هو أن نمنع ذلك المخلوق من الوصول إلى حجرة الصغير بأى ثمن .

والتقى حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ هل تفهمان ؟ .. بأى ثمن .

أومأ كل منهما برأسه متفهمًا ، وراحا ينفذان أوامره بكل همة ونشاط وحماس ، فى حين غادر هو الحجرة ، متجهًا إلى حجرة القيادة ، وتطلّع إلى (نشوى) ، التى ضمّت صغيرها إلى صدرها فى قوة ، وكأنها تذود عنه بجسدها من خطر مجهول ، على الرغم من أنه لم يتجاوز بعد حالة الجمود العجيبة ، فى حين كان الآخرون يستمعون فى انتباه إلى الدكتور (ناظم) ، الذى شرح لهم ما توصّل إليه الخبراء ، عبر جهاز الاتصال فى الآلى المحدود ، ثم أضاف فى اهتمام :

ـ من ناحيتنا ، يمكننا تنفيذ الجزء الخاص بنا من الخطة ، ولكن المشكلة تكمن فى جانبكم .. هل يمكنكم تثبيت الصواريخ الدافعة على الجسم الخارجى للمكوك ؟!

تبادل الجميع نظرة متوترة ، قبل أن يجيب القبطان :

ـ هذا يبدو مستحيلاً فى الوقت الحالى ؛ فآخر زى فضائى لدينا فقدناه مع الضابط (نور) ، عندما ابتلعه الفضاء .

سأله الدكتور (ناظم) فى قلق :

ـ أليس من المفترض أن تكون لديكم بعض أزياء الفضاء الاحتياطية ؟

أجاب الرجل فى حرج متوتر :

ـ الواقع أن المسئول عن إحضارها لم يجلب معها أسطوانات الهواء اللازمة .. أعلم أنه إهمال بشع ، ولكن ..

قاطعه الدكتور (ناظم) :

ـ إذن فلديكم الأزياء الفضائية ، ولكن دون الأسطوانات .. لا بأس .. سأعمل على أن نرسل إليكم ثلاث أسطوانات أكسجين مضغوط ، مع الصواريخ الدافعة .

سألته (سلوى) متوترة :

ـ وكيف يمكننا إدخالها إلى المكوك ؟!

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) ، وهو يغمغم :

ـ ربما أمكننا توجيهها من هنا ..

وصمت بضع لحظات مفكرًا ، قبل أن يستطرد :

ـ هذا يحتاج إلى دراسة جديدة ، أرجو أن ينتهى الخبراء منها فى سرعة ، فبعد ثلاث ساعات من الآن ،

ستدخلون فى نطاق جاذبية المريخ ، وستصبح استعادتكم شبه مستحيلة .

هتف (أكرم) ، عند هذه النقطة :

ـ جاذبية المريخ ؟! .. وهل نتجه نحو المريخ ؟!

أجابته (مشيرة) بصوت مرتجف :

ـ نعم .. هذا الشىء يقودنا إلى هناك .

احتقن وجهه فى شدة ، قبل أن يهتف غاضبًا :

ـ لماذا لم يخبرنى أحدكم بالله عليكم ؟

أجابه (رمزى) فى سرعة :

ـ لم يقصد أحد هذا يا (أكرم) .. أنا نفسى لم أعلم إلا منذ قليل ، وكنت أنت وقتها مشغولاً فى عملية تأمين حجرة الصغير، قبل نقله إليها .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ ولكن هذا الأمر أخطر ما ينبغى .. كان الأفضل أن نعلم به جميعًا فور معرفة أحدنا .

أجابته (سلوى) :

ـ كنا فى طريقنا لإخبارك أنت و(رمزى) ، عندما رأينا ذلك المخلوق .

مطّ شفتيه فى غضب ، فى نفس اللحظة ، التى ارتفع فيها صوت الدكتور (ناظم) ، عبر جهاز الاتصال فى الآلى المحدود ، قائلاً :

- أعتقد أنه يمكنكم استخدام الآلى نفسه فى إحضار أسطوانات الأكسجين .

سألته (نشوى) فى لهفة ، وهى تضمّ ابنها إليها أكثر :

- كيف ؟

أجاب بسرعة :

- إنه الشىء الوحيد فى المكوك ، الذى يمكنه الخروج إلى الفضاء ، والتشبث بالأسطوانات ، دون الحاجة إلى الهواء .. ويمكنكم استخدام وسيلة بدائية لهذا .. ستربطون الآلى بسلك فولاذى قوى ، وتضعونه فى حجرة معادلة الضغط ، ثم تدفعونه إلى الفضاء الخارجى ، فيتشبث بالأسطوانات ، وتتم استعادته بالجذب فقط .

كانت الفكرة بدائية بالفعل ، ولكنها تبدو معقولة ومنطقية للغاية ، فتبادل الجميع نظرة صامتة طويلة ، قبل أن تقول (سلوى) :

- فكرة لا بأس بها .

أما (رمزى) ، فسأل فى اهتمام :

- ومتى يمكنكم إرسال الصواريخ الدافعة والأسطوانات ؟

أجابه الدكتور (ناظم) فى شىء من الحماس .

- بعد نصف الساعة على الأكثر .. استعدوا أنتم من ناحيتكم ، وسنبذل نحن قصارى جهدنا من ناحيتنا ، والله ولى التوفيق .

أنهى الدكتور (ناظم) الاتصال مؤقتًا ، ليبدأ فى العمل على إرسال الصواريخ الدافعة وجهاز توجيهها وأسطوانات الأكسجين ، فى حين التقط (أكرم) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

- عظيم .. إذن فذلك الوغد يعيدنا إلى المريخ ، حتى نقع مرة أخرى فى قبضة سادته ، ونحن نبذل قصارى جهدنا لتفادى هذا ، فى حين يختفى هو فى مكان ما فى المكوك ، ويمكن أن يهاجمنا فى أية لحظة .

أشار (رمزى) إلى ابنه ، قائلاً :

- سيسعى حتمًا للعودة إلى جسد ابننا .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد ، وهذا يدفعنا إلى التفكير فى الصغير .. فى رأيى أنه ليس من الجيِّد أن يبقى هنا ، وإنما من الأفضل أن ينتقل إلى حجرته ، حيث سيصبح أكثر أمنًا فيها ، بعد التجهيزات التى أضفناها إليها .

ضمَّت (نشوى) ابنها إلى صدرها فى قوة ، وهى تقول :

ـ ابنى لن يفارقنى ثانية قط .

همَّ (أكرم) بالاعتراض على هذا ، ولكن (رمزى) اندفع يسبقه ، قائلاً :

ـ فليكن يا (نشوى) .. ابقى إلى جواره هناك .. فى حجرته .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، وقال :

ـ فليكن .. هذا شأنكما .

ثم أشار بيده ، مستطردًا :

ـ المهم ألا نضيع أى وقت إضافى ، فلسنا ندرى متى يضرب ذلك الوغد ضربته ، ولا متى ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع دوى عنيف فى الحجرة ،

اقترن بسقوط غطاء فتحة التهوية الرئيسية على الأرض ، فالتفت الجميع إلى موضعها فى حركة سريعة متوترة ، واستقبلهم وجه ذلك المخلوق البشع ، وهو يطلق فحيحه المخيف ، و ...

ويثب نحو الصغير ..

مباشرة ..

★ ★ ★

من الطبيعى ، بعد المخاطر العديدة ، التى واجهها (أكرم) فى حياته ، أن يكتسب قدرة مدهشة على التعامل معها بالسرعة المناسبة ، وعدم التأثر بها ، إلى الحد الذى يشلّ حركته ، أو يمنعه من اتخاذ رد الفعل المناسب ..

ولقد اتضح هذا جيدًا ، فى تلك المواجهة ، داخل حجرة القيادة ..

المخلوق أطلق فحيحه المخيف ، ثم وثب مباشرة نحو (محمود) الصغير ، محاولاً الغوص فى جسده ، والحصول على شىء من حيويته البشرية ، إلا أن (أكرم) استوعب الموقف فى جزء من الثانية ، ووثب يجذب (نشوى) بعيدًا ، وهو ينتزع مسدسه ، صارخًا :

- اجرى بأقصى سرعتك .. اذهبى إلى حجرة الصغير .

سقط المخلوق أرضًا ، وأطلق فحيحًا غاضبًا ثائرًا ، وهو يلتفت إلى (أكرم) ، ثم يثب نحوه ..

وأطلق (أكرم) رصاصتين من مسدسه ، نحو ذلك المخلوق الصغير ، وهو يميل جانبًا ؛ ليتفادى انقضاضته ، ورأى الرصاصتين تخترقان جسده الأخضر البشع ، ثم شعر بالمخالب الحادة تمزّق جزءًا من لحم ذراعه اليسرى ، قبل أن يسقط المخلوق خلفه ، وتلتئم إصابته فى سرعة مدهشة ، وهو يواصل عدوه ، محاولاً اللحاق بـ (نشوى) التى راحت تطلق صرخات رعب قوية ، وهى تضمّ صغيرها إليها ، وتعدو به نحو حجرته ..

وقفز (رمزى) يعترض طريق المخلوق ، هاتفًا :

- لا .. لن أسمح لك باللحاق بهما .

أطلق المخلوق فحيحه فى وجهه ، ثم انقضّ عليه فى وحشية ، ليغرس مخالبه الحادة فى صدره وذراعيه ، وشعر (رمزى) بآلام هائلة ، والدماء تتدفع من مواضع الإصابة لتغمر صدره كله ، وهو يسقط أرضًا ، والمخلوق

يتجاوزه بوثبة هائلة ، ثم يتشبّث بالجدار ، ويعدو فوقه ؛ للحاق بـ (نشوى) وصغيرها ، وهى تطلق صرخاتها المذعورة .

وعلى الرغم من توتره الشديد ، قفز الملاح المسئول عن حراسة حجرة الصغير ، ليتصدّى لذلك المخلوق ، ويصوّب إليه مسدسه الليزرى ، هاتفًا :

- أسرعى إلى الداخل يا سيّدتى .. أسرعى .

قالها ، وأطلق أشعته الليزرية نحو المخلوق ، فى نفس اللحظة التى وثبت فيها (نشوى) بابنها داخل حجرته ، واستقبلها الملاح الآخر داخلها ، وهو يهتف :

- ابتعدى عن الباب يا سيّدتى .

اخترقت أشعة الليزر جسد المخلوق فى مواضع شتى ، فانطلق منه فحيح غاضب متألم ، وسالت تلك المادة الخضراء من مواضع الإصابة ، إلا أن هذا لم يوقفه ، وإنما وثب يغرس مخالبه فى عنق الملاح ، وهو يطلق فحيحه فى وجهه مباشرة ، ويمزّق عنقه فى وحشية رهيبة ، فامتزجت صرخات الألم ، التى أطلقها الملاح ، بفحيحه ، وسقط الاثنان أرضًا ، فى نفس اللحظة التى

وثب فيها الملاح الثانى من الداخل ، محاولاً إغلاق الباب فى وجه المخلوق ، إلا أن المخلوق أسرع يدفع يده الصغيرة نحو الباب ، ويمنعه من الانغلاق ، وهو يطلق فحيحًا آخر ..

وبكل قوته ، راح الملاح يدفع الباب ، محاولاً إغلاقه ، وخُيِّل إليه أن عشرة رجال على الأقل يدفعون الباب ، من الناحية الأخرى ، فصرخت (نشوى) ، وهى تلاحظ تفوّق المخلوق :

- لا .. لا تسمح له بالدخول .. أرجوك .

وأسرعت تضع ابنها فى مهده ، ثم تندفع محاولة معاونة الملاح فى التصدّى لذلك الوحش ، الذى يمزّق فحيحه المخيف أذنيها بلا رحمة ..

وفى نفس اللحظة ، كان (أكرم) يعدو نحو الحجرة ، صارخا فى غضب :

- توقّف أيها الوغد .. لعنة الله عليك .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدّق فى الإصابات الواضحة فى جسد الوحش الصغير ، والدماء الخضراء التى تنزف منها ، وفى الملاح الذى لقى مصرعه ، أمام

باب الحجرة ، ومسدسه الليزرى ، الملقى على قيد خطوات منه ، وهتف :

- رباه ! .. إذن فهذا ما يؤذيك .

استدار إليه الوحش بفحيح غاضب ، وبرزت مخالبه فى شراسة ، وهو يستعد للتصدّى له ، ولكن (أكرم) توقّف فجأة ، وقال فى صرامة :

- هيا أيها الوغد .. اهجم .. إننى أنتظرك .

صاحت (مشيرة) فى ارتياع ، من بداية الممر :

- لا يا (أكرم) .. لا تفعل هذا .

وأطلق الوحش فحيحًا آخر ، وأبعد يده عن باب حجرة الصغير ، فدفعت (نشوى) الباب مع الملاح ، وأغلقاه فى إحكام ، وهى تهتف :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

فى حين صاح (أكرم) ثانية :

هيا أيها الوغد .. ماذا تنتظر ؟

كشّر الوحش الصغير عن أنيابه ، وتراجع خطوتين إلى الخلف ..

ثم انقضّ على (أكرم) ..

كانت انقضاضته قوية عنيفة ، ولكن (أكرم) كان ينتظرها ويترقَّبها بكل انتباه ، لذا فقد مال جانبًا ، فى اللحظة المناسبة تمامًا ، وتفادى انقضاضة الوحش ، وهو يصرخ فى انفعال :

- أخطأت أيها الوغد ..

قالها ، وهو يثب إلى الأمام ، وينزلق فوق الأرضية المصقولة ، حتى يرتطم بجسد الملاح الصريع ، وتتناثر الدماء من حوله ، وهو يلتقط المسدس الليزرى ، ويستدير إلى الوحش فى سرعة ، صارخًا :

- وخسرت .

كان الوحش يستعد لانقضاضة ثانية على (أكرم) ، ولكنه لم يكد يلمح المسدس الليزرى فى يده ، حتى قفز متعلقًا بالجدار ، ثم بالسقف ، الذى أنشب فيه مخالبه ، وهو يطلق فحيحًا مخيفًا ، وانطلق يعدو فى هذا الوضع المقلوب ، حتى بلغ فتحة التهوية ، وأشعة الليزر من المسدس تطارده فى إلحاح ، إلى أن وثب داخلها ، وتصاعد فحيحه عبر فوهتها ، وهو يعدو أو يزحف مبتعدًا بسرعة مدهشة ..

وقفز (أكرم) واقفًا على قدميه ، ودماء الملاح القتيل

تغمر ثيابه ، واندفع نحو فتحة التهوية ، وراح يطلق أشعة مسدسه داخلها ، وهو يصرخ :

- لن تذهب بعيدًا أيها الوغد .

أمسك القبطان يده فى سرعة ، وهو يهتف :

- رويدك يا رجل .. أسلوبك هذا قد يدمِّر نظام التهوية تمامًا .

التفت إليه (أكرم) فى حركة حادة ، هاتفًا :

- أأنت هنا ؟!

أجابه القبطان فى دهشة :

- وما العجيب فى هذا ؟! .. كلنا هرعنا خلفك ، و ...

قاطعه (أكرم) فى عصبية :

- وكم من الرجال تركت ؛ لحماية الآلى المحدود ، الذى سنعتمد عليه تمامًا ، فى محاولة الفرار من المصير ، الذى ينتظرنا على المريخ ؟!

اتسعت عينا القبطان فى ذعر ، وهتفت (سلوى) فى هلع :

- رباه ! .. هل تتصوَّر أن ذلك المخلوق سيعود إلى حجرة القيادة ، و ...

انطلق (أكرم) عائدًا إلى الحجرة ، وهو يجيب فى حدة :

- ألديكم اقتراح آخر .

ولم يكد يصل إلى المكان ، حتى انعقد حاجباه فى شدة ، وتفجَّرت فى أعماقه موجة هائلة من الغضب والحنق والسخط ..

لقد كان (رمزى) ملقى أرضًا فاقد الوعى ، والدماء تغرق صدره وذراعيه ، وعلى بعد مترين فحسب منه يقف ذلك الآلى المحدود ، وقد حطَّم الوحش شاشة الاتصال فيه ، وانتزع أسلاكه الرئيسية ..

كلها .

★ ★ ★

٥ - ضربات متتالية ..

أطلّ التوتر الشديد ، الذى تموج به أعماق الدكتور (ناظم) ، فى نبرات صوته المرتفعة ، وهو يقول للقائد الأعلى :

- لست أدرى لماذا انقطع الاتصال هكذا فجأة ؟! .. إننا نخشى أن يكون ذلك الخطر ، الذى يواجهونه فى المكوك ، قد استشرى وتضاعف ، حتى التهم كل أمل فى النجاة .

فرك القائد الأعلى أصابعه فى توتر مماثل ، وهو يسأله :

- وما الذى ينبغى أن نفعله الآن ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) فى سرعة :

- سنرسل كل شىء بالطبع ، كما لو أن شيئًا لم يحدث ، فربما كان عطل الاتصال لسبب أبسط من تصوراتنا .

وافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه ، مغمغمًا :

- نعم .. أعتقد أن هذا أفضل ما نفعله .

ثم صمت برهة ، وكأنما يستجمع شيئًا من أفكاره ، قبل أن يتساءل فى حزم :

- وماذا لو كنا مخطئين ؟

تطلّع إليه الدكتور (ناظم) فى حيرة ، متسائلاً : -

- ماذا تعنى يا سيّدى القائد ؟

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى صرامة ، وهو يقول :

- أعنى ماذا لو أن سبب عطل الاتصال هو نجاح تلك القوة المجهولة ، فى السيطرة على المكوك ؟!

مطَّ الدكتور (ناظم) شفتيه ، وتنهّد فى عمق ، قبل أن يجيب :

- سيكون هذا أمرًا بالغ الخطورة بحق ، فقد يعنى أن تلك المخلوقات على المريخ ، تستعيد المكوك لهدف ما .. وهذا الهدف ليس لصالحنا حتمًا .

قال القائد الأعلى فى صرامة أكثر :

- إذن فمن واجبنا عندئذ ، أن نمنع وصول المكوك إلى المريخ .

تطلّع إليه الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، قبل أن يسأل فى حذر :

- سيّدى .. ما الذى تريد قوله بالضبط ؟

اعتدل القائد الأعلى على مقعده ، وشدّ قامته فى حزم ، وهو يجيب :

- الذى أريد قوله هو أنه من الصحيح أننا ندين بالكثير لـ (نور) وفريقه ، ولكن مسئوليتنا تجاه (مصر) وشعبها ، والعالم أجمع ، تفوق حتمًا كل العواطف والمشاعر .

انتقل قلق الدكتور (ناظم) وتوتره إلى صوته ، وهو يتمتم :

- لست أفهم .

أجابه القائد الأعلى فى صرامة :

- بل تفهم يا دكتور (ناظم) ، ولكنك تخشى تصديق ما فهمته .. إننى أعنى ، وبكل وضوح ، أنه لو لم نتلق اتصالاً واضحًا صريحًا من المكوك ، أو نتيقّن تمام اليقين من أنهم قد بدءوا عملية تغيير المسار بالفعل ، خلال ساعة واحدة من الآن ، سنرسل إلى المكوك صاروخًا آخر .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- وفى هذه المرة سيحوى الصاروخ قنبلة .. قنبلة شديدة التدمير .

وارتجف جسد الدكتور (ناظم) ..

وبشدة ..

★ ★ ★

تأوّه (رمزى) فى ألم ، وارتجف جسده كله ، على نحو جعل أصابع (أكرم) كلها تتوتّر ، وَهو يقول :

- رويدك يا رجل .. إننى أبذل قصارى جهدى لخياطة جروح صدرك هذه ، ولكننى لست ماهرًا فى هذا بالتأكيد ، فهى المرة الأولى ، التى أتعامل فيها مع جسد حى .

لهث (رمزى) ، وهو يقول فى ألم :

- لا عليك يا (أكرم) .. واصل عملك يا صديقى .. كانت شجاعة نادرة منك أن تقدم على هذا .. لقد أنقذت حياتى .

غرس (أكرم) الإبرة الجراحية فى طرف الجرح ، وهو يقول متوترًا :

- أنت الشجاع الحقيقى يا رجل .. إننى أخيط جروحك فى غلظة ، ودون أية عقاقير مخدّرة ، وهأنتذا تحتمل كالليث .

تأوّه (رمزى) مرة أخرى ، وهو يغمغم :

- ليس لدى خيار آخر ..

كان (أكرم) يشعر بتوتر لا مثيل له ، فى حياته كلها ، حتى أنه تساءل فى دهشة ، كيف يفعل الأطباء هذا يوميًا ، ولكنه بذل قصارى جهده للسيطرة على مشاعره وأعصابه ، وهو يقول محاولاً التغطية على انفعاله :

- يبدو أن ذلك الوغد قد فشل هذه المرة ، ولم ينجح فى العودة إلى جسد ابنك .

هزّ (رمزى) رأسه ، وضغط أسنانه ببعضها ، وهو يقول :

- لم يفشل تمامًا .. لقد دمّر الآلى ، وقتل أحد الملاحين ، وأقعدنى عن العمل .

قال (أكرم) فى توتر :

- ستعود إلى عملك قريبًا يا رجل ، وستمارس حياتك العادية .

ضحك (رمزى) فى ألم وصعوبة ، قبل أن يقول فى ضعف :

- هذا لن يجدى يا (أكرم) .. لن يمكنك إقناعى أنا

بالذات بهذا ، مهما تظاهرت بالاطمئنان والتفاؤل .. هل نسيت أننى طبيب ؟

هزّ (أكرم) رأسه ، قائلاً :

- كلاً .. لم أنس أنك طبيب .. ولم أنس أيضًا أننى مهندس ، وعلى الرغم من هذا فقد نجحت فى أن أخيط جروحك .. إننى أصنع الغرزة الأخيرة يا رجل .

كان وجه (رمزى) شاحبًا بشدة ، وهو يتمتم :

- أعلم هذا يا صديقى ، وأشعر به جيدًا ، ولكننى أعلم أيضًا أن إصابة كهذه لن تشفى قبل أسبوعين على الأقل ، ولن يمكننى الحركة قبل يومين كاملين .

انتهى (أكرم) من غرزته الأخيرة ، وهو يقول :

- من يدرى يا رجل ؟ .. من يدرى ؟

قالها ، وتطلّع مشفقًا إلى وجه (أكرم) ، الذى غابت عنه الدماء ، فبدا شاحبًا ممتقعًا جامدًا كوجوه الموتى ، ثم مدّ يده يتحسّس عنقه فى رفق ، قبل أن يغمغم :

- يا للمسكين ! .. لقد فقد وعيه ثانية .. ياله من بطل !

نزع القفازين الجراحيين عن يديه ، وغادر المكان

فى هدوء ، وأغلق بابه خلفه فى خفة ، ثم اتجه إلى حجرة القيادة ، حيث انهمكت (سلوى) فى محاولة إصلاح الآلى ، وسألها :

- هل من جديد ؟

أطلقت من أعماق صدرها تنهيدة حارة ، قبل أن تجيب :

- لا فائدة .. لقد أتلفه تمامًا ، على نحو لا تجدى معه أية وسائل إصلاح .

هتف القبطان فى غضب :

- اللعنة !

أما (مشيرة) ، فسألت فى اهتمام :

- كيف حال (رمزى) يا (أكرم) ؟

تنهّد مجيبًا :

- ليس لدى خبرة فى مثل هذه الأمور ، ولكن من الواضح أن المسكين يعانى من ضعف شديد .

قالت (سلوى) فى أسف ، وهى تلقى نفسها على أقرب مقعد إليها :

- لقد فقد الكثير من دمه .

عضّ (أكرم) شفته السفلى فى غيظ ، وهو يقول :

- آه لو يقع ذلك الوغد فى قبضتى ! .. إنه يسعى لتدميرنا جميعًا .

ترقرقت عينا (سلوى) بالدموع ، وهمهمت :

- أعتقد أنه نجح فى هذا بالفعل .

أجابها (أكرم) فى غضب :

- ليس بعد .

- رفعت عينيها الدامعتين إليه ، قائلة :

- هل تؤمن بهذا بالفعل ؟! .. لقد قتل ثلاثة عشر شخصًا حتى الآن ، وتسبّب فى ضياع (نور) فى الفضاء الخارجى ، وتمزيق صدر (رمزى) ، وأصاب (نشوى) بحالة من الرعب الدائم ، جعلتها تلتصق بابنها طوال الوقت ، وترفض الابتعاد عنه لحظة واحدة .. ما الذى يمكنك أن تطلقه على كل هذا ؟

أجابها فى إصرار :

- خسارة محدودة .

تفجّرت الدموع من عينيها ، وهى تهتف فى حنق استنكار :

- محدودة ؟! .. كل هذا تعتبره مجرّد خسارة محدودة ؟! .. اسمع يا (أكرم) .. لو أن هذا رأيك الحقيقى ، فلن يمكنك حتمًا أن تشعر بما أشعر به أنا .. إننى أعتبر ما حدث مصيبة .. كارثة .. ضياع (نور) وحده يعنى بالنسبة لى الدمار الشامل .. أنت لا تدرك ماذا كان (نور) بالنسبة لى .. لا أحد يمكنه أن يستوعب هذا .. (نور) لم يكن مجرّد زوج وزميل عمل فحسب .. لقد كان أخًا ، وصديقًا ، وحبيبًا ، وعاشقًا ، وأستاذًا .. كان كل المشاعر الحلوة فى آن واحد .. كيف يمكننى أن أعتبر فقده مجرّد خسارة محدودة .

غمغم (أكرم) فى حرج :

- ليس هذا ما قصدته يا (سلوى) ، وإنما كنت أعنى أنها معركة .. حرب طاحنة ، بيننا وبين ذلك الوحش الصغير ، وفى كل الحروب لابد وأن يحقّق كل من الطرفين بعض الانتصارات ، ويتلقّى بعض الهزائم ، ولكن العبرة بالنهاية .. المهم هو من يحقق النصر الحاسم .

احتقن وجه (مشيرة) ، وهى تقول فى حدة :

- ليس هذا ما كنت تقصده .. ليس هذا ما كنت تعنيه .. ألا تملّ ترديد هذه العبارة الاستفزازية قط ؟! .. ألن تتعلّم أبدًا ضرورة أن تفكّر فى أقوالك ، قبل أن تنطق بها ؟!

انعقد حاجباه ، وهو يقول فى غضب :

- ما الذى تتوقعينه من شخص همجىّ بدائى مثلى ؟

صاحت فى حنق :

- لا ينبغى أن أتوقع شيئًا بالتأكيد.. لا ينبغى أن أتوقع حتى القليل من الذوق ، واللياقة .. من أدراك أنك على حق فى كل ما تقول أو تفعل ؟! .. من أعطاك الحق فى التعامل مع تلك المسكينة بهذه القسوة والفظاظة ؟! .. ألا يحتمل أن زوجها لا يزال على قيد الحياة ؟!

تنحنح القبطان ، عند هذه النقطة ، وغمغم :

- معذرة يا سيّدتى ، ولكننى أعتقد أن هذا مستحيل ! .. لست أقصد إحباطك ، ولكن خزان الأكسجين فى الزى الفضائى ، لا يكفى لأكثر من ساعة واحدة ، ولقد مضت تلك الساعة منذ ..

قاطعته (سلوى) فى حدة :

- كفى .. إننا نفهم .. لا داعى لترديد هذا .

ثم انفجرت باكية مرة أخرى ، مستطردة :

- لا داعى لتكرار العذاب .

تبادل (أكرم) والقبطان نظرة مرتبكة ، فى حين أشاحت (مشيرة) بوجهها ، قائلة فى غضب :

- يا للسخافة !

ران على المكان الصمت لحظة ، ثم اتجه (أكرم) إلى (سلوى) وقال :

- أنا آسف يا (سلوى) .. لم يقصد أحد جرح مشاعرك .

تطلّعت إليه (مشيرة) فى دهشة ، فى حين مسحت (سلوى) دموعها ، مغمغمة :

- لا عليك .. أنا واثقة من هذا .

قالت (مشيرة) :

- عجبًا ! .. كنت أتصوّر أن ..

قبل أن تتمّ عبارتها ، اندفع أحد الملاحين المتبقين بالمكوك ، وهو يهتف فى شحوب وانفعال :

- سيّدى القبطان .. سيّدى القبطان .

سأله القبطان ، والجميع يلتفتون إليه فى توتر :

ـ ماذا حدث يا رجل ؟!

أجابه الملاح وهو يرتجف ويلهث فى انفعال :

ـ هناك شىء ينبغى أن تراه .. شىء بالغ الأهمية .

قالها وكأنما رأى الشيطان .

الشيطان نفسه ..

★ ★ ★

انتقل انفعال ودهشة الملاّح إلى القبطان و(أكرم) ، وهما يحدقان فى عدد من الأوعية الفارغة ، الملقاة على نحو عجيب ، فى قاع المكوك ، وهتف الأوّل فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أشار الملاّح إلى الأوعية ، قائلاً :

ـ هذه الأوعية كانت تحوى بعض مركّبات الصودا الكاوية ، ولكنها فارغة الآن تمامًا ، ولا يوجد أدنى أثر لتلك المركّبات على الأرض أو الجدران .

سأل (أكرم) متوترًا :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟

أجابه القبطان :

ـ أن شيئًا ما قد استولى على محتويات الأوعية .

غمغم الملاّح مرتجفًا :

ـ أو التهمها .

حدّق الاثنان فى وجهه بدهشة واستنكار ، وهتف القبطان :

أى قول هذا يا رجل ؟! .. لا أحد يمكنه التهام المركبات الكاوية .. هذا يقتله على الفور .

قال الملاّح ، وهو يتلفّت حوله مضطربًا :

ـ لو أنه مخلوق عادى .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول :

ـ هل تعنى أنه ..

قاطعه الملاّح ، وهو يندفع قائلاً فى انفعال :

ـ إنه ليس مجرّد استنتاج يا سيّدى .. انظر إلى الأوعية جيدًا ، وستجد بها آثار أنياب واضحة .. إنه ذلك الشىء .. لا ريب فى هذا .. لقد التهم تلك المركّبات الكاوية لسبب ما .. ليس لدى أدنى شكّ فى هذا .

تبادل القبطان و(أكرم) نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يغمغم الأخير :

- ولكن لماذا ؟! .. لماذا يلتهم تلك المركّبات ؟

أجابه القبطان فى حدة :

- إنه لم يلتهمها بالتأكيد .. هذا استنباط خيالى أكثر من اللازم .. وجود آثار الأنياب على الأوعية لا يعنى أنه التهم محتوياتها .. ربما استخدم أنيابه لفتحها فحسب .

أجابه الملاح متوترًا :

- مستحيل يا سيّدى .. لو أنه استخدم أنيابه لفتح الأوعية فحسب لتركت آثارها فى هذا الموضع بأعلى ، ولكن آثار الأنياب هنا توحى بأنه ..

قاطعه القبطان فى صرامة عصبية :

- كفى .. لست أريد مزيدًا من الحديث ، حول هذه النقطة .

بدا التوتر عنيفًا ، على وجه الملاح ، وهو يغمغم فى عصبية :

- كما تأمر يا سيّدى .

التقط (أكرم) أحد الأوعية ، وفحصه فى اهتمام ، قبل أن يقول للقبطان :

- أعتقد أن أسلوبك هذا يناسب الحياة الديكتاتورية كثيرًا أيها القبطان ، فالفتى يبدو على حق إلى حد كبير .

هتف القبطان فى حدة :

- هراء .

ثم لوّح بيده فى حنق ، مستطردًا :

- أى شىء هذا الذى يدفع أى مخلوق إلى تناول مادة قلوية كاوية ؟

أجابه (أكرم) :

- تذكّر أن المخلوق الذى نتحدّث عنه ، تجرى فى عروقه دماء خضراء ، ذات تأثير كاو .

هتف القبطان فى عناد :

- ولو .

ثم أضاف فى غضب عصبى :

- قل لى بالله عليك : ما الجديد فى الأمر ، الذى يدفع مخلوقًا كهذا إلى الإقبال فجأة على التهام مادة كاوية ، بكل هذه الشراهة ؟!

أجابه (أكرم) :

- لست أدرى بالضبط ، ولكننى أعتقد أن كل قواعد المنطق قد تراجعت ، منذ بدأ ذلك الأمر ، ولم يعد من السهل استنباط ما هو ممكن ، وما هو غير ممكن .

قال القبطان فى حدة :

- عظيم .. كيف يمكننا التعامل إذن ، مع أمر لا يخضع لقواعد المنطق ؟

أجابه (أكرم) فى حزم :

- بأقصى سرعة ممكنة .

غمغم الملاَّح فى اضطراب ، وهو يتلفت حوله فى قلق :

- وبأكبر قدر من الحذر .

انعقد حاجبا القبطان ، وهو يقول :

- وما الذى تقترحه أيها العبقرى ؟!

أشار (أكرم) بيده ، قائلاً :

- أولاً سنسعى لإغلاق كل فتحات التهوية ، كما فعلنا مع فتحة التهوية فى حجرة الصغير .. سندعِّم إطاراتها ، ونضيف إليها قضبانًا من الفولاذ ، وبهذا نغلق وسيلة المواصلات الرئيسية لذلك الوغد .

جذب قوله انتباه القبطان والملاَّح فى شدة ، فغمغم الأوَّل فى اهتمام :

- وثانية ؟!

أجابه (أكرم) فى حزم :

- سنحاصره فى قاع المكوك ، ونواجهه بمسدسات الليزر .. من الواضح أن أشعة الليزر تؤثِّر به ، بأكثر مما تفعل رصاصات مسدس .

نطق العبارة الأخيرة فى ضيق واضح ، فقال القبطان :

- ربما لأن أشعة الليزر تحرق الخلايا بشدة ، حول موضع الإصابة ، فتمنع التئام الجروح .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، مغمغمًا :

- ربما .

ثم أضاف فى صرامة :

- ولكن دعنا من البحث عن التفسيرات الآن ، فليلتهم الصودا الكاوية ، أو حمض النيتريك لو أراد ، المهم أن نبدأ عملية الحصار بأقصى سرعة ممكنة ، قبل أن يسبقنا ذلك الوغد إلى إجراء جديد أكثر خطورة .

انعقد حاجبا القبطان فى شدة ، وهو يقول :

- فليكن .. إلا أننى مازلت أتساءل عن السبب المنطقى ، الذى يدفع ذلك الوحش إلى التهام مادة

كاوية ؟! .. بم يمكن أن يفيده هذا ؟!؟ .. إنها مادة ..

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى رعب هائل ، وهو يحدّق فى شىء ما خلف (أكرم) ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها شهقة عنيفة ، من بين شفتى الملاح ، وهو يتراجع صارخًا فى ارتياع :

- يا إلهى ! .. هذا مستحيل ! .. مستحيل !

التفت (أكرم) بسرعة إلى حيث يحدّق الرجلان ، وارتطم وجهه بأنفاس حارة كريهة ، انطلقت مع فحيح قوى مخيف .

ووجد نفسه وجهًا لوجه أمام ذلك الوحش ، الذى لم يعد أبدًا كما كان ..

لقد صار أكثر بشاعة ..

أكثر بكثير .

★ ★ ★

ووجد نفسه وجهًا لوجه أمام ذلك الوحش ، الذى لم يعد أبدًا كما كان ..

٦ - النمــو ..

فركت (مشيرة) كفيها فى عصبية شديدة ، وتطلّعت إلى ساعتها ، قبل أن تقول :

- لماذا تأخّروا ؟ .. ما الذى وجده ذلك الملاّح فى القاع ؟

لم تجبها (سلوى) وهى تدفن وجهها بين كفيها فى صمت ، فالتفتت إليها (مشيرة) ، وسألتها :

- هل تسمعيننى يا (سلوى) ؟

مضت لحظة من الصمت والسكون ، قبل أن ترفع (سلوى) وجهها الغارق فى الدموع ، من بين كفيها المبتلتين ، وهى تقول :

- معذرة يا (مشيرة) .. لم أكن منتبهة إلى ما تقولين .

تطلّعت إليها (مشيرة) فى تعاطف مشفق ، واتجهت إليها ، لتضع يدها على كتفها فى رفق ، مغمغمة :

- (سلوى) .. أتبكين ؟!

انتحبت (سلوى) لحظات ، وأومأت برأسها إيجابًا ، وهى تجيب :

- لا يمكننى احتمال فقده قط يا (مشيرة) .

ارتفع حاجبا (مشيرة) فى تأثر ، وهى تهمس :

- أتقصدين (نور) ؟!

أجابتها (سلوى) بإيماءة من رأسها ، وقالت ودموعها تغرق وجهها :

- إننى أفتقده بشدة ، فى هذا الموقف .. أفتقد ذلك الشعور بالأمان ، الذى أشعر به ، عندما يكون إلى جوارى .. أشعر بالضياع الآن بدونه .

تنهّدت (مشيرة) ، قائلة فى حزن :

- أنا أيضًا أفتقد (أكرم) .

التفتت إليها (سلوى) فى دهشة ، وهى تقول :

- ولكن (أكرم) إلى جوارك بالفعل !

ترقرقت عينا (مشيرة) بالدموع بدورها ، وغمغمت فى أسى :

- الأمور بيننا لم تعد كسابق عدها .

تطلّعت إليها (سلوى) لحظة ، قبل أن تقول فى حذر :

- هل يضايقك أن أخبرك برأيى صراحة يا (مشيرة) .

هزت رأسها نفيًا ، مجيبة :

ـ كلاً .

ترددت (سلوى) لحظة ، ثم قالت :

ـ أعتقد أنك تسيئين معاملة (أكرم) ، فى الآونة الأخيرة .

لم تكد تنطقها ، حتى شعرت بالندم ، وخيّل إليها أن (مشيرة) ستنفجر فى وجهها غاضبة ساخطة ، وستتهمها بالتدخّل فيما لا يعنيها ، لذا فقد أدهشها حقًا أن رأت الدموع تنهمر من عينى (مشيرة) فى غزارة ، وهى تقول فى مرارة :

ـ أعلم هذا .

ثم انفجرت باكية فى حرارة ، مستطردة :

ـ ولست أدرى لماذا أفعل هذا ! .. إننى أحبه يا (سلوى) .. صدقينى .. أحبه كما لم أحب مخلوقًا من قبل .. إنه كل حياتى ، وليست أدرى لماذا أهاجمه دائمًا على هذا النحو ؟!

سألتها (سلوى) فى تعاطف :

ـ ربما أن أعصابك ثائرة لسبب ما :

أجابتها فى ألم :

ـ بالتأكيد .. إننى لا أحقّق نجاحات تذكر ، فى الآونة الأخيرة ، وعملى لا يسير على ما يرام ، ولقد راودنى شعور بأنه المسئول عن هذا .

سألتها (سلوى) حائرة :

ـ وكيف يكون مسئولاً عن عدم نجاحك فى عملك ؟

أجابت باكية فى مرارة :

ـ لست أدرى .. إنها فكرة حمقاء ، ولكننى لا أستطيع إبعادها عن ذهنى قط ، ولا يمكننى أن ..

انعقد لسانها بغتة ، وهى تحدّق فى نافذة حجرة القيادة ، خلف (سلوى) مباشرة ، فانعقد حاجبا هذه الأخيرة ، وهى تلتفت فى توتّر إلى حيث تحدّق (مشيرة) ثم خفق قلبها فى عنف ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، قبل أن تنطلق من حلقها صرخة قوية ..

صرخة تحمل كل الدهشة ..

وكل الانفعال ..

★ ★ ★

كانت تلك المواجهة ، فى قاع المكوك ، رهيبة ولاشك ، فى نظر الرجال الثلاثة ..

لقد تجمدت الدماء فى عروقهم أو كادت ، وهم يحدقون فى ذلك الوحش ، بعد التغير المدهش الذى حدث .

إنه لم يعد ذلك المخلوق الصغير الشرس ، ذا اللون الأخضر الداكن ..

لقد صار وحشًا مكتمل النمو ، بشع الخلقة ، مخيف الهيئة ، له واحد من أفظع الوجوه فى عالم المخلوقات ، يتوسطه زوج من أعين حمراء قانية كالدم ، تتطلع إلى الثلاثة فى وحشية وشراسة مخيفتين ..

وكان فى حجم رجل ناضج ، حتى أن وجهه كان يواجه وجه (أكرم) مباشرة ، وهو يطلق فحيحه الثانى ، الذى لفح وجه هذا الأخير ، فهتف ، وهو يتراجع بحركة غريزية :

- يا للهول !

ولم يكد ينطقها ، حتى شعر بالمخالب الحادة تنغرس فى صدره ، مع ضربة عنيفة ، اقتلعته من مكانه ، وألقت به ثلاثة أمتار إلى الخلف ، ليرتطم بالجدار فى عنف ، ثم يسقط أرضًا ، مع آلام مبرحة تنبعث فى جسده كله ،

فى نفس اللحظة التى صرخ فيها القبطان ، وهو ينتزع مسدسه الليزرى من غمده :

- لا .. هذا مستحيل ! .. مستحيل !

كان (أكرم) يلهث فى شدة ، وهو ينهض من سقطته ، ويتحسس صدره فى ألم ، عندما انطلقت صرخة ثانية من القبطان ، تحمل فى هذه المرة قدرًا هائلا من الألم والذعر والعذاب ، مختلطة بفحيح الوحش ، ووقع أقدام الملاح ، وهو يعدو صارخًا :

- لا .. لا .. ليس أنا .

كانت المخالب قد انغرست فى صدر (أكرم) على نحو عمودى تمامًا ، فلم تمزق عضلاته ، كما حدث مع (رمزى) ، وإنما تركت أربعة ثقوب رفيعة فحسب ، سالت منها الدماء لتلوث قميصه ، وهو يقف على قدميه ، ويتطلع فى مرارة إلى جثة القبطان ، التى توسدت الأرض ، وقد تمزق صدرها على نحو بشع مخيف ، بعد أن انتزع الوحش قلبه ، وراح يمزقه فى شراسة سادية ..

ومع نهوض (أكرم) ، التفت إليه الوحش ، وأطلق

فحيحًا جديدًا ، فصوَّب إليه (أكرم) المسدس النيزرى ، وهو يقول فى غضب :

- هيا أيها الوغد .. اهجم .. امنحنى فرصة لنسف رأسك البشع .

أطلق الوحش فحيحًا جديدًا ، وألقى قلب القبطان جانبًا ، فارتطم بالجدار ، وانزلق فوقه إلى الأرض ، مخلفًا بقعة كبيرة من الدم ، ثم اندفع نحو (أكرم) ، الذى صرخ فى غضب :

- أحسنت أيها الوغد .. أحسنت .

قالها ، وضغط زناد المسدس الليزرى ، وأطلق خيوط الأشعة نحو الوحش ، وسمعه يطلق فحيحًا يمتلئ بالألم ، والدماء الخضراء تتفجَّر من صدره ، وذراعيه ، وعنقه ..

ومن عينه اليسرى ..

وتضاعفت بشاعته ، والدماء الخضراء تتدفق من عينه ، وهو يطلق فحيحًا أكثر قوة وأعنف ألمًا ..

وفى ظفر ، صرخ (أكرم) :

- إذن فهذا يوقفك .. خذها من (أكرم) ثانية أيها الوغد .. خذها .

انطلقت أشعته ثانية ، ولكن الوحش وثب جانبًا ليتفاداها هذه المرة ، ثم انقضَّ عليه فى شراسة أكثر ، فتراجع (أكرم) بحركة حادة ، وترك مخالب الوحش تهوى على الفراغ ..

ولكن المخالب الحادة لم تخطئ هدفها تمامًا ..

صحيح أنها لم تصب جسد (أكرم) ، ولكنها أصابت المسدس الليزرى ، وأطاحت به بعيدًا ..

وبرقت العينان الحمراوان كالدم ، والوحش يطلق فحيحًا ظافرًا ، بعد أن جرَّد (أكرم) من سلاحه ، ولكن هذا الأخير انتزع مسدسه التقليدى من حزامه ، وهو يهتف :

- أعلم أن هذا لن يوقفك أيها الوغد .

ثم أطلق رصاصاته ، مستطردًا فى حدة :

- ولكنه سيعطلك على الأقل .

أصابت الرصاصات الوحش ، فانطلق من حلقه فحيح رهيب ، وهو يتراجع بضع خطوات ، فى حين انطلق (أكرم) يعدو بكل قوته ، نحو المدخل الذى يقود إلى ممرات المكوك ، وهو يهتف :

- هيا أيها الوغد .. حاول اللحاق به .

توقف الوحش لحظة ، وبرقت عيناه أكثر وأكثر ، وجراح الرصاصات تلتئم رويدًا رويدًا ، قبل أن يطلق فحيحًا جديدًا ، ويركز بصره على (أكرم) ..

وشهق (أكرم) فى عنف ، عندما شعر وكأن قبضة هائلة قد لطمته فى ظهره ، فانتزعته من الأرض ، ودفعته أربعة أمتار إلى الأمام ، قبل أن يسقط على وجهه ، ويتدحرج فى عنف ، ولكن لم يكد جسده يستقر ، حتى هبّ واقفًا على قدميه ، وانطلق يعدو نحو المدخل ، الذى صار قيد أمتار سبعة منه فحسب ..

ثم أطلق الوحش فحيحًا آخر ..

وفى هذه المرة أيضًا ، شعر (أكرم) بلطمة جديدة على ظهره ، ثم شعر بجسده كله يرتفع فى الهواء ، حتى ارتطم رأسه بالسقف ، وسقط أرضًا ..

والتفت (أكرم) إلى الوحش فى غضب وألم ، هاتفًا :

- إذن فأنت تمتلك قدرات ذهنية خارقة أيضًا أيها الوغد !.. هذا يفسّر الكثير ، والـ ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدّق فى ذلك الخيط الفسفورى الأخضر ، الذى سال من فتحتى الأنف عند الوحش ، وأغرق فكه السفلى ..

وقبل أن يستوعب عقله ما حدث ، سمع الملاّح يهتف به فى انفعال :

- أسرع يا سيّد (أكرم) .. أسرع بالله عليك .

التفت إليه (أكرم) فى سرعة ، ورآه يقف عند الجانب الآخر للمدخل ، مستعدًا لإغلاقه ، فقفز واقفًا على قدميه ، وانطلق نحوه بأقصى سرعته ، فأطلق الوحش فحيحًا جديدًا ، وجرى خلفه فى شراسة .

وشهق الملاّح فى ارتياع ، عندما رأى الوحش يندفع نحوه ، وأسرع يضغط زر إغلاق المدخل ، صائحًا :

- معذرة يا سيّد (أكرم) .. لم يعد هناك وقت .

رأى (أكرم) المدخل يُغلق أمامه ، فصرخ :

- أيها الجبان .

وبدا له ذلك الباب الرأسى ، وهو ينخفض ، ليفصل المكوك عن قاعه ، أشبه بمقصلة تهوى على عنق الأمل ، لتتركه وحيدًا فى قاع المكوك ..

وحيدًا فى مواجهة وحش مخيف ..
ومفترس ..

★ ★ ★

قوة هائلة سرت بغتة فى عروق (أكرم) ..

قوة تفجَّرت فى أعماقه كبركان هائل عنيف ، واشتعلت بها الدماء التى تجرى فى شرايينه ، وهو يعدو بسرعة تكاد تفوق سرعة أى بشرى ، ويصرخ بكل ما يعتمل فى نفسه من انفعال :

ـ لن تربح أبدًا أيها الوغد .. أبدًا .

انطلق فحيح الوحش ، من مسافة لا تزيد على ثلاثة أمتار ، ولكن (أكرم) استجمع طاقاته كلها ، وقفز ..

بل يمكنك أن تقول : إنه طار فى الهواء ..

هذا بالضبط ما رآه الملاح ، أو ما خُيِّل إليه أنه يراه ، عندما وثب (أكرم) وثبة رائعة مدهشة ، عبر بها الفجوة المتبقية من المدخل ، وسقط خلفه منزلقًا على الأرض ، والوحش يعدو بكل سرعته ، محاولًا اللحاق به ، وهو يطلق أكثر صيحاته غضبًا وثورة ..

وعلى الرغم من المجهود الهائل ، الذى بذله (أكرم)

فى الثوانى الأخيرة ، ومن أنه كان يلهث فى عنف ، إلا أنه استدار بسرعة مدهشة ، وأطلق رصاصات مسدسه على الوحش ، عبر الفرجة المتبقية من المدخل ، صائحًا فى حدة :

ـ ابتعد أيها الوغد .. ابتعد .

أصابت الرصاصات كلها جسد الوحش ، إلا أنه لم يتوقَّف ، وإنما واصل اندفاعه ، ووثب بدوره ، محاولاً عبور ما تبقَّى من المدخل ، إلا أن الباب أكمل رحلته بسرعة أكبر ، وأتم انغلاقه قبل أن يبلغه بجزء من الثانية ، فارتطم به فى عنف ، ارتفع دويه فى المكان كله ، قبل أن ينطلق من حلقه فحيح غاضب ، ثائر ، عصبى ..

وعلى الجانب الآخر من المدخل ، أخذ (أكرم) يلهث فى شدة ، والملاح يسرع إليه ، هاتفًا فى انفعال :

ـ حمدًا لله .. لقد نجوت منه إذن .. رباه ! .. خُيِّل إلىَّ لحظة أنك هالك لا محالة .

أجابه (أكرم) غاضبًا :

ـ ولهذا أغلقت الباب .. أليس كذلك ؟

ارتبك الملاّح ، وهو يقول :

- ينبغى أن تعذرنى .. لقد شاهدت بنفسك كيف مزّق القبطان إربًا فى لحظة واحدة .. إنه ليس مخلوقًا عاديًا .. إنه شيطان .. شيطان حقيقى .

صاح به (أكرم) :

- صه يا رجل .. لا تجعل الخوف يُفقدك صوابك .. إنه مجرد مخلوق من مخلوقات الله (سبحانه وتعالى) ، يمتلك بعض القدرات التى تفوق قدراتنا الطبيعية ، ولكن له نقاط ضعفه ، كأى مخلوق حى .

قال الملاّح مرتجفًا :

- أية نقاط ضعف ؟! .. إنه يصمد أمام كل أسلحتنا .

قال (أكرم) فى حدة :

- أشعة الليزر تخترق جسده .. أليس كذلك ؟

أجابه الملاّح متوترًا :

- وكذلك رصاصاتك ، ولكنها لا توقفه .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول فى عصبية :

- هناك شىء ما يوقفه حتمًا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع دوى دقات عنيفة ، على

باب المدخل ، فانعقد حاجبا الملاّح بدوره ، وارتجف فى رعب ، وهو يقول :

- رباه ! .. إنه يحاول تحطيم الباب .

أجابه (أكرم) متوترًا :

- هذا مستحيل يا رجل ! .. الباب مصنوع من الصلب ، ومهما بلغت قوته ، فلن يمكنه اختراقه .

انقطعت الدقّات وتوقفت ، بعد عبارة (أكرم) بلحظة واحدة ، وران على المكان كله صمت رهيب ، استمرّ لثوان ، دون أن ينبس (أكرم) أو الملاّح ببنت شفة ، ثم همس الثانى فى خوف ، وكأنما يخشى تحطيم جدار الصمت :

- ماذا يحدث ؟! .. لماذا توقّف هكذا بغتة ؟!

همس (أكرم) بدوره ، وكأنما انتقلت عدوى الخوف إليه :

- لست أدرى .. ربما أدرك استحالة اختراق الباب ، أو ...

بتر عبارته بغتة ، عندما ارتجف الباب لحظة ، ثم بدأ يرتفع فى بطء ، وكأنما تسيطر عليه قوة مجهولة ، فتراجع الملاّح ، هاتفًا :

- رباه !.. إنه يفتحه .

اندفع (أكرم) نحو زر إغلاق الباب ، وهو يهتف :

- مستحيل ! .. لقد أتلفت زر الفتح الداخلى بنفسى ، قبل أن أعلم حتى بوجوده فى القاع .

وراح يضغط زر الإغلاق مرة ، ومرة .. ومرة ..

وفى كل مرة يبدو الباب وكأنه سيتوقّف عن الارتفاع ، إلا أنه لا يلبث أن يهتز فى عنف ، ثم يعاود الارتفاع فى بطء شديد ..

وفى عصبية ، تلفّت (أكرم) حوله ، قائلاً :

آه .. ذلك الوغد يستخدم قدراته الذهنية المتفوّقة ، ليفتح الباب عنوة .

تراجع الملاّح أكثر وأكثر ، وهو يهتف :

- دعنا نبتعد عن هنا بأقصى سرعة إذن .. سيفتك بنا لو عبر المدخل .

أمسكه (أكرم) فى قوة ، وهو يقول فى حدة :

- كفى خوفًا يا رجل .. إننا نهزم أنفسنا بالخوف ، قبل أن يهزمنا هو بقوته .. لابد وأنه هناك سلاح فى مكان ما .. سلاح أكثر قوة من المسدسات الليزرية العادية .

أطلّ الذعر واضحًا من عينى الملاّح ، وهو يقول :

- إننا مكوك سياحى يا رجل ، ولسنا مركبة فضائية مقاتلة .. ما الذى تتوقّع وجوده هنا ؟

هتف (أكرم) :

- أى شىء .. أى سلاح آخر ..

هزّ الملاّح رأسه نفيًا فى ذعر ، وهو يجيب :

- لا شىء .. لن تجد شيئًا .. اللهم إلا لو كانت أدوات الإصلاح والصيانة تصلح كسلاح .

انعقد حاجبا (أكرم) لحظات فى شدة ، ثم قال فى عصبية :

- من يدرى ؟ .. ربما .

والتفت يلقى نظرة على الباب ، الذى ارتفع عشرين سنتيمترًا عن الأرض ، وتسلل فحيح الوحش عبره ، قبل أن يواصل :

- أين أدوات الإصلاح ؟! .. أين تحتفظون بها ؟

أشار الرجل بيده إلى جزء من الجدار ، وهو يجيب بصوت مرتجف :

- هناك .. كلها هناك ..

دفعه (أكرم) بعيدًا ، واندفع نحو ذلك الجزء من الجدار ، وضغط زرًا صغيرًا فيه ، فانزاح لوح من ألواحه ، كاشفًا تجويفًا لحفظ أدوات الإصلاح والصيانة ، جال (أكرم) ببصره فيها ، وهو يغمغم :

- لابد أنه هناك أدوات لحام .. هذا أمر حتمى فى عمليات الإصلاح .

وقع بصره على أنبوب لحام ليزرى ، وعدد من القضبان الفولاذية ، فانتزعها من مكانها ، هاتفًا :

- وجدت ما أبحث عنه .

وأسرع نحو الباب ، الذى ارتفع بمقدار ربع المتر ، وهتف فى الملاَّح :

- اضغط زر إغلاق الباب يا رجل .. أسرع بالله عليك .

صاح الملاَّح فى ذعر :

- لا .. لن يمكننى هذا أبدًا .. لن أقترب من هذا الباب قط .

صرخ (أكرم) فى ثورة غضب :

- أسرع أيها الجبان .. أسرع وإلا نجح ذلك الوغد فى عبور الباب ، ودفعنا جميعًا الثمن غاليًا .. أسرع .

ولكن الملاَّح تراجع أكثر ، وهو يهتف :

- لا .. لن أفعل .. لن يمكننى هذا .

ثم انطلق يعدو مغادرًا المكان كله ، فصاح (أكرم) فى غضب ، وهو ينتزع مسدسه ، ويلقى جسده أرضًا :

- أيها الجبان الحقير .

كان الباب قد ارتفع لثلاثين سنتيمترًا كاملة ، وانحنى الوحش استعدادًا لعبور تلك الفجوة ، والدماء الخضراء تسيل من أنفه ، ومن عينه المصابة ، وتغرق فكه السفلى ، متساقطة على صدره ، وهو يطلق فحيحًا غاضبًا متوعدًا ، فهتف به (أكرم) :

- لن تنجح إلا على جثتى أيها الوغد .

قالها ، وأطلق رصاصاته فى عنف ، ورآها ترتطم كلها بجسد الوحش ، وتنتزعه من مكانه ، وتلقى به لمتر واحد إلى الخلف ؟ وهو يطلق فحيحًا آخر ، فوثب (أكرم) من مكانه ، واندفع نحو زر إغلاق الباب ، وضغطه فى سرعة ، و ...

وقبل أن يهبط الباب ، استعاد الوحش سيطرته على نفسه ، وانقضَّ عليه فى شراسة غاضبة ، وامتدت يده تعبر فجوته ، و ..

وتقبض على قدم (أكرم) ..

وانتفض جسد (أكرم) فى عنف ، وانطلقت من حلقه صرخة ألم وسخط وحنق ، عندما انغرست المخالب الحادة فى قدمه ، وأدرك أنه وقع فى قبضة خصمه ..

فى قبضة خصم لا يرحم .

★ ★ ★

وامتدّت يده تعبر فجوته ، و ... وتقبض على قدم (أكرم) ..

٧ ـ المحـــاولة ..

ارتجف جسد (سلوى) كله فى عنف ، وهى تحدّق فى نافذة حجرة القيادة ، وتصرخ فى انفعال :

ـ (نور) .. إنه (نور) .. (نور) .. مستحيل !

واندفعت نحو النافذة ، تدقّ عليها بقبضتيها ، مستطردة فى هياج ، والدموع تغمر وجهها كالسيول :

ـ لقد عدت يا (نور) .. كنت أعلم أنك ستعود .. كنت أعلم أنك لن تخذلنا .. أجب يا (نور) .. أجب بالله عليك .. أنت حى .. أليس كذلك ؟ .. أنت حى يا (نور) .

وقفت (مشيرة) ذاهلة ، تحدّق فى جسد (نور) ، الذى التصق بالجدار الخارجى للمكوك ، وأطلّ وجهه واضحًا من خوذته ، التى تواجه زجاج النافذة تمامًا ، وبدت عليه علامات فقدان الوعى ، وإن كانت نضرته توحى بأنه مازال على قيد الحياة ، حتى أن (مشيرة) تمتمت :

ـ مستحيل !

التفتت إليها (سلوى) ، هاتفة فى انفعال :

ـ لابد أن نعيده إلى هنا يا (مشيرة) .. لابد أن نجد وسيلة لهذا .

انتزعت (مشيرة) نفسها من ذهولها ، واندفعت نحوها ، قائلة :

ـ رويدك يا (سلوى) .. رويدك .. تمالكى أعصابك .

صاحت بها (سلوى) :

ـ أتمالك أعصابى ؟! .. ماذا تقولين يا (مشيرة) ؟! إنه (نور) .. زوجى (نور) .. لقد عاد إلينا .. الله (سبحانه وتعالى) كان رحيمًا بنا ، وأعاده إلينا .. إنه (نور) يا (مشيرة) .. (نور) .

هزّتها (مشيرة) فى قوة ، هاتفة :

ـ رويدك يا (سلوى) .. رويدك .. أعلم أن (نور) قد عاد .. إننى أراه أمامى هنا ، ولكن لابد وأن نعلم أوّلاً على أية صورة عاد .

حدّقت (سلوى) فى وجهها بانزعاج ، قائلة :

ـ ماذا تعنين ؟

ارتبكت (مشيرة) ، وتوترت ، وحارت فى البوح بالجواب الذى يملأ نفسها ، ثم لم تلبث أن حسمت أمرها ، وقرّرت مواجهة الأمر مباشرة ، فقالت فى حزم :

- (سلوى) .. أكره أن أقول هذا ، ولكننى أكره أيضًا أن يشتعل فى أعماقك أمل زائف ، ينتهى بصدمة أكثر عنفًا .. صحيح أن (نور) قد عاد ، ولست أدرى كيف ، ولكن تذكّرى ما قاله القبطان ، من أن مخزون الهواء لديه لم يكن يكفى لأكثر من ساعة واحدة ، ولقد مرّت ثلاث ساعات منذ ..

قاطعتها (سلوى) فى حدة :

- لا .. لا تقولى هذا يا (مشيرة) .

صاحتْ بها (مشيرة) :

- لابد أن أقوله .. لابد أن تواجهى الحقائق المجرّدة .

تملّصت (سلوى) منها فى حدة ، وتراجعت هاتفة :

لا .. لن أستمع إليك يا (مشيرة) .. (نور) حى .. حى .. ليس لدى أدنى شك فى هذا .. إننى أشعر به منذ غيابه .. أشعر أنه سيعود إلينا حتمًا .

ثم انطلقت تعدو فجأة خارج المكان ، وهى تهتف :

- (نشوى) .. والدك عاد يا (نشوى) .. (نور) عاد إلينا .

وما إن بلغت حجرة الصغير ، حتى راحت تدقّ بابها بقبضتيها ، هاتفة :

- (نور) عاد .. عاد .

قفزت (نشوى) من مقعدها ، وصرخت :

- أى عاد .. أبى عاد !! ..

ثم صاحت فى الملاّح ، الذى يتولّى حمايتها داخل حجرة الصغير :

- افتح الباب يا رجل .. ألم تسمع ؟! .. لقد عاد أبى .

أجابها الملاّح فى توتر :

- لن يمكننى هذا يا سيّدتى .. أوامر السيّد (أكرم) أن ..

قاطعته صارخة فى غضب :

- قلت لك : افتح الباب أو أقتلك بنفسى .

مطّ شفتيه ، وانعقد حاجباه فى غضب ، وهو يغمغم :

- هذا شأنك .

ولم يكد يفتح الباب ، حتى اندفعت (نشوى) إلى أمها ، هاتفة :

- أمى .. أحقًا تقولين ؟! .. هل عاد أبى ؟!

بكت (سلوى) فى حرارة ، وهى تجيبها :

- نعم يا بنيتى .. لقد عاد أبوك .

قال الملاّح فى عصبية :

- هذا مستحيل يا سيدتى ! .. لقد مضى ما يقرب من ثلاث ساعات ، منذ ابتلع الفضاء زوجك ، ومهنتنا علمتنا أن الفضاء بارد ، قاس ، لا يرحم ، وأن أحدا لم يعد منه قط .

صاحت به (سلوى) :

- ولكن زوجى فعلها يا رجل .. زوجى عاد من الفضاء .

أكملت (مشيرة) فى توتر :

- ولكننا لا ندرى ما إذا كان حيًا أم ...

امتقع وجه (نشوى) ، وهى تهتف :

- ماذا تعنين ؟!

أشارت (مشيرة) بيدها إشارة مبهمة ، وهى تجيب فى عصبية :

- أبوك مازال خارج المكوك يا (نشوى) .

امتقع وجه (نشوى) أكثر ، وهى تقول :

- خارج المكوك ؟! ولكن أمى تقول : إنه عاد .

همّت (سلوى) بتفسير الموقف ، ولكن (مشيرة) سبقتها ، قائلة فى انفعال شديد :

- هذا صحيح .. والدك عاد ، ورأينا جسده يلتصق بالجدار الخارجى للمكوك ، ووجهه يطلّ علينا من النافذة .. ولست أدرى كيف حدث هذا ، فالاحتمال هنا لا يتجاوز الواحد فى المليون !.. ولكنه هنا على أية حال ، وملامحه لا تشفّ عن حياته أو موته .

ارتفع حاجبا الملاّح فى دهشة ، وهو يقول :

- عجبًا ! .. لقد علمونا أن هذه المصادفة لا يمكن أن تحدث قط .. إن احتمال عودة ملاّح فضائى تائه ، إلى الجسم الذى خرج منه ، أشبه بعودة حبة قمح إلى الحقل الذى نبتت فيه ، بعد إلقائها فى قلب المحيط ، فى قارة أخرى !!

هتفت (سلوى) :

- ولكنه عاد .. تعال لتراه بنفسك .

أجابها الرجل بسرعة :

- سأفعل بالتأكيد .

وأسرعت (نشوى) تلتقط صغيرها الصامت الجامد ، وهى تقول فى حماس وانفعال :

ـ هيا بنا ..

انطلق الجميع عائدين إلى حجرة القيادة ، وأشارت (سلوى) إلى (نور) ، الذى يبدو ربعه العلوى من النافذة الكبيرة :

ـ ها هو ذا .

ـ شهقت (نشوى) فى قوة ، وهى تهتف :

ـ رباه ؟ .. إنه أبى بحق .

أما الملاّح ، فقد فغر فاه ، واتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يتمتم :

ـ مستحيل !

واقترب من النافذة ، حتى ألصق راحتيه بها ، وهو يحدّق فى جسد (نور) ، قبل أن يغمغم :

ـ عجبًا ! .. إنه يرتدى جهاز هواء جديدًا .

هتفت (سلوى) ، وهى تندفع بدورها نحو النافذة :

ـ جهاز هواء جديد !! .. أتعنى أنه مازال يتنفس ؟!

هزّ الرجل رأسه فى حيرة ، قائلًا :

ـ لست أدرى ، ولكن أحدهم استبدل خزّان الهواء فى زيه الفضائى بخزّان آخر ، يختلف فى تصميمه تمامًا عن خزّاناتنا .. رباه ! .. هناك جهاز دفع آخر أيضًا .. ويختلف تمامًا عن أجهزتنا الدافعة.

قالت (مشيرة) فى حيرة متوترة :

ـ ماذا تعنى يا رجل ؟! .. من أين يمكن أن يحصل (نور) على تلك الأجهزة الجديدة ؟!

أجابها الملاّح ، وقد اشتدّت حيرته ، وامتزجت بشىء من الانفعال :

ـ لست أملك جوابًا لسؤالك يا سيّدتى ، ولكن أحدهم التقط الرجل فى الفضاء ، ومنحه خزان هواء وجهاز دفع جديدين ، ثم أعاده إلينا .

قالت (نشوى) فى عصبية :

ـ أحدهم ؟! .. تتحدّث كما لو أن الفضاء مجرّد شارع مزدحم ، يكتظّ بالمارة والعابرين !

التفت إليها ، مجيبًا :

ـ ربما كان كذلك يا سيّدتى ، ولكننا لا ندرك هذا .

قالت (مشيرة) فى حدة :

- هل سنبدأ حديثًا فلسفيًا ؟

أشار إلى جسد (نور) ، مجيبًا فى حزم :

- اعثرى لى عن تفسير آخر لهذا إذن .

حدّق الجميع فى جسد (نور) ، وهمّت (سلوى) بقول شىء ما ، عندما اندفع الملاّح الآخر إلى الحجرة ، وهو يلهث فى شدة ، فهتف به زميله :

- ماذا حدث يا رجل ؟!

ألقى الملاّح جسده على أقرب مقعد إليه ، وهو يهتف :

- الوحش .. إنه هناك ، فى قاع المكوك .. ولكنه لم يعد كما كان .. لقد صار ضخمًا .. مخيفًا ..

تراجعت (نشوى) فى رعب غريزى ، وهى تضمّ ابنها إلى صدرها ، وتستعيد مشهد ذلك الوحش ، الذى واجهها فى حجرتها الخاصة ، على كوكب المريخ ، وغمغمت مذعورة مرتجفة :

- صار ضخمًا مخيفًا ؟!

أما (مشيرة) ، فقالت متوترة :

- وماذا عن (أكرم) ؟! .. أين هو ؟!

خفض الملاّح عينيه فى أسف ، مغمغمًا :

- إنه يقاتله هناك .. أسفل المكوك .

صاحت (مشيرة) :

- وتركته هناك وحده ..

أجابها فى عصبية :

- لم يكن بيدى ما أفعله .. إنك لم ترى ذلك الوحش .

صاحت به (نشوى) غاضبة :

- لقد رأيته ، قبل أن تسمع حتى بوجوده .

أما زميله ، فمطّ شفتيه فى ازدراء ، قائلا :

- يا لك من وغد جبان !

ثم استلّ مسدسه الليزرى ، وأشار إلى السيّدات ، مستطردًا فى حزم :

- ابقين فى مكانكن ، وأغلقن الحجرة خلفى فى إحكام ، حتى أعود .

وألقى نظرة أخرى على زميله ، مستطردًا فى احتقار :

- لا يمكننى أن أترك السيّد (أكرم) وحده هناك .

وغادر الحجرة فى حزم ، فى حين خفض زميله عينيه ، متمتمًا :

ـ لم يكن بيدى ما أفعله .

أشارت إليه (مشيرة) بسبّابتها ، ولوّحت بها فى وجهه ، قائلة فى غضب :

ـ اسمع يا رجل .. لو أصاب (أكرم) أدنى مكروه ، فسوف ..

قاطعها الرجل ، صائحًا فى انفعال :

ـ قلت لك : لم يكن بيدى ما أفعله .

ثم انخرط فى بكاء حار ، مستطردًا :

ـ لا يمكننى مواجهة شىء كهذا .. أنا مجرّد ملاح فضائى ، ولست جنديًا مقاتلاً .. إننى لم أصلح حتّى كمساعد للقبطان .

صرخت (مشيرة) :

ـ من الواضح أنك لا تصلح لأى شىء .

أما (سلوى) ، فسألت الرجل بسرعة :

ـ وبالمناسبة .. أين القبطان ؟

انهمرت دموع الرجل أكثر ، وهو يشير بيده ، مجيبًا :

ـ لقد مزّقه ذلك الوحش فى القاع .. إنكن لم ترين ذلك المشهد .. لقد كان شيئًا بشعًا .. بشعًا للغاية .

هتفت به (نشوى) وهى تضم ابنها إليها أكثر :

ـ كفى يا رجل .. أكره أن أرى رجلاً يبكى .

أشاحت (مشيرة) بوجهها ، قائلة فى مقت :

ـ أمر طبيعى من الرجل الذى ترك زوجى يواجه مصيره وحده ، فى مواجهة وحش مفترس ، على الرغم من الـ ...

بترت عبارتها بغتة ، على نحو جعل (سلوى) تلتفت إليها فى تساؤل ، فرأتها تشير إلى النافذة ، قبل أن تهتف فى انفعال :

ـ (نور) .. يا إلهى !.. انظروا .

التفت الجميع إلى (نور) ، واتسعت عينا (سلوى) فى شدة ، فى حين أطلقت (نشوى) شهقة محدودة ..

لقد كانت مفاجأة ..

مفاجأة حقيقية ..

★ ★ ★

على الرغم منه ، سرت فى جسد (أكرم) قشعريرة باردة كالثلج ، عندما قبضت يد الوحش على قدمه ، وانغرست مخالبها فيه ، وصك مسامعه فحيح الوحش

الظافر الشامت ، وهو يجذب قدمه فى قوة ، نحو تلك الفجوة فى المدخل ..

وبكل قوته ، ضغط (أكرم) زر إغلاق الباب بسبَّابته اليسرى ، وهو يصوِّب مسدسه إلى يد الوحش ، صارخًا :

- قلت لك : لن تنجح أيها الوغد .

وانطلقت رصاصاته نحو معصم الوحش ، الذى أطلق فحيح ألم غاضب ، وجذب قدم (أكرم) فى عنف ..

وعلى الرغم من مقاومته ، سقط (أكرم) على ظهره ، وهو يصرخ :

- محاولة لا بأس بها أيها الحقير .

كان وجه الوحش يطلّ عليه ، من الفتحة الصغيرة المتبقية من الباب ، الذى ينخفض ليتمّ رحلة الإغلاق ، فصاح به ، وهو يصوِّب إليه مسدسه :

- قل وداعًا لحياتك القصيرة .

وضغط زناد المسدس ..

ولكن الرصاصات لم تنطلق .

كل ما سمعه (أكرم) هو تكة معدنية ، تعلن فراغ الخزانة من الرصاصات ، أعقبها فحيح من الوحش ،

خُيِّل إليه أنه يحمل كل السخرية والشماتة ، قبل أن يجذب هذا الأخير قدمه أكثر وأكثر ..

وبكل ما يمكنه من سرعة ، انتزع (أكرم) خزانة مسدسه ، وألقاها جانبًا ، ثم أخرج من جيبه خزانة أخرى مملوءة ، ودفعها داخل المسدس ، وهو يهتف :

- لا تتصوَّر أنك انتصرت أيها الوغد .

مال الوحش جانبًا ، ليحمى وجهه وجسده من رصاصات (أكرم) ، وهو يجذبه من قدمه أكثر وأكثر ، والباب يهبط ويهبط ..

وأطلق (أكرم) رصاصاته ..

أطلقها كلها على معصم الوحش ..

وبكل سخاء ..

وأخيرًا ، وبينما كان الباب ينهى رحلته ، انفصلت يد الوحش عن جسده ، وجذبها (أكرم) إلى جانبه ، والوحش يطلق فحيح ألم رهيب ، وتدفقت منها تلك المادة الخضراء ، وسالت على ساق (أكرم) ، الذى أطلق بدوره صرخة ألم ، هاتفًا :

- اللعنة ! .. إنها تلتهمنى .

قفز واقفًا فى سرعة ، وراح يجذب تلك اليد الخضراء ، التى ظلّت مخالبها مغروسة فى قدمه ، حتى انتزعها ، وألقاها جانبًا بكل عنف ، مكررًا :

ـ اللعنة !

وصل الملاّح فى تلك اللحظة ، حاملاً مسدسه الليزرى ، وانعقد حاجباه فى شدة ، عندما رأى يد الوحش المقطوعة ، الملقاة عند الجدار ، والأبخرة الصفراء ، التى تتصاعد من ساق (أكرم) ، وهتف :

ـ رباه ! .. ماذا حدث ؟!

صاح به (أكرم) :

ـ أسرع يا رجل .. أحضر أية مادة حمضية قوية بالله عليك .

قفز الملاّح إلى دولاب أدوات الصيانة ، وألقى بعض ما به جانبًا فى عنف ، قبل أن يلتقط وعاءً صغيرًا ، ويهتف :

ـ ها هى ذى .. إنها إحدى المركّبات الحمضية المستخدمة فى الصيانة .. ما الذى تريد منى أن أفعل بها .

صاح به (أكرم) ، وتلك المادة الخضراء تلتهم لحم ساقه ، وتبعث فى جسده آلامًا رهيبة :

ـ اسكبها على تلك المادة اللعينة .. هيا يا رجل .. أسرع بالله عليك .

تردّد الملاّح لحظة ، ثم اندفع نحوه ، وراح يسكب تلك المادة الحمضية على المادة الخضراء ، فهتف (أكرم) :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .. تأثيرها درامى بالفعل .

راح الباب يرتجف ثانية ، فى اللحظة نفسها ، فصاح (أكرم) ، وهو يلتقط أنبوب اللحام الليزرى ، والقضبان الفولاذية :

ـ يبدو أنك وصلت فى اللحظة المناسبة يا رجل .. هيا .. أسرع بمعاونتى .. اضغط زر إغلاق الباب .

لم يفهم الملاّح ما الذى يريد (أكرم) فعله بالضبط ، ولكنه وثب إلى الباب ، وضغط زر الإغلاق ، فى حين نهض (أكرم) بسرعة ، وراح يستخدم أنبوب اللحام الليزرى ، فى ذلك الفراغ الضئيل ، بين الباب وإطاره ، فهتف به الملاّح :

ـ ماذا تفعل يا رجل ؟

صاح به (أكرم) ، وهو يعمل فى سرعة :

ـ ألحم الباب بإطاره يا هذا .. مجرَّد محاولة لسجن ذلك الوغد فى القاع .

كان الباب يرتجف أكثر وأكثر ، ولكن أشعة الليزر أذابت جزءًا منه ، ولحمته مع الإطار ، فتجمَّد فى موضعه ، وارتفع من خلفه فحيح الوحش الغاضب ، فى حين راح (أكرم) يثبت أحد القضبان الفولاذية فى إطار الباب ، مستخدمًا أسلوب اللحام الليزرى نفسه ، وهو يقول فى انفعال :

ـ فلنر الآن كيف يمكنه مهاجمتنا .

غمغم الملاَّح فى توتر :

ـ ولكن هذا الأسلوب يمنعنا أيضًا من بلوغ القاع .

هتف (أكرم) :

ـ ومن يحتاج إليه ؟

تردَّد الملاَّح لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ ربما نحتاج إليه لإدخال شخص ما إلى هنا .

توقَّف (أكرم) عن العمل ، والتفت إليه ، يسأله فى دهشة :

ـ شخص ما ؟! .. شخص مثل من .

ازدرد الملاَّح لعابه ، وهو يجيب :

ـ لقد عاد ... الضابط (نور) عاد إلى هنا .

ومرة أخرى ، سرت فى جسد (أكرم) قشعريرة باردة ..

قشعريرة أكثر برودة من الثلج نفسه ..

★ ★ ★

« إذن فقد عاد .. » .

نطقها (أكرم) فى دهشة حقيقية ، وهو يتطلَّع إلى جسد (نور) عبر نافذة حجرة القيادة ، فهتفت (سلوى) فى انفعال :

ـ وهو حى أيضًا .

التفت إليها (أكرم) فى دهشة ، قائلًا :

ـ حى ؟! .. وكيف يمكنكم الجزم بهذا ؟!

أشارت (مشيرة) إلى وجه (نور) ، قائلة فى حماس :

ـ منذ قليل ، كان جفناه يرتجفان .. لقد رأيتهما بنفسى .. كانت مفاجأة حقيقية لنا جميعًا ، فبها تيقَّنا

من أن (نور) مازال على قيد الحياة .. الأموات لا ترتجف أجفانهم .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يلتفت مرة أخرى إلى (نور) ، مغمغمًا :

- حى ويحلم أيضًا(*) .

قالت (نشوى) بسرعة :

- ولكنه مازال خارج المكوك .. لابد أن نجد وسيلة لاستعادته ، قبل أن نفقده ثانية .

ازداد انعقاد حاجبى (أكرم) ، وهو يغمغم :

- بالتأكيد .

ثم التفت إلى أحد الملاحين ، يسأله :

- أمازالت لدينا أزياء فضائية ؟

أجابه الملاح متوترًا :

- نعم ، ولكن بدون أسطوانات أكسجين .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، وصمت بضع لحظات ، ثم قال فى حزم :

(*) تؤكد الدراسات التى أجريت على النائمين أن الجفنين يرتجفان ، عندما يدخل النائم مرحلة الأحلام .

- فليكن .. سأستخدم الزى بدون الأكسجين .

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، وقال الملاّح :

- هذا مستحيل يا سيِّدى .. كلنا نعلم أنه لا يوجد أى هواء فى الفضاء الخارجى ، و ..

قاطعه (أكرم) ، وهو يسأل فى حزم :

- هل أسطوانات الأكسجين حتمية ، للحصول على درجات الحرارة المناسبة ، والضغط المعتدل داخل الزى الفضائى ؟

أجابه الملاّح على الفور :

- كلاّ بالطبع .. الزى الفضائى مزوَّد بأجهزة أخرى ، لمعادلة الضغط والحرارة ، ولكن كيف يمكنك أن تسبح فى الفضاء بدون أكسجين ؟!

قال (أكرم) :

- تمامًا مثلما أغوص فى أعماق البحر ، بدون أسطوانة أكسجين .. إننى ألتقط نفسًا عميقًا ، وأحبسه فى صدرى ، ثم أغوص ، و ...

قاطعه الملاّح فى توتر :

- هذا لا يصلح فى الفضاء .

قال (أكرم) فى سرعة :

- ولمَ لا ؟! .. الأمر فى الحالتين يعتمد على قدرتك على حبس أنفاسك لفترة طويلة ، وأنا أتدرَّب على هذا الأمر طوال الوقت ، ويمكننى أن أكتم أنفاسى لدقيقة كاملة .

هتف الملاَّح :

- ومن أدراك أن العملية لن تستغرق أكثر من هذا ؟

عقد (أكرم) حاجبيه ، وهو يجيب :

- (نور) صديقى وزميلى ، ولن أتردَّد عن القيام بالمخاطرة ، من أجل استعادته .

قالت (مشيرة) فى توتر :

- ولكنك تخاطر بحياتكما معًا ، فلو فشلت فى إحضاره ، خلال تلك الدقيقة ، سيضيع كلاكما فى الفضاء .

التفت إليها ، قائلا فى صرامة :

- لا بأس .. الهمجيون أمثالى لا يقلقهم هذا .

ضايقها قوله ، وما يلمح إليه ، فأشاحت بوجهها فى حنق ، وإن لم تستطع منع قلبها من الخفقان فى قوة من أجله ، فى حين قالت (سلوى) :

- ربما كانت هناك وسيلة لإضافة المزيد من الوقت .

سألها (أكرم) فى اهتمام :

- وكيف هذا ؟!

أجابته فى جدية :

- يمكننا أن نملأ كيسًا من البلاستيك بالهواء ، من داخل المكوك ، ثم نوصله بفتحة أنبوبة خزان الهواء غير الموجود ، بحيث يمنحك كمية إضافية من الهواء ، بعد أن تفقد رنتاك كل مخزونهما منه .

قال فى حماس :

- فكرة رائعة .

اغرورقت عينا (نشوى) بالدمع ، وهى تغمغم :

- هل ستفعل كل هذا من أجل أبى ؟

صمت لحظة ، ثم أجابها فى حزم :

- إننى أفعل كل هذا من أجلنا جميعًا .

سالت دموعها على وجنتيها ، وهى تتمتم :

- كيف يمكننا أن نشكرك ؟!

أجاب فى صرامة :

- ومن طلب شكرًا ؟!

ثم التفت إلى الملاّح ، قائلا :

- هيا يا رجل .. دعنا نحضر الزى الفضائى ، والكيس ، و ...

قاطعه الملاح فى عصبية :

- يسعدنى أنكم تتعاملون مع الأمر بهذه البساطة أيها السادة ، فهذا يعيد إلينا روح تفاؤل نفتقدها حقًا ، ولكن هل أزعجكم بحق ، لو أخبرتكم أن خطتكم العظيمة هذه أغفلت نقطة بالغة الأهمية .

التفتوا إليه جميعًا متسائلين ، فانعقد حاجباه فى حنق ، وهو يضيف :

- أن الوسيلة الوحيدة للخروج من المكوك ، هى عبر حجرة معادلة الضغط فى القاع .

وازداد انعقاد حاجبيه ، مع استطرادته :

- حيث بقى الوحش .. الوحش المفترس .

وللأسف ، كان اعتراضه منطقيًا ..

ومخيفًا ..

للغاية ..

* * *

٨ - الخروج إلى الخطر ..

أطلق الدكتور (ناظم) زفرة حارة ، من أعمق أعماق صدره ، وهو يواجه القائد الأعلى ، قائلا :

- أخيرًا انتهينا من إعداد كل شىء ، وأصبحنا على استعداد لإرسال الصواريخ الدافعة ، وجهاز توجيهها ، وأسطوانات الأكسجين إلى المكوك ، ومازالوا لا يستقبلون أو يستجيبون لرسائلنا هناك ، وينطلقون مباشرة نحو المريخ ، حتى أن الخبراء يقدرون أنهم سيصلون إليه بعد ساعة وربع الساعة ، وسيقعون تحت تأثير جاذبيته بعد ساعة واحدة ، لن يعود بوسعهم التراجع بعدها .

تنهّد القائد الأعلى بدوره ، قبل أن يقول :

- وسنضطر لنسفهم .

قلب الدكتور (ناظم) كفيه ، قائلا :

- ما باليد حيلة .

مطّ القائد الأعلى شفتيه فى أسف ، وهو يؤمن على قوله :

- نعم .. ما باليد حيلة .

ران عليهما الصمت لدقيقة كاملة أو يزيد ، قبل أن يقول الدكتور (ناظم) :

- حسن .. هل نبدأ الإرسال ؟

صمت القائد الأعلى لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

- نعم .. على بركة الله .

ثم اعتدل فى مقعده ، وانعقد حاجباه ، وهو يضيف :

- ولندع الله (سبحانه وتعالى) أن يكون هناك من يمكنه الاستجابة إلى ما نفعله ، وإلا فسنضطر آسفين إلى إنهاء العملية ، و ...

وتنهَّد مرة أخرى ، قبل أن يستطرد :

- ونسف المكوك بلا تردُّد .

★ ★ ★

دار (أكرم) كالليث الحبيس ، فى حجرة القيادة ، وهو يلقى نظرة ، كل لحظة وأخرى ، على (نور) ، الذى ظلّ ملتصقًا بجدار المكوك ، فى نفس الموضع ، و (سلوى) تبكى فى مرارة ، قائلة :

- لا يمكننا السكوت على هذا الوضع .. هناك حلّ حتمًا .

دار (أكرم) كالليث الحبيس ، فى حجرة القيادة ، وهو يلقى نظرة ، كل لحظة وأخرى ، على (نور) ، الذى ظلّ ملتصقًا بجدار المكوك

التفت إليها (أكرم) ، وقال فى حزم :

ـ بالتأكيد .

ثم واجه الملاّحين ، مستطردًا :

ـ اسمعانى جيدًا .. لم يعد هناك غيرنا هنا من الرجال .. أنا وأنتما .. والموقف كما تريان ، يحتم علينا اتخاذ إجراء ما لإنقاذ (نور) ، وليست لدينا وسيلة لذلك ، سوى العودة إلى القاع .

قال أحدهما فى حدة :

ـ ولماذا يتحتم علينا إنقاذه ؟! .. إنه مجرَّد شخص مثلنا ، ولست أجد أى مبرِّر للتضحية بحياتى ، من أجل إنقاذ شخص عادى مثلى .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يقول :

ـ (نور) ليس شخصًا عاديًا أبدًا يا رجل .. حاول أن تراجع موقفنا ، وستجد أنه ليس لدينا جميعًا أى أمل للنجاة بالفعل .. ذلك الوحش لايزال حيًا داخل المكوك ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ما الذى يمكن أن يفعله فى المرحلة القادمة ، ونحن نتجه مباشرة إلى المريخ ، دون أن نملك وسيلة لتفادى هذا ، وكل قوانين

المنطق والعقل تشير إلى أن ذلك الوحش يعيدنا إلى هناك عمدًا ، ليلقى بنا ثانية بين براثن أولئك المخلوقات ، التى التهمت خير شباب الوطن من قبل ، ولو أن لدينا أمل واحد فى النجاة ، بعد أملنا فى الله (عزَّ وجلَّ) ، فهو يتمثَّل فى هذا الرجل ، الذى تَرفض خوض مخاطرة محدودة لإنقاذه .

هتف الرجل مستنكرًا :

ـ مخاطرة محدودة ؟! .. أتسمى العودة إلى القِاع ، ومواجهة ذلك المخلوق البشع مخاطرة محدودة ؟! .. إننى أعتبره خطوة انتحارية يا رجل ، ولست أجد فى نفسى مبرِّرًا واحدًا للقيام بها .

صاحت (مشيرة) فيه :

ـ أنت جبان .

صاح الرجل بدوره :

ـ وأنتم متهورون .. حمقى ..

انعقد حاجبا زميله ، وهو يواجهه ، قائلاً فى صرامة :

ـ كفى يا رجل .. إنك تسىء إلينا جميعًا بتصرفك هذا .

هتف به الرجل :

ـ ساعدهم أنت لو أردت .. ألق نفسك فى التهلكة من أجلهم ، لو أن هذا يسعدك ، ولكن لا تطالبنى بإلقاء نفسى فى النيران خلفك .. ألا تخشى الموت يا رجل ؟!

شدّ زميله قامته ، وهو يقول فى حزم :

ـ الموت آت لا ريب ، ومادام لا مفرّ منه ، فلتواجهه كرجل .

ثم التفت إلى (أكرم) ، مضيفًا :

ـ هيا بنا يا سيِّد (أكرم) .. سنقتحم القاع معًا .

قفز الملاّح الآخر من مقعده ، ولوّح بسبّابته فى وجهيهما ، هاتفًا فى حدة :

ـ فلتعلما أننى سأغلق باب الحجرة المؤدية إلى المدخل خلفكما بمنتهى الإحكام .. لن أسمح لكما بإعادة ذلك الوحش إلى المكوك ، إذا ما عجزتما عن التصدّى له .

احتقن وجه زميله ، وهو يقول له فى غضب :

ـ أيها الحقير .. لقد تجاوزت حدودك هذه المرة ، و ....

قاطعه (أكرم) :

ـ بل من الأفضل أن يفعل هذا .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، فأشار إلى النساء الثلاث ، مستطردًا :

ـ هذا إجراء مناسب لحماية النساء .

ثم رمق الملاّح الجبان بنظرة ازدراء ، وهو يضيف :

ـ والأطفال .

خفض الملاّح عينيه ، والعرق البارد يغمر وجهه ، فى حين قال (أكرم) لزميله فى حسم :

ـ هيا بنا .. دعنا لا نضع دقيقة واحدة .

أسرع الاثنان إلى الحجرة التى تحوى أزياء الفضاء ، وارتدى (أكرم) الزى الفضائى ، وهو يقول للملاّح :

ـ لست أطلب منك إلقاء نفسك فى التهلكة يا رجل .. مهمتك ستنحصر فى محاولة شغل ذلك الوغد ، واستدراجه إلى نقطة بعيدة ، حتى يمكننى عبور حجرة معادلة الضغط ، والخروج لإنقاذ (نور) .

سأله الملاح فى جدية :

ـ وماذا لو هزمنى الوحش ؟ .. كيف سيمكنك العودة ؟

رفع (أكرم) عينيه إليه ، وهو يمسك خوذته ، وقال فى دهشة :

ـ أهذا كل ما يقلقك ؟

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ بالطبع .. لماذا نفعل كل هذا إذن ، لو لم تنجح فى إعادة الضابط (نور) ؟!

وضع (أكرم) يده على كتفه ، قائلا فى تأثر :

ـ أأنت دائمًا هكذا ؟!

صمت الملاّح لحظة ، قبل أن يجيب فى خفوت :

ـ كلاّ .. لقد كنت فى البداية شديد الذعر والفزع مثل الآخرين ، ولكننى رأيتكم تواجهون الأمر فى بسالة نادرة ، وشجاعة تحسدون عليها ، مما ملأ نفسى بالخجل ، وجعلنى أشعر أننى شخص تافه ، عديم القيمة ، لا يساوى حتى ثمن الزى الذى أرتديه ، فأقسمت ألا أسمح للخوف بالسيطرة علىّ بعد هذا قط .. والعجيب أننى لم أكد أتخذ قرارى بهذا ، حتى فارقنى الخوف ، وزايلنى كل شعور بالتوتر والذعر ، ووجدت نفسى قويًا متماسكًا ، أستطيع مواجهة مخاوف الدنيا كلها ، والتغلب عليها ،

كما لو أننى ضغطت زرًا سحريًا فى أعماقى ، حوّلنى بغتة إلى شخص آخر تمامًا .

ابتسم (أكرم) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ ربما يدهشك أن أخبرك أن قصتك لا تختلف كثيرًا عن قصتى ، فقد كنت شخصًا بسيطًا هادئًا ، حتى وقع الاحتلال(*) ، وواجهت مخاطر الدنيا كلها ، ثم أتت مرحلة الهمجية(**) ، التى تلت ذلك ، وصار على المرء أن يقاتل طوال الوقت ، فقط ليظلّ على قيد الحياة .. ولقد خرجت من المرحلتين بشخصية تختلف عن شخصيتى الأولى ، تمام الاختلاف ، ظلت تلازمنى حتى يومنا هذا .

أومأ الملاّح برأسه متفهمًا ، وهو يغمغم :

ـ أنت شخص جدير بالاحترام والإعجاب يا سيد (أكرم) .

اتسعت ابتسامة (أكرم) ، وتسلل إليها شىء من المرح وهو يقول :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

(**) راجع قصة (رمز القوة) .. المغامرة رقم (٨١) .

- ليتك تخبر زوجتى بهذا .

قالها ، وربَّت على كتف الملاَّح ، مشيرًا له ببدء التحرُّك ، فتبعه الملاَّح فى صمت ، حتى الحجرة المؤدية إلى مدخل القاع ، وهناك استقبلهما زميله ، وهو يقول فى عصبية :

- أنا جاد فيما قلته .

مطَّ (أكرم) شفتيه فى ازدراء ، دون أن يجيبه بحرف واحد ، فى حين قال له الملاَّح :

- اذهب إلى الجحيم .

أجابه زميله فى عصبية :

- لا أحد يدرى من منا سيذهب إلى الجحيم .

تجاهله الاثنان تمامًا ، ودلفا إلى الحجرة ، وقبل أن يغلق الملاَّح الثانى بابها المعدنى خلفهما ، سمع (أكرم) يهتف :

- اللعنة !

انتفض الرجل فى عنف ، وصاح مذعورًا :

- ماذا حدث ؟! .. هل هرب ؟

تجاهله (أكرم) تمامًا ، وهو يسأل الملاَّح الأوَّل فى توتر :

- أين ذهبت اليد المقطوعة ؟!

تلفَّت الملاَّح الأوَّل حوله فى دهشة عصبية ، فى حين هتف الثانى :

- أيَّة يد ؟! .. أية يد مقطوعة ؟!

تجاهلاه للمرة الثانية ، و(أكرم) يقول :

- لقد اختفت تمامًا .. لا يمكن أن تكون قد ذهبت وحدها .

سأل الملاَّح الأوَّل فى قلق :

- هل تعتقد أن ذلك الوحش قد وجد وسيلة للخروج من القاع ، واستعادة يده المقطوعة ؟!

صرخ الملاح الثانى فى ذعر هائل :

- إذن فهى يده .. يد ذلك الوحش ؟! .. رباه ! .. هل تسببتما فى قطع يده ؟! .. سينتقم منا جميعًا .. سينتقم منا ، و ...

اندفع نحوه (أكرم) فى غضب ، وجذبه من سترته ، وألقاه أرضًا فى قسوة ، وهو يهتف :

- اصمت يا رجل .. جبنك الشديد هذا يثير أعصابى .

سقط الرجل ، وتدحرج أرضًا فى عنف ، وهو يصرخ :

- أنتما المسئولان عما سيحدث .. أنتما المسئولان .

غمغم زميله فى احتقار :

- يا لك من وغد حقير !

أشار (أكرم) إلى الباب المغلق ، وهو يتجاهل أمر الملاح الثانى ، قائلا للأوّل :

- لا توجد وسيلة للخروج .. الباب مازال مغلقا كما ترى ، وحجمه الجديد لن يسمح له بالمرور عبر فتحات التهوية ، كما كان يفعل من قبل .

عاد الملاح الأوّل يتلفت حوله ، مغمغما فى توتر :

- لا يمكن أن تختفى اليد وحدها ، إلا إذا ..

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو ينطق الكلمة الأخيرة ، فالتفت إليه (أكرم) ، يسأله فى قلق :

- إلا إذا ماذا ؟!

تردّد الرجل لحظة ، قبل أن يجيب :

- فى أثناء دراستى بالمرحلة الثانوية ، قرأت أنه فى بعض أنواع الزواحف ، إذا ما قطعت جزءا من جسدها ، فإنه يمتلك القدرة على النمو ، حتىّ يتحوّل إلى كائن كامل(*) .

(*) حقيقة ..

هتف (أكرم) فى دهشة :

- رباه ! .. أأنت واثق من هذا ؟

أجابه الرجل فى سرعة :

- لست أقول إن هذا ما حدث ، ولكننا درسنا شيئًا مثله .

تلفّت (أكرم) حوله بدوره ، قبل أن يقول فى حزم :

- فليكن .. أتعشم ألا يكون هذا ما حدث فعلاً ، فليس لدينا وقت أو جهد لمواجهة وحش آخر فى الوقت الحالى .. يكفينا ذلك الذى نواجهه بالفعل .

ثم أشار إلى الباب ، مستطردًا :

- هيا يا رجل .. سنبدأ عملنا على الفور .

قفز الملاّح الثانى فى مكانه ، وهو يهتف :

- سأغلق الباب .. سأغلقه الآن .

صاح به (أكرم) :

- أغلقه أيها الجبان الرعديد ، ولكن ثق بأن هذا لن يحميك أبدًا ، وأنك لن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، بلغت مسامعه صرخة ..

صرخة رعب تردّدت عبر ممرات المكوك ، حاملة صوتًا مألوفًا ..

صوت (نشوى) ..

★ ★ ★

كانت (سلوى) تشعر بقلق عارم ، منذ غادر (أكرم) والملاحان المكان ، فى طريقهما إلى قاع المكوك ، فغمغمت فى توتر :

ـ أتعتقدان أنه هناك احتمالاً لنجاحهم ؟

هزّت (مشيرة) رأسها ، وأجابت والدموع تلتمع فى عينيها :

ـ لست أدرى ، ولكننى أشعر بالخوف على (أكرم) .. بخوف لم أعان مثله فى حياتى كلها .

تمتمت (نشوى) ، وهى تحتضن ابنها :

ـ إنك تحبينه كثيرًا يا (مشيرة) .

أومأت (مشيرة) برأسها إيجابًا ، والدموع تسيل من عينيها إلى وجهها ، فربتت (سلوى) على كتفها ، قائلة :

ـ زوجك واحد من أشجع من قابلت من الرجال يا (مشيرة) .

أجابتها (مشيرة) منتحبة :

ـ وأفضلهم .

ارتفع حاجبا (سلوى) فى دهشة ، وهى تقول :

ـ لماذا تعاملينه بكل هذه الخشونة إذن ؟

انتحبت (مشيرة) أكثر ، قائلة :

ـ يبدو أننى لم أعد شخصية سوية .. إننى لم أعتد خوض كل هذه المغامرات بلا هوادة أو توقف .. لم تعد أعصابى تحتمل هذا ، ولم ..

شهقت (نشوى) بغتة ، وهتفت وهى تتراجع فى حدة :

ـ لا .. لا .

التفتت إليها (سلوى) و(مشيرة) وهتفتا :

ـ ماذا حدث ؟!

كانت ترتجف فى رعب ، وتضمّ إليها ابنها فى ذعر ، وهى تحدّق فى فتحة التهوية ، وقد أخرسها الخوف، فتطلّعت (سلوى) بدورها إلى الفتحة ، وسألتها ثانية :

ـ هل رأيت شيئًا ؟!

قالت (نشوى) بصوت مرتجف مبحوح :

ـ خُيِّل إلىَّ أن .. أن ..

لم تستطع إكمال عبارتها من شدة خوفها ، فسألتها (مشيرة) :

- خيّل إليك أن ماذا ؟!

ازدردت (نشوى) لعابها الجاف فى صعوبة ، قبل أن تجيب :

- أننى رأيت ذلك المخلوق يحدّق فى ابنى ، وكأنما يرغب فى العودة إلى جسده .

انعقد حاجبا (مشيرة) ، وتطلّعت (سلوى) مرة ثانية إلى فتحة التهوية فى توتر ، قبل أن تغمغم :

- لست أرى شيئًا .. ربما كنت واهمة يا (نشوى) ، فـ (أكرم) يقول إن ذلك الوحش صار كبيرًا . حتى إنه لا يستطيع المرور عبر فتحات التهوية .

بدا التوتر والقلق والشك على وجه (نشوى) ، وهى تبتعد بابنها عن فتحة التهوية ، متمتمة :

- ربما .. ربما .

تبادلت (سلوى) و(مشيرة) نظرة مشفقة ، وأحاطت الأخيرة كتفى (نشوى) بذراعها ، وهى تقول فى رفق :

إنه التوتر .. لقد مررت بمثل هذا من قبل ، عندما يملأ القلق والانفعال نفسك طوال الوقت ، وتتصوّرين أنك ترين أشياء عجيبة ، تبدو لك لوهلة وكأنها حقائق .

غمغمت (نشوى) ثانية ، وهى تبتعد أكثر وأكثر عن فتحة التهوية :

- ربما .. ربما .

استدارت (مشيرة) إلى النافذة ، وهى تقول :

- إنه التوتر .. (أكرم) أكّد أن ..

وبترت عبارتها بغتة ، وهى ترتدّ كالمصعوقة ، وجفّ حلقها بشدة ، وهى تكمل بصوت متحشرج مبحوح :

- الوحش ليس هنا حتمًا .

ثم أشارت إلى النافذة ، مستطردة بصوت مرتجف :

- لأنه هناك .

استدارت (سلوى) و(نشوى) بسرعة إلى النافذة ، ثم انطلقت من حلق الأخيرة صرخة رعب هائلة ، تردّد صداها فى ممرات المكوك كله ..

فأمام عيونهن تمامًا ، كان جسد (نور) لايزال ملتصقًا بالجدار الخارجى للمكوك ، وهناك جسم آخر يقترب منه فى بطء ..

جسم الوحش ..

* * *

لم تكد صرخة (نشوى) تخترق أذنى (أكرم) حتى وجد نفسه يعدو بأقصى سرعته ، عائدًا إلى حجرة القيادة ، وهو يهتف فى حرارة :

ـ رباه ! .. ماذا حدث ! .. ماذا حدث ؟

وتبعه الملاّح الأوّل دون تفكير ، فى حين انكمش الثانى فى موضعه مذعورًا ، وهو يغمغم مرتجفًا :

ـ لقد عاد .. أقسم إنه قد عاد .

كان هذا بالضبط هو ما دار بخلد (أكرم) والملاح ، عندما قفزا إلى حجرة القيادة ، ولكن (سلوى) استقبلتهما هاتفة فى ارتياع :

ـ (نور) يا (أكرم) .. أنقذ (نور) .

أدار (أكرم) عينيه فى سرعة إلى حيث تشير ، ثم ارتدّ كالمصعوق ..

كان الوحش يقترب أكثر وأكثر من (نور) ، وقد بدت خلقته أكثر بشاعة ، بعينه المفقودة ، والمادة الخضراء التى تغمر فكه السفلى كله ، ولكن عينى (أكرم) تركزتا على تلك اليد ، التى نمت فى موضع اليد المقطوعة ، وغمغم فى سخط :

ـ ذلك الوغد يستعيد قوته بسرعة حقًا .

هتفت (سلوى) ثانية ، وهى فى حالة أقرب إلى الانهيار :

ـ إنه سيقتل (نور) .. سيقتله بعد أن عاد إلينا يا (أكرم) .

التفت إليها (أكرم) فى حزم ، قائلا :

ـ على جثتى .

ثم انطلق يعدو مغادرًا الحجرة ، وهو يهتف بالملاّح :

ـ اتبعنى يا رجل .

انطلق الملاّح يعدو خلفه ، عبر ممرات المكوك ، وهو يقول فى انفعال :

ـ وماذا ستفعل ؟ .. لا يمكنك الخروج إلى الفضاء ، إلا عبر حجرة معادلة الضغط !

سأله (أكرم) فى توتر :

ـ توجد نافذة زجاجية كبيرة فى حجرة القبطان أيضًا .. أليس كذلك ؟

لم يفهم الملاّح ما يرمى إليه (أكرم) ، ولكنه أجابه بسرعة :

ـ بالتأكيد .

أجابه (أكرم) ، وهو ينحرف نحو حجرة القبطان :

- عظيم .. أغلق الحجرة خلفى فى إحكام إذن .

توقف الملاح أمام الحجرة ، قائلا فى دهشة :

- لماذا ؟ .. ما الذى تفكر فيه بالضبط ؟

مد (أكرم) يده ، يلتقط المسدس الليزرى من حزام الملاح ، ويدسه فى حزامه ، مجيبًا :

- أن أجد وسيلة للخروج من المكوك ، وإنقاذ (نور) .

ثم أشار إليه ، مستطردًا :

- أوقف عمل نظم أمن الطوارئ مؤقتًا ، حتى أعود مع (نور) .

اتسعت عينا الملاح ، وقد استوعب الأمر فجأة ، وهتف :

- رباه ! .. هل تنوى أن ..

جذب (أكرم) الباب ، وهو يقاطعه قائلاً :

- أغلق الباب بإحكام يا رجل .. ليست لدينا دقيقة واحدة نضيعها .

كان الملاح مبهورًا مبهوتًا بشدة ، لما ينوى أن يفعله (أكرم) ، إلا أنه أسرع يغلق باب الحجرة خلفه فى إحكام ، ويوقف عمل جهاز أمن الطوارىء ، وهو يغمغم :

- يا له من رجل !

أما (أكرم) ، فقد ملأ صدره بنفس عميق من الهواء ، وثبت كيس الهواء الإضافى فى موضع خزان الأكسجين ، ثم ارتدى خوذته ، وهو يتمتم :

- إننى أفعلها من أجلك يا (نور) .. من أجلك يا صديقى .

قالها وصوب مسدسه التقليدى إلى النافذة الكبيرة ، وتشبث بقائم معدنى فى باب الحجرة ، ثم أطلق النار ..

وتحت وطء الرصاصات ، انهار زجاج النافذة الكبيرة ، وانخفض الضغط بغتة داخل حجرة القبطان ، التى انطلقت منها فرقعة قوية ، ثم راحت كل محتوياتها تطير نحو النافذة المكسورة ، وتندفع منها إلى الفضاء الخارجى ، بفعل الانخفاض المباغت فى الضغط ..

وبكل قوته ، تشبث (أكرم) بذلك القائم المعدنى ، وارتفعت قدماه فى الهواء ، وهو ينجذب إلى الخارج فى عنف ، حتى تعادل الضغط أو كاد ، فأفلت القائم عمدًا ، وهو يتمتم لنفسه :

- الآن .

خرج جسده عبر النافذة ، فتشبث بحافتها لحظة ، ثم

دفع جسده إلى الأمام ، متجهًا نحو الموضع ، الذى التصق به (نور) فى الجدار الخارجى للمكوك ..
وانعقد حاجباه فى شدة ..
ففى نفس اللحظة ، التى لمح فيها (نور) ، كان الوحش قد وصل إليه بالفعل ، سابحًا فى الفضاء ، دون زى فضائى أو أسطوانة أكسجين ، وانحنى نحوه ، وكأنه يهمّ بخلع خوذته ..
وفى غضب ، انتزع (أكرم) المسدس الليزرى من حزامه ، وهو يهتف :
- لن تظفر به قط أيها الوغد ، وأنا على قيد الحياة .
وصوّب المسدس إلى الوحش ، الذى أمسك خوذة (نور) بالفعل ، و ..
وأطلق (أكرم) أشعة مسدسه ..
وأصاب رأس الوحش مباشرة ..
وعلى الرغم من الإصابة المباشرة ، لم ينزف الوحش قطرة واحدة من دمائه الخضراء ، وإنما التفت إلى (أكرم) بنظرة وحشية غاضبة ، ثم دفع جسده نحوه ..
وكانت مواجهة رهيبة ..
فى الفضاء الخارجى .

★ ★ ★

وصوّب المسدس إلى الوحش ، الذى أمسك خوذة (نور) بالفعل ..

٩ - المواجهـــة ..

وقف ذلك الكائن المريخى صامتًا ساكنًا ، يراقب شاشة بلّورية ، فى أعماق كهف فسيح ، على كوكبه ، ارتسم عليها مسار مكوك الفضاء الأرضى ، الذى يتجه إلى المريخ مباشرة ..

وكانت ملامحه تشف فى وضوح عن عدم الرضى ..

فقبل أن تغادر تلك المخلوقات الأرضية المريخ ، وعندما أدرك الوحش الحارس أن احتمالات فوزه تنخفض ، وعثر على تلك الأنثى ، وجنينها فى رحمها ، استخدم وسيلة متطوّرة ، لزرع بعض خلاياه فى ذلك الجنين ، قبل أن يلقى مصرعه نهائيًا ..

وبسرعة ، راحت تلك الخلايا تنمو وتنمو ، على حساب خلايا الجنين البشرى ، وراحت الدماء الخضراء تهيمن على دمائه ، وتسخّرها لحسابها ..

ولم يعد أمام كائنات المريخ سوى الانتظار ..

ففور مولد الطفل البشرى ، ستنشط خلايا الوحش ، وتهيمن عليه تمامًا ..

ثم تبدأ فى تنفيذ خطة الطوارىء ..

فى البداية ، ستستغل جسد الطفل نفسه ، لتؤدى دورها الخاص بالمرحلة الأولى ، من حيث السيطرة على المحركات ، وأجهزة التوجيه ، وتدمير كل وسائل التحكم ، وتجنيدها لحسابها تمامًا ..

ثم تنمو ، وتتخذ هيئتها المستقلة ..

هيئة الوحش الصغير ..

وكان المفترض ، طبقًا لما تم زرعه ، أن يسعى ذلك الوحش الصغير إلى إعادة المكوك إلى المريخ ، محافظًا على كل بشرى فيه ، حتى يصبح هؤلاء البشر وسيلة مثالية ، لإعادة النشاط والحيوية إلى الكائنات المريخية ، الغارقة فى سبات اصطناعى طويل ، منذ آلاف السنين ..

ولكن خللاً ما أصاب تلك الخلايا ..

خللاًجعلها تنفذ الجزء الأوّل من الخطة ، وتهمل الشق الثانى منها تمامًا ..

لقد تفجّرت فى الوحش الجديد كل نوازع الشر والوحشية والشراسة ، وسيطرت على مشاعره تمامًا ، وأزاحت إلى جوارها كل المشاعر الأخرى ، فانطلق

يقتل ، ويسفك الدماء ، ويزهق الأرواح ، ويضيع فرص استعادة النشاط للكائنات المريخية فى تهوّر ، ثم يرسل تقاريره معلنا هذا فى لا مبالاة عجيبة ! ..

والكائن المريخى يجهل تماما كيف حدث هذا !!

المفترض أن يمتلك الوحش الجديد كل صفات الوحش الأصلى .

وحتى ذاكرته ..

ولكن التقارير تشير إلى حدوث طفرة غير متوقعة ..

طفرة أكسبت الوحش الجديد قدرات عقلية خارقة ، لم يمتلكها الوحش الأصلى قط ..

ربما هى الخلايا البشرية ، التى امتزج بها ..

أو هى رحلته فى الرحم البشرى ..

أو فى المكوك الفضائى ..

المهم أنه لم يعد ينفذ الخطة بحذافيرها ..

ولو استمرّ على موقفه هذا ، سيفسد العملية كلها ..

ويضيع الأمل ..

آخر أمل للمريخيين ..

وحتى لا يحدث هذا ، لابد من اتخاذ إجراء حازم .. وحاسم ..

ومرة أخرى ، تابع الكائن المريخى مسار المكوك ، ثم ارتسمت على شفتيه الرفيعتين ابتسامة باهتة شاحبة ..

لم يعد هناك مبرّر قوى للقلق ..

عشرون دقيقة أرضية فقط ، ويدخل المكوك مجال الجاذبية المريخى ..

وعندئذ سيفقد الأرضيون فرصتهم الأخيرة .

وأملهم الأخير ..

وكل ما عليه هو أن يستعد ، و ..

وينتظر ..

★ ★ ★

استدار الوحش يواجه (أكرم) فى الفضاء بشراسة مخيفة ، وهو يفتح فكيه ويغلقهما ، وكأنه يطلق فحيحًا لم ينقله الفراغ ..

وتساءل (أكرم) ، وهو يصوّب إليه مسدسه الليزرى ثانية :

ألا يتنفس هذا الوغد قط ؟!

قالها ، وأطلق مسدسه الليزرى نحوه ، ورأى أشعته تخترق عنقه وصدره ، إلا أن هذا لم يوقفه ، وهو يندفع نحوه فى وحشية أكثر ، وأكثر ..

ولم يتراجع (أكرم) ..

كان يعلم أن أنفاسه محدودة ، بدون خزان أكسجين ، وأنه لا ينبغى أن يضيع ثانية واحدة ، وإلا عجز عن إنقاذ (نور) ..

وعن إنقاذ نفسه أيضًا ..

كل ما فعله هو أنه انحنى ، بأقصى سرعة تسمح بها السباحة فى الفضاء ، ودفع جسده تحت ذراع الوحش ، وتجاوزه بحركة ماهرة للغاية ، وهو يندفع نحو (نور) ..

وبكل غضب الدنيا ، التفت إليه الوحش ، وحرّك فكيه ثانية ، وكأنما يطلق فحيحًا آخر ، لم يسمعه (أكرم) أو يهتم به ، وهو يواصل اندفاعه نحو (نور) ، محافظًا بقدر الإمكان ، على تلك القبضة من الأكسجين فى رئتيه ..

ومن داخل المكوك ، وعبر النافذة الكبيرة لحجرة القيادة ، رأى الجميع (أكرم) يصل إلى (نور) ، والوحش يسعى خلفه ..

ودون أن يلقى بالاً للوحش ، أمسك (أكرم) (نور) من كتفيه ، وهتف :

ـ استيقظ .. استيقظ يا (نور) .

لم يجد استجابة واضحة ، و(مشيرة) تصرخ فى هلع :

ـ احترس يا (أكرم) .. الوحش خلفك .. احترس .

قرأ (أكرم) الصرخة على شفتيها ، عبر زجاج النافذة ، فانحنى فى سرعة ، وترك قبضة الوحش ومخالبه تعبر فوق رأسه ، ثم استدار إليه ، هاتفًا :

ـ الخطأ غير مسموح به هنا أيها الوغد .

كان وجه الوحش يواجه وجهه مباشرة ، فرفع المسدس الليزرى ، وأطلق أشعته ثانية ..

واخترقت الأشعة عنق الوحش ، وواصلت طريقها عبر جسده ، لتنفذ من مؤخرة رأسه ، حاملة معها قطعًا من جمجمته ..

وفى هذه المرة تراجع الوحش ..

تراجع والدماء الخضراء تنساب من جرحه فى نعومة مدهشة ، مع انعدام الجاذبية من حوله ، فى نفس اللحظة التى التفت فيها (أكرم) إلى (نور) ، وانعقد حاجباه وهو يتطلّع إلى الحبل الرفيع المتين ، الذى يثبته إلى جسم المكوك من الخارج ، وسأل نفسه فى حيرة :

- ترى من فعل هذا ؟

ولكنه لم يتوقف ليفكر فى الأمر ..

لم تكن لديه ثانية واحدة ليفعل ..

لقد ضاق صدره ، ونفد مخزون الهواء فى رئتيه ، وبدأ يشعر بآلام الاحتياج إلى الأكسجين ، فصوّب مسدسه الليزرى إلى الخيط ، وأطلقه ، فانفصل جسد (نور) عن جدار المكوك الخارجى ، وتشبّث به (أكرم) فى قوة ، وهو يدفع جسده عائدًا إلى النافذة المحطّمة فى حجرة القبطان ..

وفجأة ، وجد الوحش أمامه مباشرة ..

كان مسار خيط الأشعة ، الذى اخترق رأسه ، يكفى لقتله حتمًا .

لو أن له مخًا ..

ولكن هذا لم يحدث ..

كل ما حدث هو أنه عاد أكثر غضبًا وشراسة ووحشية ، وهو ينقض على الرجلين ، ومخالبه تندفع لتمزّق الزى الفضائى لأحدهما ..

وبرد فعل بالغ السرعة ، تراجع (أكرم) ، متفاديًا

المخالب الحادة ، وهو يعلم أن ثقبًا واحدًا فى زيه الفضائى ، يكفى لينخفض الضغط من حوله بغتة ، فتنتفخ شرايينه ، وتجحظ عيناه ، ثم ينفجر جسده كله دفعة واحدة ..

وفى المكوك ، شهقت (نشوى) ، صارخة :

- رباه ! .. ألا يموت ذلك الوحش قط ؟!

هتفت بها (سلوى) ، فى انفعال شديد :

- تضرّعى لله (سبحانه وتعالى) أن ينقذ أباك يا (نشوى) .. الموقف خطير يا بنيتى .. خطير للغاية .

أما (مشيرة) ، فقد بكت فى حرارة ، وهى تضم كفيها أمام وجهها ، قائلة فى ارتياع :

- ساعد (أكرم) يا إلهى ! .. ساعده ولن أسىء إليه فى حياتى بعدئذ قط .

قالتها وعيناها تراقبان زوجها ، الذى انتزع مسدسه التقليدى من حزامه ، وهو يغمغم :

- هل تريد أن تقتلنا أيها الوغد ؟! .. فليكن .. خذ هذا هدية منى .

وجذب إبرة مسدسه التقليدى ، ثم دفعه نحو الوحش ،

وغاص بمقبضه فى تلك القشور الخضراء السميكة ، التى تغطى جلده ، ثم صوّب إليه مسدسه الليزرى ، هاتفًا :

ـ واذكر أننى فعلت بك هذا .

وأطلق أشعة مسدسه الليزرى على إبرة المسدس التقليدى ..

ومع الحرارة المباغتة ، ارتدّت إبرة المسدس ..

وضربت غطاء الاحتكاك الخلفى ، لأوّل رصاصة فى الماسورة ..

فانطلقت الرصاصة ..

انطلقت إلى الأمام ، نحو الفضاء الشاسع اللانهائى ، فى نفس اللحظة التى حاول فيها الوحش غرس مخالبه فى زى (أكرم) الفضائى ، وأطلق فيها هذا الأخير مسدسه الليزرى على رأسه مباشرة ..

ومع انطلاق الرصاصة ، وكمبدأ فيزيائى طبيعى ، نشأ رد فعل مساو لانطلاقها فى القوة ، ومضاد له فى الاتجاه(*) ، فاندفع جسد الوحش إلى الخلف فى عنف ، وراح يبتعد ويبتعد ، ويغوص فى أعماق الفضاء ..

(*) فى الفيزياء قانون أساسى ، يقول : لكل فعل رد فعل مساو له فى القوة ، مضاد له فى الاتجاه .

ويغوص ..

ويغوص ..

حتى اختفى تمامًا ..

وبكل السعادة والفرح ، والحماس فى أعماقها ، صرخت (مشيرة) :

ـ لقد فعلها .. (أكرم) فعلها ثانية .. لقد هزم الوحش .

شاركتها (سلوى) و(نشوى) فرحتها العارمة ، ولكن الملاّح الأوّل قال فى توتر بالغ :

ـ ولكنه لم يعد إلى المكوك بعد .

التفتن إليه فى قلق ، فتابع فى عصبية :

ـ وبعد دقيقتين من الصراع ، لا ريب فى أنه قد استنفد كل ما يختزنه فى صدره من هواء .

شهقت (مشيرة) هذه المرة فى ارتياع ، وعادت تحدّق فى زوجها ، الذى بدا من الواضح أنه يعانى بالفعل نقص الهواء ..

وبشدة ..

لقد احتقن وجهه ، وهو يدفع جسد (نور) أمامه إلى النافذة المحطّمة لحجرة القبطان ، وبدا عليه الإجهاد الشديد ..

ولكنه قاوم ، وقاوم ..

وبكل قوته وإرادته ..

ولكن المسافة إلى النافذة كانت تقلّ فى بطء ..

والهواء ينفد فى سرعة ..

وللجسد البشرى طاقاته ..

أى جسد بشرى ..

وعلى الرغم من مقاومته العنيفة ، وإرادته الفولاذية ، لم يحتمل جسده نقص الهواء طويلاً ..

وسقط ..

كان على مسافة نصف المتر من النافذة ، عندما هتف فى حنق :

- اللعنة .

ثم أظلمت الدنيا كلها أمام عينيه ، و ..

وفقد وعيه ..

وأمام أعين الجميع ، تراخى جسده فى الفضاء ، وتهاوى مبتعدًا عن المكوك ، و(مشيرة) تطلق صرخة هائلة ، تموج باللوعة والمرارة ..

صرخة امرأة فقدت أحب الناس إليها ..

وإلى الأبد ..

★ ★ ★

فجأة ، استعاد (نور) وعيه ..

كان غارقًا فى حلم عجيب ، رأى فيه نفسه سابحًا فى مجرى الزمن ، وصوت (محمود) يهتف به :

- (نور) .. (نور) .. أنا هنا .

صاح به فى لهفة :

- (محمود) .. أين أنت ؟! .. ألم تمت ؟! .. ألم يبتلعك مجرى الزمن ، فى أثناء عودتنا من (أرغوران) ؟!(★) .

أجابه (محمود) :

- نهر الزمن لا يبلع أحدًا يا (نور) .. أنا هنا .. فى كل زمان ومكان .

سأله (نور) فى حيرة :

- ماذا تعنى بأنك فى كل زمان ومكان ؟!

(★) راجع قصة (الزمن - صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠)

أجابه الصوت ، وكأنه يأتى من فجّ عميق :

ـ لست أدرى يا (نور) .. إنها تجربة عجيبة ، لم أمرّ بها من قبل قط .. الطاقة الهائلة التى سرت فى جسدى ، وأنا أسبح فى نهر الزمن ، حوّلتنى إلى شىء لا أدرى كنهه بالضبط ، ولكننى أصبحت أمتلك القدرة على التواجد فى أى زمان أو مكان ، فقط عندما أرغب فى هذا ..

سأله (نور) فى حيرة أشدّ :

ـ وماذا عن (س ـ ١٨)(*) ؟! .. ألم يعثر عليك ؟!

أجابه صوت (محمود) ، وهو يبتعد ويبتعد :

ـ بلى .. لقد فعل .. تتبّع خيط الطاقة ، وعثر علىّ ، ولكنه لا يستطيع التعامل مع الحالة التى أصبحت عليها ، ومازال يصرّ على مرافقتى طوال الوقت .

هتف (نور) :

ـ لماذا يبتعد صوتك يا (محمود) ؟ .. إلى أين تذهب ؟

أجابه الصوت ، وقد بدا ضعيفًا خافتًا :

ـ أنا لا أبتعد يا (نور) .. أنت الذى يستيقظ ..

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم ٤٧ .

عد إلى وعيك يا (نور) .. (أكرم) بحاجة إليك .. عد إلى وعيك .

ومع آخر حروف الكلمة ، استعاد (نور) وعيه .. استعاده دفعة واحدة ، واعتدل بغتة ، على نحو انتفض له جسد (سلوى) ، وشهقت له (نشوى) ، وهتفت (مشيرة) :

ـ رباه ! .. لقد عدت حقًا يا (نور) .

ثم قفزت تلتصق بزجاج النافذة ، صارخة :

ـ أنقذ (أكرم) يا (نور) .. أنقذه بالله عليك .

لم يسمع (نور) صرختها ، إلا أنه كان يدرك جيدًا أن (أكرم) فى خطر ، بعد ذلك الحلم العجيب ، ومن النظرة الأولى له ، لاحظ احتقان وجهه ، وعدم وجود خزان وقود فى زيه الفضائى ، فهتف :

ـ رباه ! .. إنه يختنق !

قالها ، وهو يجذب (أكرم) نحو مدخل حجرة معادلة الضغط ، ولكن (سلوى) قفزت إلى جهاز الاتصال المحدود ، وضغطت زره ، هاتفة :

ـ لا يا (نور) .. اتجه إلى نافذة حجرة القبطان .. لن يمكننا التحكم فى حجرة معادلة الضغط الآن .

صاح (نور) :

ـ ولكن (أكرم) يموت .. إنه لا يتنفس ، ولا ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى وجه (أكرم) فى رعب شديد ..

لقد بدا من الواضح أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة ..

لو تبقَّت له أنفاس ..

وأن نجاته أصبحت تحتاج إلى ما هو أكبر من الوصول إلى النافذة المحطَّمة ، أو حجرة معادلة الضغط ..

أصبحت تحتاج إلى معجزة ..

★ ★ ★

انتفض (رمزى) بغتة ، وهو يستعيد وعيه فى حجرته ، وفتح عينيه مغمغمًا :

ـ (نشوى) .. ابنى .

تصاعدت الآلام فى صدره ، وهو يعتدل جالسًا ، وتمتم فى إرهاق :

ـ أتعشم أنهما بخير .. أتعشم هذا يا إلهى !

كان يعلم أنه ليس من الصواب أن يغادر فراش المرض ، فى هذه المرحلة ، إلا أنه لم يحتمل البقاء

طويلاً فى حالة القلق والخوف ، فغادر الفراش بالفعل ، والحجرة كلها أيضًا ، واستند إلى الجدار ، وهو يتجه إلى حجرة القيادة ، وقبل أن يبلغها ، سمع (مشيرة) تصرخ :

ـ لا .. لا تقل إن (أكرم) قد مات يا (نور) .. لا تقل هذا .

دفع (رمزى) جسده إلى الأمام ، وهو يهتف فى ضعف :

ـ (أكرم) ؟! .. (نور) ؟! .. ماذا حدث بالضبط ؟!

التفتت إليه (نشوى) فى دهشة ، هاتفة :

ـ رباه ! .. لماذا غادرت فراشك يا (رمزى) ؟

أما (مشيرة) ، فصاحت فى انهيار :

ـ أنقذه يا (رمزى) .. (أكرم) يموت بدون هواء ، فى الفضاء الخارجى ، و(نور) عاجز عن إنقاذه .

فغر (رمزى) فاه فى ذهول ، وهو يحدّق فى المشهد ، عبر النافذة الكبيرة ، ولم يستوعب سبب خروج (أكرم) إلى الفضاء ، ولا كيفية عودة (نور) إليهم ، إلا أنه ، لحسن الحظ ، طرح كل هذا جانبًا فى لحظة واحدة ، وصاح بـ (سلوى) :

ـ كم استغرق (أكرم) بدون هواء ؟

أجابته فى سرعة :

ـ دقيقة واحدة تقريبًا .

قال فى توتر ، وهو يدفع جسده المنهك نحو جهاز الاتصال المحدود :

ـ مازال هناك أمل يا (نور) ، مخه يمكن أن يحتمل نقص الهواء لدقيقة أخرى ، حسب آخر الأبحاث ، فى هذا المجال ، ابحث عن مصدر للهواء بأقصى سرعة .

هتف (نور) :

ـ لا يوجد أى مصدر للهواء حولنا .. لقد فكَّرت فى تبادل اسطوانتى معه ، ولكننى عاجز عن فصلها ، فهذا يحتاج إلى مساعد ، ليصلَ إليها خلف ظهرى .

قال (رمزى) فى توتر شديد :

ـ ربما .. إما أن نجد مصدرًا للهواء ، خلال ثوان معدودة ، أو ...

قاطعته (مشيرة) ، وهى تبكى فى مرارة ، هاتفة :

ـ لا .. لا تسمح له بأن يموت يا (رمزى) .. لا تسمح له أبدًا .

بدت المرارة فى صوت (نور) أيضًا ، وهو يقول فى أسى :

ـ رباه ! .. ساعدنا .. ساعدنا .

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى حدثت المعجزة ..

فجأة ، شق الفضاء شعاع أبيض برّاق ، انتهى عند (نور) و(أكرم) تمامًا ، ثم تكوَّنت بغتة كومة من الصواريخ الدافعة ، مع جهاز تحكُّم بسيط ، وعدد من أسطوانات الأكسجين ..

وفى ذهول منبهر ، هتفت (سلوى) :

ـ رباه ! .. لقد أرسلوا ما وعدوا به فى الأرض .

لم يكن (نور) يفهم ما تشير إليه ..

بل إنه حتى لم يسمعها ..

ولم يحاول هذا ..

لقد رأى أمامه أسطوانات الأكسجين ، فاختطف واحدة بأقصى سرعة ، وراح يثبتها فى الزى الفضائى لـ (أكرم) ، ثم ضغط زر تشغيلها ، وهو يهتف فى توتر :

ـ لقد حصل على مصدر للهواء ، ولكنه مازال فاقد الوعى .

قال (رمزى) :

ـ عد به إلى هنا بأقصى سرعة ، فسيحتاج حتمًا إلى تنفس صناعى .

عاد (نور) أدراجه إلى النافذة المحطَمة ، ودفع جسد (أكرم) عبرها ، ثم عبرها خلفه ، وقال وتوتره يتزايد :

ـ إننا داخل حجرة القبطان بالفعل .. كيف سيمكنكم معادلة الضغط داخلها ؟!

أسرع الملاّح الأوّل إلى الحجرة ، وهو يقول :

ـ أعتقد أن السيِّد (أكرم) كانت لديه خطة بهذا الشأن .

وضغط زر تشغيل جهاز أمن الطوارئ الموقف مؤقتًا ، فانسدل درع معدنى يغلق النافذة المحطَمة ، ويعزلها تمامًا عن الفضاء الخارجى ، فقال الملاّح :

ـ والآن علينا أن نفتح باب الحجرة تدريجيًا ، بحيث يتعادل الضغط والهواء داخلها ، مع مثيليهما فى باقى المكوك .

هتف الملاّح الثانى فى عصبية :

ـ إياك أن تفعل هذا بسرعة .. لست مستعدًا للموت بسبب خطأ غبى .

عاد (نور) أدراجه إلى النافذة المحطَّمة ، ودفع جسد (أكرم) عبرها ، ثم عبرها خلفه ..

صاحت به (مشيرة) :

ـ اصمت يا رجل ، وإلا قتلتك بنفسى .

وقالت (نشوى) فى غضب :

ـ وسيكون موتك أيضًا بسبب خطأ غبى ..

احتقن وجه الرجل فى شدة ، ولم ينبس ببنت شفة ، فى حين راح زميله يفتح باب الحجرة فى حذر رويدًا رويدًا ، وصوت أشبه بصفير حاد يتردد فى المكان ، ويخفت تدريجيًا ، حتى تلاشى تمامًا ، فقال (رمزى) فى لهفة وانفعال :

ـ الآن تعادل الضغط .. افتح الباب بسرعة بالله عليك يا رجل .. هيا .

فتح الرجل الباب عن آخره ، فى نفس اللحظة التى خلع فيها (نور) خوذته وخوذة (أكرم) ، فاندفعت (سلوى) نحوه ، وقفزت تتعلق بعنقه ، وتغمر وجهه بالقبلات ، هاتفة :

ـ حمدًا لله على عودتك سالمًا يا (نور) .. حمدًا لله يا زوجى الحبيب .

أما (نشوى) فقد تفجرت باكية فى حرارة ، وهى تضم ابنها إليها فى قوة ، فى حين هتفت (مشيرة) ودموع الهلع تغمر وجهها :

أنقذ (أكرم) يا (رمزى) .. أنقذه .

اندفع (رمزى) نحو (أكرم) ، بأقصى سرعة تسمح بها إصابته ، وانحنى يفحصه ، قبل أن يهتف :

ـ رباه ! .. حالته سيئة بالفعل .. أريد أسطوانة أكسجين مضغوط بأقصى سرعة .

انطلق الملاح الأول لإحضار أسطوانة الأكسجين ، من القسم الطبى ، فى حين سألت (مشيرة) متوترة :

ـ ولماذا لا تستخدم أسطوانة الأكسجين ، المتصلة بالزى الفضائى ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ إنها تصلح للتنفس العادى ، وليس لإنعاش مصاب بالاختناق ، فالأكسجين النقى مثبط لمركز التنفس ، لذا فنحن نضيف خمسة فى المائة من ثانى أكسيد الكربون ، لأسطوانات الأكسجين المستخدمة للإسعاف(*) .

(*) حقيقة طبية ، لأن مركز التنفس ينشط فى وجود ثانى أكسيد الكربون ، ليعمل على طرده ، وإحلال الأكسجين محله ، أما فى وجود الأكسجين النقى ، فهو يتوقف عن العمل ، لعدم وجود ضرورة لذلك .

فركت (مشيرة) كفيها فى توتر بالغ ، وهى تقول :

ـ ساعده يا إلهى ! .. ساعده .

عاد الملاَّح بسرعة ، حاملاً أسطوانة الأكسجين وقناعها المطاطى الصغير ، الذى ثبته (رمزى) على أنف (أكرم) وفمه ، وبدأ فى تشغيل الأسطوانة ، وهو يضغط صدر (أكرم) بكفيه ، لعمل التنفس الصناعى اللازم ، فى حين راحت (مشيرة) تواصل ، وهى تبكى فى مرارة :

ـ رباه ! .. أنت تعلم أننى لم أحب رجلاً ، فى حياتى كلها ، مثلما أحببته ، فلا تجعلنى أفقده .. أرجوك يا إلهى .. أرجوك .. أعده إلىَّ ولن أغضبه قط ما حييت .. أقسم ألا أفعل قط ، فى عمرى كله .

ران صمت رهيب على المكان ، و الجميع يتطلَّعون إلى (رمزى) فى اهتمام وترثر وترقب ، وهو يواصل عمله فى همة شديدة ، حتى أن الدماء عادت تبرز من جروح صدره ، وتتحوَّل إلى بقع حمراء على ضماداته ، والعرق يغمر وجهه ، وجسده ..

ثم ارتسم على وجهه تعبير مخيف ..

تعبير يجمع ما بين الأسى ، والأسف ، والحزن ، والمرارة ، والإحباط ، والألم ..

تعبير جعل عينا (مشيرة) تتسعان فى شدة ، دون أن تنطلق من حلقها صرخة واحدة ..

لقد تفجَّرت الصرخة كلها فى أعماقها ..

ودمَّرت كيانها كله .. وبقسوة .

★ ★ ★

١٠ ـ الخســارة ..

تفجَّر غضب عارم فى أعماق الوحش ، وهو يندفع مرغمًا فى الفضاء ، نتيجة لرد فعل الرصاصة ، التى انطلقت من مسدس أكرم التقليدى ، والذى يحمله بفعل القصور الذاتى فى خط مستقيم ، مبتعدًا عن المكوك ، فى غياب كل عوامل الاحتكاك والمقاومة ..

وفى ثورة ، انتزع الوحش المسدس من جسده ، وألقاه بعيدًا ، وهو يطلق فحيحًا تلو الآخر ، فى صمت يفرضه غياب الهواء ، فى الفضاء الخارجى ..

ثم راح يضرب الفراغ بذراعيه وقدميه ، فى محاولة لتقليل سرعته ، قبل أن يبتعد عن هدفه أكثر وأكثر ..

كانت خلاياه تمتلك خاصية مدهشة ، تتيح لها اختزان كميات كبيرة من الهواء ، والتكيف بسرعة مع تغيرات الضغط والحرارة ..

ولكن ليس إلى الأبد ..

لقد ابتعد كثيرًا عن المكوك ، واستنفد الأكثر من الهواء ، ولابد له من بذل قصارى جهده للعودة ، قبل أن يقضى نحبه فى الفضاء ..

ولقد نجحت محاولته للتوقف ..

الحركات التى اختزنتها ذاكرته الجديدة ، من أصله القديم ، ساعدته على التوقُّف ، قبل أن يبدأ مجموعة جديدة من الحركات ، أشبه بالسباحة فى الفراغ ، ليتخذ طريق العودة إلى المكوك ..

وكان يعلم أن هذا يحتاج إلى كثير من الوقت والجهد ..

ولكنه يستطيع القيام به ..

نعم .. يمكنه العودة إلى المكوك ..

والانتقام ..

وبلا رحمة ..

★ ★ ★

سبح (أكرم) طويلاً فى ذلك الفراغ المظلم ، وقد استرخى جسده تمامًا ، وصفت أفكاره ، وهدأت أعصابه على نحو لم يعهده فى نفسه قط ، حتى فى أيام صباه الأولى ..

لم يكن يدرى ماذا أصابه بالضبط ؟! ..

كل ما يذكره هو أنه كان يدفع (نور) نحو النافذة ، والهواء ينفد من رئتيه فى سرعة مخيفة ، و ...

وفجأة ، وجد نفسه هنا ..
وسط الفراغ والظلام ..
والهدوء ..
والعجيب أنه لم يشعر بأدنى قدر من القلق أو الخوف ..
فقط شعر بالاسترخاء ..
الاسترخاء التام ..
بل وبشىء من الاستمتاع ..
كان كمن تحرَّر من عبء ثقيل ، أرهق كاهله طويلاً ..
وفجأة ، انبعث ذلك الصوت ..
صوت مألوف عميق ، قال فى شىء من الحزم :
ـ لا تستسلم يا (أكرم) .. قاوم .. قاوم .
انتبه إلى طبيعة الصوت بغتة ، وهتف :
ـ (محمود) ؟! .. أهو أنت ؟!
تسلَّل الصوت إلى أذنيه مجيبًا :
ـ نعم .. يا (أكرم) .. إنه أنا .
هتف (أكرم) :
ـ آه .. الآن فقط عرفت أين أنا .. لقد مت .. أليس كذلك ؟!

أجابه صوت (محمود) فى هدوء :
ـ كلاَّ يا (أكرم) .. أنت لم تمت بعد .. كل ما حدث هو أن جسدك يفتقر إلى الأكسجين بشدة ، لذا فهو يقوم بإجراء وقائى ، ويخفض استهلاكه من الهواء إلى الحد الأدنى ، وتنطلق من مخك مادة يطلق عليها اسم (الإندورفين) ، وهى ذات تأثير مشابه للمورفين ، مهمتها تخدير الجسد ، وخفض شعوره بالألم إلى أقل حد ممكن ، ولهذا فقدت وعيك وأصبحت أقرب إلى الموت ، منك إلى الحياة ، وستظلّ على هذه الحالة لدقيقة أو أقل قليلاً ، ثم ينهار ذلك الإجراء الوقائى الدفاعى ، وتموت بالفعل .. ولكن حتى هذه اللحظة ، فأنت لم تمت بعد .
سأله (أكرم) فى دهشة :
ـ كيف يمكننى أن أتحدَّث معك إذن ؟! .. ألم تمت قبلى ؟
أجابه الصوت :
ـ كلاَّ يا (أكرم) .. أنا لم أمت ، وأنت أيضًا لم تمت .. إنها مسألة معقَّدة ، تحتاج إلى شرح طويل ، وليس أمامك الوقت الكافى لتستمع إليه ، ويكفى أن تعلم

أننى لم أعد بشريًا ، وإنما أصبحت قادرًا على الانتقال إلى أى مكان أو زمان بسهولة كبيرة .

سأله (أكرم) فى حيرة :

ـ كيف حدث هذا ؟! .. ولماذا ليس لدى الوقت للفهم ؟!

أجابه الصوت فى عمق :

ـ لأنه من الضرورى أن تستنفر كل إرادتك الآن ، لتجبر رئتيك على استنشاق نفس واحد من الهواء .. املأ رئتيك مرة واحدة ، وستعود للعمل ، قبل أن تنهار خلايا مخك من نقص الأكسجين ، ولا يعود من الممكن إصلاح تلفها قط .

بدأت لمسة من التوتر تتسلل إلى نفس (أكرم) ، وهو يقول :

ـ وهل من الصعب أن أستنشق نفسًا واحدًا من الهواء ؟

أجابه الصوت فى هدوء :

ـ فى حالتك هذه .. نعم .. إنه صعب وعسير ، ولكن إرادتك قادرة على تجاوز الصعب لو أردت .

راح (أكرم) يستنفر إرادته كلها ، ويضغط رئتيه فى قوة ، ويجاهد لاستنشاق الهواء ، والصوت يواصل تشجيعه ، قائلا :

ـ هيا يا (أكرم) .. ابذل قصارى جهدك .. جاهد يا (أكرم) .. جاهد .

بذل (أكرم) مزيدًا من الجهد ، وراح يجاهد .. ويجاهد ، وصوت (محمود) يبتعد ويبتعد ، وهو يتابع :

ـ ستنجح يا (أكرم) .. ستنجح بإذن الله .. هيا .. جاهد .. جاهد ..

فى نفس اللحظة ، كانت (مشيرة) منهارة تمامًا ، و(سلوى) تحاول تهدئتها ، فى حين انزوت (نشوى) فى ركن الحجرة ، وراحت تبكى فى مرارة ، ووقف (نور) و(رمزى) والملاَّح الأوَّل صامتين ، والملاَّح الثانى يهتف فى عصبية :

ـ لقد حذَّرته .. قلت له : إنه يغامر بحياته .. لقد حذَّرته .

صاح به زميله :

ـ اصمت يا رجل .. ألا يمكنك أن تشعر بطبيعة الموقف ؟ .. ألا يمكنك أن تقدِّر ذلك الحزن ، الذى ...

وفجأة ، بتر عبارته ، مع شهقة قوية ، انطلقت فى المكان ..

شهقة انتفضت لها أجساد الجميع ، وهم يحدقون فى صاحبها الممدَّد على الأرض ..

شهقة انطلقت من حلق (أكرم) ..

وبانفعال يكفى لغمر العالم كله ، صرخت (مشيرة) :

- (أكرم) .

وألقت نفسها فوق زوجها ، وهى تنفجر باكية فى حرارة ، ولكن (رمزى) انتزعها من مكانها فى قوة ، وهو يهتف :

- ابتعدى بالله عليك .. إنه بحاجة إلىَّ الآن .

ثم راح يواصل عملية التنفس الصناعى ، و(مشيرة) تبكى هاتفة :

- إنه لم يمت .. إنه حىّ .. حىّ .

بكت (نشوى) فى حرارة أكثر ، وهى تقول :

- ساعده يا إلهى ! .. ساعده يا إلهى !

وشاركتها (سلوى) بكاءها ، فى حين راح (نور) يتلو بعض آيات القرآن الكريم ، والملاَّحان يحدقان

فيما يفعله (رمزى) ، الذى غمرت الدماء ضمادات صدره ، وارتسم الألم والإرهاق فى ملامحه ، و ...

وسعل (أكرم) ..

ومع سعاله ، أطلق (رمزى) زفرة ارتياح ، وغمغم :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

وتراجع فى بطء ، فى حين سعل (أكرم) مرتين أخريين ، قبل أن يفتح عينيه ، ويتمتم فى تهالك :

- رباه ! .. لقد كان على حق .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وقد أدهشته العبارة ، فى حين لم ينتبه إليها الآخرون ، وهم يندفعون نحو (أكرم) ، ويهنئونه بالنجاة ، وخاصة زوجته (مشيرة) ، التى تعلَّقت بعنقه ، وغمرت وجهه بدموعها وقبلاتها ، وهى تقول :

- حمدًا لله على سلامتك .. حمدًا لله على عودتك إلىَّ يا أحب الناس إلى قلبى .. حمدًا لله .. حمدًا لله .

ارتسمت على شفتى (أكرم) ابتسامة منهكة ، وهو يغمغم فى تهالك :

- عجبًا ! .. كنت أظن أنك لا تحبين أصحاب الطبائع الهمجية .

أخفت وجهها فى صدره ، وهى تقول :

ـ لقد تغيرت .. لم أعد أحب سواهم .

ربتت عليها فى حنان ، قبل أن يدير عينيه إلى (نور) ، قائلاً :

ـ إذن فقد نجحت فى إنقاذك .. عظيم .. المخاطرة لم تذهب هباءً .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ يمكنك أن تقول : إن كلاً منا نجح فى إنقاذ الآخر .

رفعت (مشيرة) رأسها ، قائلة فى حماس يمتلئ بالزهو :

ـ ولكن (أكرم) هزم الوحش أيضًا ، وأبعده عنا إلى الأبد .

أدار (رمزى) عينيه إلى طفله ، مغمغمًا :

ـ عجبًا ! .. كيف لم تتغير حالة ابننا إذن ؟

ضمت (نشوى) الطفل إلى صدرها ، وهى تسأله فى جزع :

ـ هل كنت تتوقع أن يلقى مصرعه ؟!

هز رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ ليس بالضرورة ، ولكننى كنت أتوقع حدوث تغير ما حتمًا .. لقد ارتبط كيان وبقاء كل منهما بالآخر ، ولو لقى الوحش مصرعه ، ينبغى أن يحدث شىء ما لصغيرنا .

ألقت نظرة مذعورة على الصغير ، وهى تسأل :

ـ شىء مثل ماذا ؟!

هز رأسه فى حيرة وتردد ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى !! .. لم أدرس الحالة جيدًا .

اندفع الملاح الثانى يقول فى رعب :

ـ ربما لم يلق الوحش مصرعه بعد .

أجابه زميله فى حدة صارمة :

ـ ماذا تعنى ؟! .. لقد انطلق فى الفضاء الخارجى .

هتف الرجل فى عصبية :

ـ وماذا فى هذا ؟! .. ألم تروه جميعًا يسبح فى الفضاء ، دون أجهزة توجيه ، أو أسطوانات أكسجين ، أو زى فضائى ؟! .. من أدراكم أنه لن يسبح عائدًا إلينا ، فى أية لحظة ؟!

تبادل الجميع نظرة قلقة ، عندما بدا لهم هذا منطقيًا إلى حد كبير ، وقال الملاح الأول فى حزم :

أعتقد أن أفضل ما نفعله الآن هو أن نخرج لتثبيت صواريخ الدفع ، والاستعداد لتغيير مسار المكوك ، فبهذا

وحده يمكننا تفادى العودة المحتملة لذلك الوحش .

لم يكن (نور) قد عاصر ذلك الاتصال ، بين المكوك والأرض ، ولكن عقليته المرتبة جعلته يستوعب الموقف فى سرعة ، ويقول فى حزم :

- دعنا لا نضع الوقت إذن .. سأخرج على الفور لتثبيت الصواريخ .

نهض (أكرم) ، قائلاً :

- سأعاونك فى هذا .

هتفت (مشيرة) مذعورة :

- لا .. ليس ثانية .

التفت إليها (أكرم) قائلاً فى حزم :

- ولمَ لا ؟! .. لقد استعدت قوتى ، وأرتدى الزى الفضائى بالفعل ، وأحمل خزان أكسجين .

• همّت (مشيرة) بقول شىء ما ، لولا أن اندفع الملاّح الأول يسأل (نور) :

- بمناسبة خزان الأكسجين يا سيِّد (نور) .. كيف حصلت على هذا الخزان ، الذى تحمله خلف ظهرك ؟! .. إنه يختلف تمامًا عن كل ما رأيته من قبل !

استدار (نور) يتطلّع إلى الخزّان فى دهشة ، وكأنما لم ينتبه إلى وجوده من قبل ، ثم ألقى نظرة أكثر دهشة ،

على جهاز الدفع المعلّق بحزامه ، قبل أن يقول فى حيرة :

- لست أدرى .. آخر ما أذكره هو أننى أعانى نقص الأكسجين ، ثم راودنى ذلك الحلم ، و ...

قاطعه (أكرم) هاتفًا فى توتّر :

- الحلم !! .. أى حلم هذا ؟!

تردّد (نور) لحظة ، قبل أن يجيب :

- لست أرغب فى إرباككم ، فى مثل هذه الظروف ، خاصة وأن الأمر لا يعدو مجرّد حلم ، و ...

قاطعه (أكرم) فى انفعال :

- إنه (محمود) .. أليس كذلك ؟

هتفت (سلوى) فى حدة :

- (محمود) ؟! .. من تعنى ؟!

أجابها فى حماس :

- (محمود) .. زميلنا (محمود) .. لقد زارك فى حلمك ، وأرشدك إلى وسيلة النجاة ، مثلما فعل معى .. أليس كذلك ؟!

ارتسمت دهشة قوية على وجوه (رمزى) و(سلوى) و(نشوى) و(مشيرة) ، فى حين قال (نور) :

ـ رباه ! .. هل حدث هذا معك أيضًا ؟!

صاحت (مشيرة) :

ـ عمّ تتحدثان ؟! .. لقد رأينا (محمود) يلقى مصرعه ، فى نهر الزمن .

أجابها (نور) فى اضطراب :

ـ إنه مجرَّد حلم .

أشارت (سلوى) إلى جهازى الهواء والدفع ، قائلة فى انفعال :

ـ الحلم لن يزوِّدك بأجهزة النجاة .

انعقد حاجباه ، وهو يقول فى حزم :

ـ و(محمود) أيضًا لن يفعل .. ليس بإمكانه أن يفعل .

أمسك (أكرم) كتفيه فى قوة ، قائلاً :

ـ ألا تذكر كلماته ؟! .. ألم يخبرك بما أخبرنى به ؟ .. لقد تحوَّل إلى كيان غير مادّى ، قادر على اختراق الزمان والمكان .

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يغمغم :

ـ رباه ! .. أمن الممكن أن ..

قاطعه صوت (رمزى) ، وهو يقول فى حزم :

ـ إنه مجرَّد انعكاس نفسى .

التفت إليه الجميع متسائلين ، فتابع فى حسم أكثر :

ـ أنا نفسى رأيت هذا الحلم ، عندما وقعت فى غيبوبة ، و(أكرم) يخيط جروحى .. أنا أيضًا سمعت (محمود) يتحدث إلىّ ، ويروى لى شيئًا مشابهًا ، ولكن خبرتى كطبيب نفسى تجعلنى أستوعب هذا الموقف جيدًا .

وشدّ قامته ، محاولاً التغلُّب على آلامه ، وهو يستطرد :

ـ كلنا رأينا (محمود) يلقى مصرعه فى نهر الزمن ، ليمنحنا الأمل فى البقاء ، وفى العودة إلى عالمنا ، وكلنا تأثرنا بتضحيته العظيمة ، وحزنّا أشدّ الحزن لفقده ، وفى العقل الباطن لكل منا ترسّخ أمل ضخم فى ألا يكون قد لقى مصرعه بالفعل ، وعمّق (نور) هذا الأمل فى أعماقنا ، عندما أرسل (س ـ ١٨) خلفه ، ليبحث عنه ويعيده .. وهكذا أصبحنا نعتبر عودة (محمود) رمزًا للأمل ، وأصبح عقلنا الباطن يستعيد هذا الأمل ، كلما تأزّمت الأمور من حولنا ، وهذا ما حدث معى ، ومع (نور) و(أكرم) .. كلنا كنا فى موقف عصيب ، وكلنا

فقدنا وعينا ، وتركنا للعقل الباطن السيطرة الكاملة علينا ، فراح يملى ما يحلو له ، ويعيد إلينا ذكرى الأمل وحلاوته ، فى صورة (محمود) ، الذى يرشدنا إلى طريق النجاة .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ ولكنه تحدث إلىّ بالفعل ، وأخبرنى بأمور كنت أجهلها تمامًا .

قال (رمزى) :

وما أدراك أنها ليست مجرّد أمور خيالية ، بدت لك عندئذ حقيقية ؟

قال (أكرم) فى حدة :

ـ ربما ، ولكنها بدت لى منطقية .

هزّ (رمزى) رأسه ، قائلاً :

ـ هذا أمر طبيعى ، ففى كل أحلامنا ، قد نقوم بأعمال مستحيلة ، كأن نطير مثلاً ، أو نخترق الجدران ، ولكن كل هذا يبدو لنا فى أثناء الحلم منطقيًا وطبيعيًا ، على الرغم من مخالفته فعليًا لكل قواعد العقل والمنطق .

أكمل (أكرم) وكأنه لم يسمعه :

ـ لقد أخبرنى عن مادة يطلقها عقلى ، فى مثل ظروفى ، اسمها (الأندروفين) .

انعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، وهو يقول :

ـ مستحيل ! .. لا يمكن أن يكون قد أخبرك بهذا .

قال (نور) فى توتر :

ـ ولكن وجود (الأندورفينات) حقيقى يا (رمزى) .. إنها مواد يفرزها الجسم ، فى لحظات الألم أو العذاب ، لها تأثير مسكّن مخدّر ، مثل (المورفين) ، ومن هنا جاء اسمها ، الذى يعنى (المورفينات الداخلية)(*) .. لقد درست هذا فى الجامعة .

أجابه (رمزى) فى انفعال :

ـ ربما درسه (أكرم) أيضًا ، ولكنه لا يذكر هذا .

قال (أكرم) فى حسم :

ـ دراستى لم تتطرّق قطّ إلى هذا الجانب .

قال (رمزى) فى حدّة :

ـ لا تجعلوا الأمل الزائف يخدعكم .. الواقع أن ..

قاطعه الملاّح الأوّل ، وهو يقول فى حزم :

ـ معذرة أيها السادة .. لست أعرف (محمود) هذا ،

(*) حقيقة علمية .

ولا ماذا أصابه ، ولا حتى مدى ارتباطكم به ، أو أهمية عودته إليكم ، ولكن الذى أعرفه هو أننا نقترب أكثر وأكثر فى كل لحظة ، من كوكب المريخ ، وربما نفقد فرصتنا تمامًا فى الإفلات من جاذبيته ، لو لم نبدأ فى تثبيت الصواريخ الدافعة الآن .

أعادهم هذا القول إلى عالم الواقع ، فتبادلوا نظرة أخرى ، قبل أن يقول (أكرم) فى حزم :

- فليكن يا (رمزى) ، سنؤجل هذه المناقشة لما بعد .

ولكن هذا لم يعد منطقيًا ..

صحيح أن الجميع قد توقفوا عن مناقشة الأمر ، إلا أن الأذهان كلها لم تستطع طرح السؤال جانبًا لحظة واحدة ..

أمن الممكن أن يكون (محمود) حيًا فى هذه اللحظة ، على أية صورة من الصور ؟!

وهل يمكن أن يعود ؟! ..

هل ؟! ..

★ ★ ★

« تسع دقائق ، وندخل مجال جاذبية المريخ .. » .

التقط (نور) و(أكرم) هذا النداء ، من الملاّح الأوّل فى المكوك ، عبر أجهزة الاتصال المحدودة فى خوذتيهما ، وصوته يحمل نبرة قلق واضحة ، فرفع (أكرم) عينيه ، وهو يسبح فى الفضاء الخارجى ، وألقى نظرة على كوكب المريخ ، الذى بدا واضحًا ، فى حين أجاب (نور) ، وهو يثبّت آخر الصواريخ الدافعة إلى جسم المكوك :

- لقد انتهينا تقريبًا ، وسنعود إلى المكوك بعد أربع دقائق على الأكثر .

قال الملاّح فى توتر :

- ابذلا مزيدًا من الجهد ، لتعودا بعد ثلاث دقائق فحسب ، فسنحتاج إلى خمس دقائق كاملة ، لتغيير مسار المكوك ، بوساطة جهاز التوجيه البسيط هذا ، ولابد لنا من أن نحتاط بدقيقة إضافية ، فلو وقعنا فى مجال جاذبية المريخ ، لن يمكننا الفكاك منها قط ، إذ إن هذا يحتاج إلى صواريخ أكثر قوة .

أجابه (نور) :

- فليكن .. سنبذل قصارى جهدنا .

ثم قال محدثًا زوجته ، عبر موجة محدودة أخرى :

ـ ما موقف الإصلاحات الآن يا (سلوى) ؟

أتاه صوتها ، وهى تجيب :

ـ لقد توصلنا إلى العطب الرئيسى يا (نور) .. يبدو أن ذلك الشىء قد حوّل مسار الأسلاك ، بعد أن انتزعها من جزء من الجدار ، وأنا أتعاون مع (نشوى) لإصلاحها .

سألها فى اهتمام :

ـ وماذا عن (محمود) الصغير ؟

تنهّدت فى أسف ، قائلة :

ـ مازال جامدًا كالتمثال ، لا يبكى ، ولا يحرّك حتى عينيه .. (رمزى) يقوم بفحصه الآن ، وربما يتوصّل إلى شىء ما .

زفر (نور) بدوره ، قبل أن يقول :

ـ مسكينة ابنتنا (نشوى) .. القدر يعاندها دومًا ، فى كل خطوة من خطوات حياتها .

قالت (سلوى) فى أسى :

ـ لا أحد يملك تغيير قدره يا (نور) .

كان (أكرم) يعاونه فى تثبيت الصاروخ الأخير ، عندما قال :

ـ قل لى يا (نور) : لِمَ لا نؤجّل هذا الحديث لما بعد .. لقد انتهينا من عملنا ، وينبغى أن نعود إلى المكوك بأقصى سرعة ، حتى يتمكّن الملاّح من تغيير مساره ، والعودة بنا إلى الأرض ، فى الوقت المناسب .

غمغم (نور) مبتسمًا :

ـ أنت على حق .. هيا بنا .

وغيّر موجة الاتصال المحدودة ، وهو يتابع :

ـ إننا فى طريق العودة إلى المكوك .

أتاه صوت الملاّح الأوّل ، قائلاً :

ـ عظيم .. سأبدأ إجراءات تعديل المسار .

أنهى (نور) الاتصالات ، وراجع مواضع التثبيت ، قبل أن يسبح مع (أكرم) ، فى اتجاه مدخل حجرة معادلة الضغط ، وهو يقول :

ـ من حسن الحظ أنهم استعادوا حجرة معادلة الضغط ، فالخروج من نافذة حجرة القبطان يبدو لى عنيفًا للغاية .

ابتسم (أكرم) ، مغمغمًا :

ـ إنك لم تفعل ما فعلته .

قال (نور) فى امتنان :

ـ كانت بطولة منك أن تفعل .

قال (أكرم) متهكمًا :

ـ لست أدرى لماذا تبدو لى الآن أشبه بالحماقة .

أطلق (نور) ضحكة مرحة ، قبل أن يقول :

ـ هكذا يتحدث الأبطال دومًا .

قالها ، وهما يدوران حول جانب المكوك ، فى طريقهما إلى مدخل حجرة معادلة الضغط ، و ...

وفجأة ، برز أمامهما آخر شىء يتوقعان مواجهته ، فى تلك اللحظة ..

الوحش ..

لقد عاد ..

وبكل غضبه ومقته ..

وشراسته .

* * *

١١ ـ وأخيرًا ..

ارتفع حاجبا (نشوى) فى حنان غامر ، وهى تدلف إلى حجرة صغيرها ، وتتطلّع إليه بين يدى والده ، الذى راح يفحصه فى رفق ، وسألت فى صوت أقرب إلى الهمس ، وكأنما تخشى أن تفسد ذلك الصمت ، المخيّم على الحجرة :

ـ كيف حاله الآن ؟

رفع (رمزى) عينيه إليها فى بطء ، مجيبًا :

ـ مازال كما هو !

عقد الملاّح الثانى حاجبيه ، ومطّ شفتيه ، وهو يقول :

ـ إنكم لا تستمعون إلىّ .. كل هذا بلا فائدة .. إنكم تضيعون جهودكم هباءً .

التفتت إليه (نشوى) فى غضب ، قائلة :

ـ لا تقحم نفسك فى هذا الأمر يا رجل .. إنه ابننا ، وهذا شأننا وحدنا .

انتفض قائلاً فى حدّة :

ـ شأنكما وحدكما ؟! .. من قال هذا ؟! .. ألم يتسبّب

صغيركما هذا فى تدمير كل شىء ؟! .. أليس المسئول عن مصرع القبطان ، والطبيب ، وكل الآخرين ؟!

انعقد حاجبا (رمزى) ، وهو يعتدل فى غضب ، صائحا به :

- اخرج .

بدت الدهشة على وجه الملاّح ، وهو يقول فى استنكار :

- هل تطردنى ؟!

صاح به (رمزى) فى ثورة :

- اخرج من هنا قبل أن أقتلك .

نهض الرجل فى حدة ، ولوّح بذراعه ، قائلا ، وهو يندفع نحو الباب :

- فليكن .. سأخرج .. ولكن تذكّروا أن بقائى على قيد الحياة يعنى أننى كنت على حق ، وأن تلك الأفكار التى تبغضونها هى الواقع الـ ...

بتر عبارته على نحو مباغت . وأطلق صرخةً عنيفة مذعورة ، قبل أن يتراجع صائحًا فى رعب هائل :

- لا .. لا .. مستحيل ! .. لا يمكن أن تكون حقيقيًا .. لا يمكن .

ولم تكد صيحته تكتمل ، حتى انطلق فحيح مخيف ، جعل (رمزى) يرتجف فى ذعر ، و (نشوى) تصرخ فى ارتياع :

- لا .. ليس ثانية .

ومع آخر حروف كلماته ، انقضّ عليه الوحش .. نسخة طبق الأصل من الوحش الصغير السابق ، عبرت باب الحجرة بوثبة واحدة مخيفة ، وانقضّت على الملاّح فى شراسة رهيبة ، وغرست أنيابها ومخالبها كلها فى جسده ، فى آن واحد ..

وفى رعب وألم هائلين ، راح الملاّح يضرب الهواء والوحش الصغير الجديد بذراعيه ، وهو يتراجع داخل الحجرة ، و(نشوى) تصرخ وتصرخ ، فى حين التقط (رمزى) صغيرة ، وضمه إلى جسده فى قوة ، وكأنما يحميه من ذلك الهجوم الغادر المخيف ، وهو يحدّق فيما يحدث ذاهلاً ..

وكان الوحش الجديد أكثر عنفًا وشراسة من سابقه بالفعل ..

لقد غرس أنيابه حتى آخرها فى عنق الملاّح ، وانتزع

فى حين التقط (رمزى) صغيره ، وضمه إلى جسده فى قوة ،
وكأنما يحميه من ذلك الهجوم الغادر المخيف ..

وريده العنقى فى عنف ، فى نفس اللحظة التى مزّق فيها صدره بمخالبه ، وغاص فيه حتى انتزع قلبه من بين ضلوعه ، ومزّقه فى وحشية ، وهو يقضم حنجرة الرجل بلا رحمة ..

وفى ذهول ، هتف (رمزى) :

ـ مستحيل ! .. من أين أتى هذا أيضًا ؟!

تمتمت (نشوى) فى رعب هائل :

ـ اليد المقطوعة .

سألها (رمزى) فى دهشة مذعورة :

ـ أية يد ؟!

لم تجد الوقت الكافى لإجابته ، ولم تجد لديها حتى الرغبة فى هذا ، وهى تحدّق فى ذلك الوحش الصغير ، الذى نهض من فوق جثة الملاّح ، التى مزّقها تمزيقًا ، والدماء الحمراء تغمر وجهه ، والتفت إليهما فى شراسة ، مطلقًا فحيحًا رفيعًا ، تجمّدت له الدماء فى عروقهما ، وقالت (نشوى) :

ـ رباه ! .. إنه يسعى خلف صغيرنا يا (رمزى) .

أبرز الوحش الجديد أنيابه ، وهو يطلق فحيحًا آخر ،

فأزاح (رمزى) (نشوى) خلفه ، وناولها الصغير ، وهو يقول فى حزم :

- لن يظفر به ، وأنا على قيد الحياة .

ولم يكد ينطق عبارته ، حتى انقضّ الوحش ..

انقضّ فى شراسة مخيفة ، على (رمزى) مباشرة ، إلا أن هذا الأخير اختطف حاجز جهاز التغذية الخاص بالصغير ، وهوى به على الوحش صارخًا :

- لن تظفر به أبدًا .

أصابت الضربة الوحش ، وهو ينقضّ على (رمزى) ، فانطلق من حلقه فحيح قوىّ ، والضربة تطيح به بعيدًا ، وتضرب الجدار بجسده فى عنف ، قبل أن يسقط أرضًا ، ويطلق فحيحًا غاضبًا ، ثم ينقضّ ثانية ..

وفى الانقضاضة الثانية أيضًا ، هوى (رمزى) عليه بالحاجز بكل قوته ، إلا أنه تفادى الضربة فى مهارة ، وهو يطلق فحيحًا آخر ، ووثب يتجاوز الحاجز ، قبل أن يقفز متعلقًا بـ (رمزى) ، فصرخت (نشوى) :

- لا .. ليس هو .

سقط (رمزى) مع الوحش أرضًا ، وهو يقاومه فى عنف ، ولكن الوحش مال ليغرس أنيابه فى عنقه أيضًا ، و ...

وبقفزة واحدة ، اختطفت (نشوى) زجاجة من زجاجات الدواء ، وهوت بها على رأس الوحش ، صارخة :

- اتركه أيها الوغد .. اتركه .

تلقى الوحش الضربة ، ورفع رأسه إليها فى غضب ، فاستجمع (رمزى) قوته ، وهوى على فكه بلكمة قوية ، قائلاً :

- تُرى ما تأثير الضربات العادية عليك ؟

سقط الوحش الصغير أرضًا ، ثم وثب واقفًا على قدميه ، واندفع نحو (نشوى) ، التى تراجعت صائحة :

- لا .. لا .. ابتعد .

قفز (رمزى) محاولاً اعتراض الوحش ، فى نفس اللحظة التى اصطدمت فيها (نشوى) بمهد صغيرها ، ففقدت توازنها ، وسقطت على ظهرها أرضًا ، فأفلت الصغير من بين ذراعيها ، وانزلق أرضًا ..

وبنظرة حادة ، التفت الوحش إلى الصغير ، وانطلق من حلقه فحيح ظافر ، جعل (نشوى) تصرخ :

- لا .. لا .. اترك صغيرى .

ودفع (رمزى) جسده إلى الأمام ، ولكن الوحش وثب بكل قوته متجاوزًا إياه ، ومتجهًا نحو هدفه الأساسى مباشرة ..

نحو الصغير ..

★ ★ ★

كان ظهور الوحش الكبير ثانية مفاجأة حقيقية ، لكل من (نور) و(أكرم) ، وكادت انقضاضته المباغتة توقعهما فى فخ أنيابه ومخالبه بالفعل ، لولا أن طبيعتهما وخبرتهما زوّدتهما برد فعل تلقائى سريع ، مكّنهما من تفادى الانقضاض ، و(أكرم) ينتزع المسدس الليزرى من حزامه ، هاتفًا :

- رباه ! .. لقد عاد الوغد .

انتزع (نور) مسدسه الليزرى بدوره ، وأطلقه نحو الوحش ، وهو يقول فى حزم :

- حاصره يا (أكرم) .. لا تمنحه-فرصة لانقضاضة ثانية .

أطلق كلاهما أشعته نحو الوحش ، ورأيا الخيطين يخترقان جسده ، ولكنهما لا يمنعانه من الاندفاع نحوهما ثانية فى شراسة أكبر ..

لم يكونا يدركان أنه يقاتل من أجل حياته أيضًا ..

لقد انخفض مخزون الهواء فى خلاياه ، وشارف على النفاد ، وأمله الوحيد فى النجاة يتمثّل فى عودته إلى المكوك بأى ثمن ..

والواقع أن وجود (نور) و(أكرم) فاجأه ، بقدر ما باغتهما وجوده ..

وعليه أن يقاتل بكل قوته وشراسته ، ليزيحهما عن طريقه ، حتى يصل إلى حجرة معادلة الضغط ، ومنها إلى المكوك ..

ولهذا لم توقفه الأشعة ..

وفى المرة الثانية ، تراجع (نور) متفاديًا الانقضاضة ، فى حين هتف (أكرم) ، وهو يتراجع فى عصبية ، ويطلق أشعة مسدسه فى تواصل :

- اللعنة ! .. لقد ظفر بى .

ولكن (نور) أطلق أشعة مسدسه نحو مؤخرة عنق الوحش ، وهو يقول :

- ليس بهذه البساطة يا صديقى .

تلقَّى الوحش الأشعة فى مؤخرة عنقه ، واستدار يطلق فحيحًا ابتلعه الفراغ ، فى وجه (نور) ، ثم اتجه نحوه مباشرة ..

وفى نفس اللحظة ، التى أطلق فيها (نور) أشعة مسدسه الليزرى ثانية ، انبعث داخل خوذته صوت الملاَّح الأوَّل ، وهو يقول :

- أرجو أن تكونا فى طريق العودة .. أنا مستعد الآن لإطلاق الصواريخ الدافعة ، وتغيير مسار الصاروخ ، ولابد أن أفعل هذا خلال دقيقة واحدة ، وإلا ...

قاطعه (نور) فى حزم :

- أطلق الصواريخ ، وابدأ فى تعديل المسار يا رجل .

هتف الملاَّح فى دهشة :

- أطلق ماذا ؟! .. ولكن هذا خطير .. ربما عجزتما عن العودة ، عندما يتغيَّر مسار المكوك ، و ...

قاطعه (نور) للمرة الثانية ، وهو ينحنى ليتفادى انقضاضة الوحش :

- نفذ الأوامر يا رجل .. نفذها بالله عليك .

وسقط على ظهره ، والوحش يعتليه ، على الجدار الخارجى للمكوك ، على الرغم من الأشعة التى اخترقت جسده فى ثلاث مواضع على الأقل ، وأبرز مخالبه وأنيابه ..

وصرخ (نور) :

- أشعل الصواريخ يا رجل .. أشعلها .

تردَّد الملاح لحظة ، قبل أن يحسم أمره ، قائلاً :

- كما تأمر يا سيِّد (نور) .

كان الوحش يستعد لغرس مخالبه وأنيابه فى زى (نور) الفضائى ، عندما هتف (نور) فى حزم ، وهو يثنى ركبتيه ، ويدفع قدميه فى صدره :

- قل : وداعًا أيها الوغد .

ثم استجمع كل قوته ، ودفع الوحش فى صدره بعيدًا عنه ، فطار جسد الوحش فى الفراغ ، حتى ارتطم بأحد الصواريخ الدافعة ..

وفى نفس اللحظة ، ضغط الملاَّح الأوَّل زر الإشعال ..

وعندما اعتدل الوحش ، واستعدّ لانقضاضة جديدة ،

انطلق لسان من اللهب ، من الصاروخ الدافع خلفه مباشرة ، ولفح جسده كله ..

ولو أن الفراغ قادر على ترديد صرخات الألم ، لأقسم سكان كواكب الكون كله ، أنهم سمعوا صرخة رهيبة ، لا مثيل لها ، تتردد عبر الفضاء الشاسع ، عندما اشتعل جسد الوحش كله لثانية واحدة ، ثم خمدت النيران على الفور فى اللحظة التالية مباشرة(*) ..

ولكن تلك الثانية كان لها أثر رهيب ..

بل عدة آثار ..

لقد التهمت لحظة النيران كل ما تبقى من مخزون الأكسجين فى خلايا الوحش ، ودمرت قدرتها على التكيف مع الضغط والحرارة ، و ..

وانهارت الخلايا بغتة ..

ومعها ، انهار التوازن فى الضغط والحرارة ، وحاول الوحش أن يطلق فحيحًا آخر ، وجسده ينتفخ ، وينتفخ ، وينتفخ ..

(*) استمرار الاشتعال يحتاج حتمًا إلى وجود الأكسجين ، الذى تتضمن خواصه أنه لا يشتعل ، ولكنه يساعد على الاشتعال ..

ثم انفجر بغتة فى الفضاء ..

ومن حوله ، تناثرت بقع تلك المادة الخضراء ، وراحت تسبح فى الفضاء حول المكوك ، و (أكرم) يهتف :

- رباه ! .. هل رأيت يا (نور) ؟ .. لقد فعلناها .. حطمنا وحشًا آخر ؟!

جذبه (نور) بسرعة ، ودفعه نحو فتحة حجرة معادلة الضغط ، وهو يقول :

- ادع الله معى أن تكون هذه هى النهاية يا صديقى .

ولم يكن يدرى لحظتها ، وهو يغلق الفتحة خلفهما ، ويبدأ مرحلة معادلة الضغط ، أن مصرع الوحش لم ينقذهما وحدهما ..

لقد كان له تأثير آخر ..

تأثير أكثر أهمية ..

ففى نفس اللحظة ، التى لقى فيها الوحش الكبير مصرعه ، انتفض جسد (محمود) الصغير فى عنف ، وانطلق يبكى ، كأى طفل عادى ..

وعندما انطلق بكاؤه ، كان الوحش الصغير يقفز نحوه ..

وهتفت (نشوى) ذاهلة :

ـ ابنى !

وأطلق الوحش فحيحًا خافتًا ، قبل أن يصطدم بالصغير ، ثم يتدحرج أرضًا ..

كان المفترض ، طبقًا لما حمله من ذاكرة أصله ، أن يغوص فى جسد الصغير ، فور ارتطامه به ، فتمتزج خلاياهما ، ويلتقى قدراهما ، ولا يعود بمقدور أحد انتزاعه منه قط ..

ولكن الصغير استعاد كيانه المستقل بغتة ، ودون سابق إنذار ، ولم تعد خلاياه قابلة للاختراق أو الاندماج .

وحدّق (رمزى) فى صغيره لحظة فى ذهول ، قبل أن يهتف :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

انتزعه الوحش بفحيح غاضب من فرحته ، فالتفت إليه ، ورآه يستعد لانقضاضة وحشية جديدة ، فاختطف قارورة كبيرة ، وهو يقول له فى صرامة :

ـ ابنى استعاد آدميته أيها الوغد ، وهذا يغيّر كل شىء .

وثب الوحش عليه فى شراسة مخيفة ، ولكن (رمزى) مال جانبًا بخفة مدهشة ، أكسبته إياها رغبته العارمة فى إنقاذ ابنه ، وتركه يتجاوزه ، ويرتطم بالجدار خلفه ، ثم فتح القارورة ، صارخًا :

ـ والآن دعنا نختبر خواصك الكيميائية .

استدار الوحش يواجهه فى وحشية أكثر ، ولكن (رمزى) ألقى الحامض المركّز الذى تحويه القارورة نحوه ، صارخًا :

ـ ونرى قدرتك على التفاعل مع الأحماض .

انطلقت صرخة ألم مخيفة من حلق الوحش ، عندما غمر الحامض المركّز جسده ، وراح يدور حول نفسه فى ألم ، والأبخرة الصفراء تتصاعد منه فى كثافة ، فاختطفت (نشوى) صغيرها ، الذى يبكى فى حرارة ، وصاحت بزوجها :

ـ هيا بنا .. هيا نبتعد عن هنا .

قفز (رمزى) خلفها واندفع الاثنان خارج الحجرة ، ثم أغلقها (رمزى) خلفهما فى إحكام ، وترك الوحش يحترق داخلها ، وهو يقول فى انفعال :

- لقد تذكرت فجأة أن المادة الخضراء التى تسرى فى عروقه ، لها تأثير قلوى قوى ، وبدا لى أنه فى هذه الحالة ، تكون نقطة ضعفه الرئيسية هى الأحماض القوية .

ضمت (نشوى) ابنها إليها فى سعادة ، هاتفة :

- المهم أن ابننا قد استعاد آدميته ، وتجاوز تلك المرحلة يا (رمزى) .

كان الطفل يبكى فى حرارة ، ويتصاعد بكاؤه الطفولى ، على نحو بدا لها أشبه بموسيقى عذبة ..

بل أعذب موسيقى سمعتها أذناها ، فى عمرها كله ..

وفى نفس اللحظة ، التى استعدت فيها لإرضاعه ، ظهر (نور) و (أكرم) و (سلوى) ، وهتفت الأخيرة فى سعادة :

- (نشوى) .. ابنك يبكى .

تفجرت دموع الفرح من عينى (نشوى) ، وهى تهتف :

- لقد عاد يا أمى .. عاد إلينا .

احتضنتهما (سلوى) فى حرارة ، وقال (نور) لـ (رمزى) :

- ماذا حدث بالضبط ؟ .. شكلك يوحى بأنك كنت تواجه وحشًا كاسرًا .

تنهد (رمزى) ، قائلاً :

- إنك لم تبتعد عن الحقيقة كثيرًا يا صديقى .

وروى لهم ما حدث بسرعة ، فهتف (أكرم) :

- رباه ! .. إذن فتلك اليد المقطوعة نمت بالفعل ، حتى أصبحت كائنًا جديدًا .

هز (رمزى) رأسه ، مغمغمًا :

- أتعشم أن تكون آخر قطعة من جسد ذلك الوحش .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتج المكوك فى قوة ، وانطلقت كل صفارات الإنذار الداخلية فيه ، مع صوت الملاح الأول ، وهو يهتف من حجرة القيادة :

- هناك أشعة مجهولة تنطلق نحونا من المريخ .. المكوك يرتج فى قوة ، ويوشك على الانفجار .

واتسعت العيون كلها فى ارتياع ..

لقد أصبح من الواضح أن الخطر لم ينته ..

لم ينته بعد ..

★ ★ ★

١٢ - الختــام ..

توتّرت كل خلية فى جسد الكائن المريخى ، وهو يراقب شاشته ، التى تتابع مسار المكوك الأرضى ، وتنقل محاولته الناجحة لتغيير مساره ، والعودة إلى الأرض ..

وكان هذا يعنى أن مهمة الوحش قد فشلت ..

بل إن المهمة كلها لم تنجح ..

ويعنى أيضًا أن هذه الحفنة من الأرضيين قد انتصرت ، وأنها فى طريق العودة إلى الأرض ، حاملة كل خبرتها فى مواجهة الكائنات المريخية ، وكل معلوماتها ومعارفها عن كهفها وآلاتها ، وقدرتها على العودة إلى حالة اليقظة ..

وربما عن هدفها أيضًا ..

ولا يمكنه أن يسمح بهذا قط ..

وضعه كقائد لكل المريخيين يجعل من واجبه منع ذلك المكوك فى العودة إلى الأرض ..

وبأى ثمن ..

وفى حزم حاسم ، اتجه إلى مجموعة من الدرجات ،

تحمله إلى طابق سرى علوى ، فى ذلك الجبل المريخى ، وتوقّف لحظة أمام باب معدنى ضخم ، ولمس جزءًا منه بكفه ، فانزاح الباب فى بطء ، كاشفًا قاعة هائلة ، يتوسّطها جهاز ضخم ، أشبه بمدفع قديم من مدافع الميدان ..

وفى حسم ، اتجه الكائن إلى الجهاز ، وضغط زرًا فيه ، فانشقّت قمة الجبل فى هدوء ، لتبدو من خلفها السماء المريخية الحمراء ..

ومع ضغطات الكائن ، على لوحة كبيرة ، بدأ ذلك المدفع الضخم فى تحديد هدفه بدقة بالغة ، لا تتجاوز نسبة الخطأ فيها الواحد فى كل مائتى مليون ..

وكان هذا الهدف هو المكوك ..

المكوك الذى يضمّ (نور) ورفاقه ..

ثم انطلقت الأشعة من المدفع الضخم ..

أشعة تحمل طاقة هائلة ، لا مثيل لها فى الكون كله ..

أشعة تكفى لسحق كوكب صغير فى دقائق معدودة ..

وعندما أحاطت الأشعة بالمكوك ، راح يرتجّ فى عنف ..

وفى حسم ، اتجه الكائن إلى الجهاز ، وضغط زرًا فيه ، فانشقت قمة الجبل فى هدوء ، لتبدو من خلفها السماء المريخية الحمراء .

وكان المفترض أن يواصل ارتجاجه لعشرين ثانية فحسب ، قبل أن ينفجر فى عنف ، ويتحوّل إلى فتات منثور ..

ولكن فجأة ، برزت تلك المركبة الفضائية فى سماء المريخ ..

برزت وكأنها كانت تنتظر وتترقّب منذ زمن طويل ..

هذا لأنها بَرزت ، وانقضّت على الجبل ، والمدفع الضخم فى سرعة مدهشة ..

ولمح الكائن المريخى تلك المركبة ، فتراجع بحركة حادة مذعورة ، وارتجف جسده كله ، عندما ظهرت من خلفها مركبات أخرى وأخرى ..

وأدرك الكائن المريخى على الفور ما يعنيه هذا ..

أدركه وامتلأت نفسه برعب هائل ، لم يشعر بمثله فى حياته كلها ، وحاول أن يعدو مبتعدًا ، ولكن المركبات الفضائية انقضت كلها ، وأطلقت أشعتها ، و ..

ودوى الانفجار ..

انفجار هائل ، تبلغ قوته عشرة أضعاف قوة القنابل الذرية ، أطاح بالجبل كله ، بكل من فيه من الكائنات المريخية ، وكل ما يحويه من أجهزة وأسلحة ..

حتى المدفع الضخم ..

كانت ضربة واحدة مركّزة ، قامت بها المركبات الفضائية ، ثم انطلقت مبتعدة ، وكأنما لم يعد يعنيها ما يحدث ، بعد أن أدّت مهمتها بنجاح ، واخترقت المجال الجوى للمريخ ، ودارت حوله بسرعة مدهشة ، لتلحق بمركبتها الأم ، التى تقبع خلفه ..

وفى اللحظة نفسها ، كان (أكرم) يهتف فى دهشة :

- عجبًا ! .. لقد توقّف الارتجاج فجأة ، كما بدأ فجأة !

أجابته (نشوى) فى سرعة وتوتر :

- فلنحمد الله (سبحانه وتعالى) على توقّفه .

ارتفع صوت الملاّح الأوّل عندئذ ، من حجرة القيادة ، وهو يقول :

- تلك الأشعة توقّفت فجأة ، وأجهزتنا ترصد انفجارًا هائلاً على سطح المريخ ، مع مركبات فضائية صغيرة تدور حوله .

هتف (أكرم) فى دهشة :

- مركبات فضائية صغيرة ؟!

وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، دون أن يعلّق ، فى حين قالت (مشيرة) فى دهشة :

- هل أصلحتم نظم الرصد ؟!

أما (رمزى) ، فغمغم فى حيرة :

- عجبًا .

وقالت (سلوى) فى توتر :

- من أين أتت تلك المركبات الفضائية ؟!

وقبل أن تتضاعف تساؤلاتهم ، سمعوا الملاّح الأوّل يهتف فى دهشة عارمة ، عبر شبكة الاتصالات الداخلية :

- رباه ! .. ما هذا بالضبط ؟

- سأله (نور) فى توتر :

- ماذا حدث عندك ؟

مرّت لحظة من الصمت ، بدت أشبه بدهر كامل ، قبل أن يجيب الملاّح :

- من الأفضل أن ترى بنفسك .

اندفع الجميع نحو حجرة القيادة ، وما إن بلغوها حتى ارتفعت حواجبهم ، واتسعت عيونهم فى دهشة ، عندما رأوا ذلك المخلوق ، الذى بدت صورته واضحة ، على شاشة الراصد ..

مخلوق فى حجم طفل صغير ، وله رأس ضخم كبير ، وعينان واسعتان ، تطلّعتا إليهم لحظة ، قبل أن ينفرج الفم المشقوق بلا شفتين ، ليقول بلغة غير معروفة ، تتم ترجمتها مباشرة ، إلى العربية ، فى جانب الشاشة :

- من المؤكّد أنكم تحتاجون إلى تفسير لكل ما حدث ، ومن المؤكّد أيضًا أنكم تستحقون الحصول عليه ، بعد كل العناد الذى لقيتموه .. أنتم تعلمون أنها ليست المرة الأولى ، التى نلتقى فيها ، فقد التقينا منذ فترة قصيرة على كوكبكم ، عندما كنا نقاوم تلك المخلوقات ، التى تسرّبت إليكم(*) ، ونحن نعترف الآن بأن ما حدث عندكم كان بسبب خطأ فنى منا ، ولقد بذلنا غاية جهدنا لإصلاحه ، إذ إننا لا نضمر لقومكم سوى الخير ، كل الخير ، ومطلبنا الوحيد هو السلام والعدل والحق .. أما بالنسبة لتلك الكائنات المريخية ، فموقفنا منها يختلف تمامًا .

غمغم (أكرم) فى سخرية :

- يبدو أننا سنستمع الآن إلى رواية فضائية جديدة .

(*) راجع قصة (وجوه من ثلج) ... المغامرة رقم (١٠٥) .

أشار إليه (نور) بالصمت ، فى حين تابع المخلوق :

- منذ آلاف السنين ، كانت هذه الكائنات هى سادة المجموعة الشمسية كلها ، وكانت أكثر الشعوب المقاتلة قسوة وضراوة ، على الرغم من هشاشة أجسادها ، بسبب تسخيرها لجنس آخر ، يتميَّز بالشراسة والوحشية ، منه جاء ذلك الكائن ، الذى قاتلتموه على المريخ ، وامتدّت المواجهة بينكم وبينه إلى مكوككم الفضائى هذا .

قالت (نشوى) فى غضب :

- إذن فهم يعلمون منذ البداية .

لم تبد على المخلوق أدنى علامة ، تشير إلى أنه سمعها ، وهو يواصل :

- وبوساطة تلك المخلوقات الوحشية ، سعى المريخيون للسيطرة على كل كوكب يمكنهم الوصول إليه ، مما جعل اتحاد الكواكب الذى ننتمى إليه يستشعر خطرهم ، ويتخذ قراره بشنّ حرب شاملة ضدهم ، قبل أن يمتدّ غيهم إلينا .. وقد كان .. قاتلنا جيشهم الوحشى بكل قوتنا ، وبأحدث أسلحتنا ، وكان القتال رهيبًا ، عنيفًا ، استغرق

عشر سنوات كاملة ، وقبل أن ينتهى ، سقط على المريخ نيزك غريب ، انطلقت منه غازات سامة ، انتشرت بسرعة مدهشة فى غلافه الجوى ، فانهارت الأجساد الهشة للمريخيين ، وراحوا يتساقطون بالآلاف ، فى نفس الوقت الذى انهزمت فيه جيوشهم أمامنا ، واندحرت ، وتحقق لنا النصر الشامل عليهم ، وتصوّرنا أن الخطر قد زال ، وأن المريخيين قد فنوا عن آخرهم ، بفضل تلك الكارثة الماحقة .. ولكننا كنا مخطئين ، ولم ندرك هذا إلا بعد عشرة آلاف عام ، بعد أن تعاقبت على كوكبنا وكوكبكم أجيال وأجيال ، وعثر علماؤنا على ما يشير إلى أن المريخيين قد وضعوا عددًا هائلا منهم فى حالة من السبات الصناعى ، فى مكان ما ، مع عدد من أقوى وأخطر أسلحتهم ، حتى أننا خشينا ما يمكن أن يفعلوه ، لو عادوا إلى يقظتهم ، وتصوّر بعض علمائنا أنه من المحتمل أن يكون المريخيون قد اختاروا لاختبائهم موضعًا مجهولاً على كوكب الأرض ، نظرًا لأن هذا لن يخطر ببالنا قط ، فبدأنا نبحث فى كوكبكم ، وصنعنا بعض الأشخاص الآليين ، لمعاونتنا فى التصدّى لهم ، لو عثرنا

عليهم ، وبدا لنا المريخ خاليًا ، لا أثر للحياة على سطحه ، وخاصة بعد مرور كل تلك القرون ، دون أن نرصد فوقه حركة واحدة ، باستثناء ذلك النشاط ، الذى قامت به بعثاتكم الأولى ، وهى تفحص الكوكب ؛ وتبنى مستعمرتكم الأولى هناك .

غمغم (رمزى) :

ـ إنها تبدو لى الآن ذكرى مؤلمة للغاية .

تابع الكائن فى هدوء :

ـ ثم كانت تلك المواجهة ، بينكم وبين المريخيين ، والتى لم ندرك حدوثها ، إلا بعد أن استيقظ عدد منهم ، وعلى رأسهم قائدهم ، الذى نعتبره أشرس مخلوق عرفه الكون منذ نشأته .. وخشينا أن نهاجمه ، فيتصدّى لنا بأسلحته ، التى لم نكن نعلم أين يخفيها بالضبط ، حتى كشف الغطاء عنها بنفسه ، واستعد لسحقكم بها ، فانقضضنا عليه ، وحققنا ما كنا نسعى إليه منذ عشرات السنين .

قالت (سلوى) فى حنق :

ـ على حساب عشرات الأرواح .

أجابها المخلوق :

- تدخلنا فى وقت غير مناسب كان كفيلاً بإنذار قائد المريخيين ، وربما دفعه إلى إخفاء أسلحته ، وعدم الكشف عنها قط ، أو العمل على تطويرها سرًا ، مما يجعل التغلب عليه أكثر صعوبة فيما بعد .. ثم إننا ساعدنا بقدر إمكاننا ، وخاصة عندما فقدتم قائدكم فى الفضاء .. لقد تتبعناه ، حتى أصبح خارج المجال المحتمل مراقبته من قبل المريخيين ، ثم زودناه بخزان هواء جديد ، وجهاز دفع ، وأعدناه إليكم سرًا .

تضرَّج وجهها بالحمرة ، وهى تقول :

- أنتم أنقذتم (نور) ؟!

لم يجب المخلوق سؤالها ، وهو يكمل :

- وعلى أية حال .. لقد انتهت مشكلتكم ومشكلتنا ، ولم يعد هناك مبرِّر للقلق أو الخوف .. المكوك ينطلق نحو الأرض ، ولقد عدلنا مساره بأجهزتنا المتطوِّرة ، أبلغوا شعوبكم اعتذارنا وتحياتنا ، وأننا لا ننشد سوى السلام .. إلى اللقاء .

واختفت صورته بغتة كما ظهرت ، لتطلّ بدلاً منها صورة الدكتور (ناظم) ، وهو يهتف :

- أجب أيها المكوك .. أجب .. هنا القاعدة الأرضية .

قال (نور) ، وقد استعاد دور القائد :

- من المكوك إلى القاعدة .. نحن نسمعك ونراك فى وضوح .

هتف الدكتور (ناظم) فى سعادة :

- (نور) ! .. حمدًا لله أنك بخير يا ولدى .. ماذا حدث عندك ؟! .. لقد أخبرونا أنك قد لقيت مصرعك ، وفشلنا فى الاتصال بكم لفترة طويلة .. ماذا يحدث ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

- إنها قصة طويلة يا دكتور (ناظم) ، سنقصها عليك عند وصولنا إلى الأرض ، ولكن اطمئن الآن ، كل شىء تحت السيطرة إلى حد كبير .. انتظرونا ، فقد كانت رحلتنا أطول مما ينبغى .

قال الدكتور (ناظم) فى لهفة :

- كل شىء معد لاستقبالكم يا ولدى .. كل شىء .. لقد رصدنا تعديلكم للمسار ، ونحن فى انتظاركم .. وفقكم الله (سبحانه وتعالى) ورعاكم .

انتهى الاتصال ، وتثاءب (أكرم) وهو يقول :

- أظن أن أفضل ما يفعله المرء الآن ، هو أن يحصل على قسط من النوم .

وابتسمت (نشوى) وهى تضمّ طفلها إلى صدرها ، مغمغمة :

- سينام (محمود) الصغير معنا .. لن أفارقه لحظة واحدة ، حتى نعود إلى الأرض .

ولم تمض لحظات ، حتى خلت حجرة القيادة ، إلا من (نور) و(سلوى) ، فأسندت الأخيرة رأسها على صدر زوجها ، وهى تسأله :

- (محمود) الصغير أصبح طفلاً عاديًا يا (نور) ، وأنا أصبحت جدة ، قبل أن أتجاوز الثلاثين من عمرى .. ألا تشعر بالسعادة ؟

بدا لها شاردًا ساهمًا ، وهو يتطلّع إلى النجوم ، التى تنتشر فى الفضاء الشاسع ، فسألته فى حنان :

- فيم تفكّر ؟

أجابها فى خفوت :

- فى كل ما حدث .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد :

- وفى ذلك الحلم .

سألته فى اهتمام :

- هل تعتقد أنه أمر يمكن حدوثه ؟! .. أيمكن أن يكون (محمود) حيًا حقًا ؟!

صمت لحظة مفكرًا ، قبل أن يجيب فى حزم :

- إنه أمر يستحق التفكير على أية حال .

قالها ، وعاد إلى صمته وشروده ، والمكوك يشق الفضاء ، عائدًا بهم إلى الأرض ..

إلى حيث الحياة ..

والحب ..

والأمل .

* * *

[تمت بحمد الله]

مصيدة الفضاء

- هل يضيع (نور) فى الفضاء الخارجى ؟ .. وماذا يكون مصيره خارج المكوك ؟!..
- ما سر تلك الدماء الخضراء ، التى ترتبط بكل حوادث القتل العنيفة فى الفضاء ؟!.
- ترى هل ينجح الفريق فى التصدى لهذا الخطر الجديد ، أم تبتلعهم إلى الأبد (مصيدة الفضاء) ؟! ..
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك من أجل صفحة جديدة من الملف .. (ملف المستقبل) ..

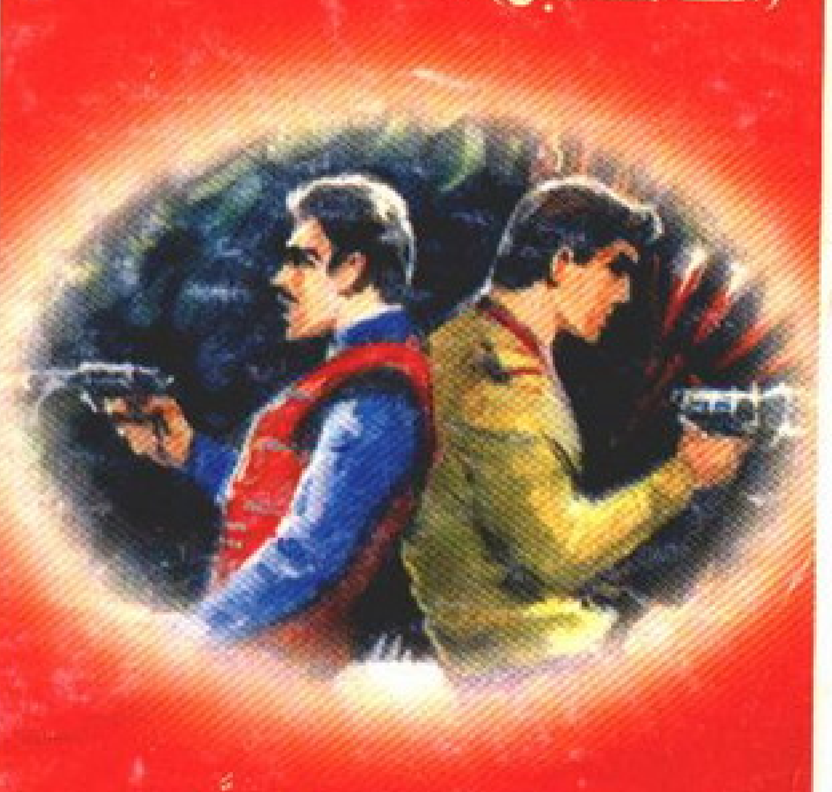

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

108

الثمن فى مصر ٢٠٠ مـ
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم